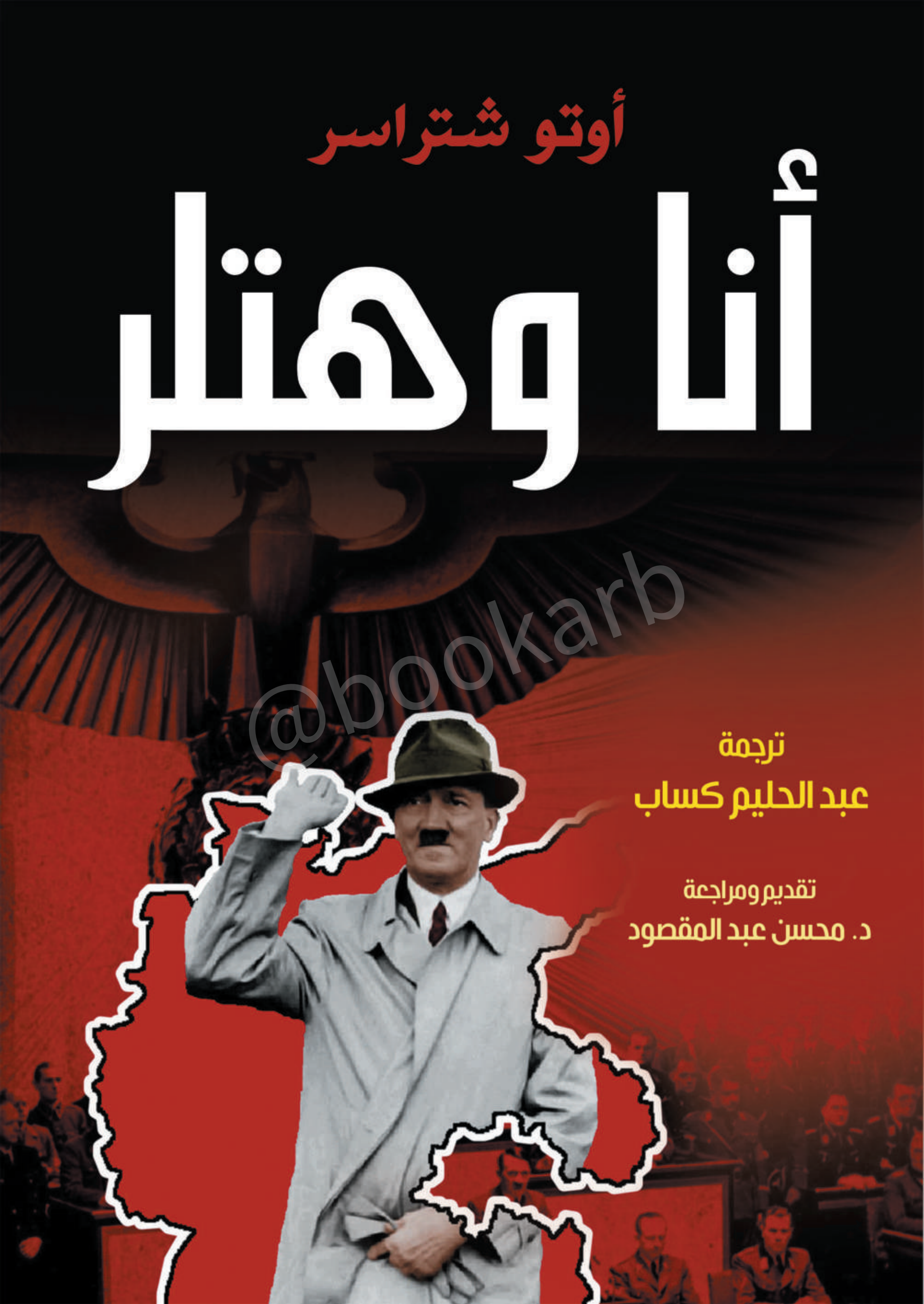


أوتو شتراسر

أنا وهتلر

ترجمة

عبد الحليم كساب

تقديم ومراجعة

د. محسن عبد المقصود

أوتو شتراسر

أنا وهتلر

ترجمة

عبد الحليم كساب

تقديم ومراجعة

د. محسن عبد المقصود

الكتاب: أنا وهتلر

الكاتب: أوتو شتراسر

ترجمة: عبد الحليم كساب

الطبعة: ٢٠٢٢



الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة - جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

شتراسر، أوتو

أنا وهتلر / أوتو شتراسر، ترجمة / عبد الحليم كساب

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٨٥ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ٠ – ٤٠٦ – ٩٩١ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٢٦٩٩٣ / ٢٠٢١

أنا وهتلر




mohamed
mohamed
mohamed khatab
mohamed
mohamed
mohamed khatab
mohamed
mohamed
mohamed khatab

كلمة عن المؤلف

كان "أوتو شتراسر" من زعماء الرايش، وكان أكبر معارض للنظام النـازي، فوقـف في وجه النازية وقفات لم ينسها "هتلر"، وما كاد "هتلر" يقبض على زمـام الحكـم في ألمانيـا حتى اضطر "أوتو شتراسر" إلى الفرار من ألمانيا إلى باريس، وأقام فيهـا إلى قبيـل احـتلال القوات الألمانية لها، ثم وجد نفسه مضطرًا إلى مغادرتها والذهاب إلى إنجلترا حيث أقـام هناك.

وقد بدأ "أوتو شتراسر" حياته العمليـة في سـن السـابعة عشرة كجنـدي في الحـرب العالمية الثانية في سلاح المدفعية، ووفق إلى أعمال باهرة تدل على الشجاعة وقع خلالهـا أسيرًا في قبضة إحدى فرق المدفعية البريطانية.

وقد اشترك "شتراسر" بعد الحرب مـع هتلـر في الثـورة الاشـتراكية الأولى التـي قـام عليها النظام النازي، وبعد ذلك بأعوام انفصل عن هتلر بعـد أن أبـدى لـه رأيـه بمنتهـى الصراحة في سياسته.

و"أوتو شتراسر" هو شقيق "جريجور شـتراسر" ومسـاعده في إنشـاء الحـزب النـازي بإقليم ألمانيا الشمالية، وقد كان "جريجور" أقوى دعامات الحزب النازي وصديقًا لهتلـر، وكان هتلر أبا لولديه التوأمين في العماد، ثم انفصلا فأرسل إليـه هتلـر نفـرًا مـن أعوانـه فأخذوه من بيته وهو بـين زوجـه وأبنائـه وقتلـوه شر قتلـة، كـما ذكـر المؤلـف في هـذا الكتاب.

وبعد أن انفصل "أوتو شتراسر" عن هتلر أنشأ الجبهة السـوداء - أو السريـة - مـن خلاصة الاشـتراكيين الـذين كـانوا معـه في حـزب هتلـر، ومضى في مقاومـة النـازي حتـى اضـطر إلى مغـادرة وطنـه. ولا تـزال هـذه الجبهـة أداة قويـة عـلى اسـتعداد للعمـل في

الوقت المناسب. ويبسط المؤلف في هذا الكتاب المؤامرات والمغامرات التي دبرت لاغتياله وفشلت كلها في منفاه.

و"أوتو شتراسر" رشحه الكثيرون لرئاسة الحكومة الديمقراطية في ألمانيا بعد هزيمة هتلر وسقوط نظامه. ورأيه الذي أبداه منذ سنوات لمنع وقوع الحرب أن تسعى ألمانيا لحل مشاكلها بالطرق السلمية وأن تبدي الدول رغبة في إنصافها، ولكن يجب أن تبادر هذه الدول في الوقت نفسه إلى القضاء على سيطرة بروسيا قضاءً تامًا. وعنده أن القضاء على بروسيا لا يتأتى إلا بهدم نفوذ السادة البروسيين الذين يحتكرون الضياع الواسعة، ولا يأذنون لحكومة في ألمانيا أن تستقر ما لم تكن حائزة لرضاهم وعاملة بسياستهم القائمة على الطغيان والعدوان.

المترجم



الفصل الأول

مقابلتي الأولى لهتلر

"أرجوك أن تأتي غدًا إلى منزلنا لتتناول معنا طعام الغداء، وستلتقي عندي بـالجنرال "لودندورف" و"أدولف هتلر".. أصغ إلي: إن الأمر مهم، وألح عليك في الحضور".

هذا ما قاله لي أخي "جريجور" بالتليفون بينما كنت أقضي أيام الأجازة لدى والدي بمدينة "ديجاندورف" من أعمال "بافاريا" في 2 أكتوبر سنة 1920 ولقد أحس "جريجـور" بترددي في قبول دعوته إذ كان يعلم أني أحذر "هتلر" ودعايته، ومـع ذلـك فقـد تغلبـت على مقاومتي وترددي فلبيت هذه الدعوة التي غيَّرت مجرى حياتي العمر كله.

ومـن هـو هـذا الضـابط الألمـاني الـذي لم يسـتهوه الأمـل في التعـرف بـالجنرال "لودندورف"؟ ثم من هو هذا الشـاب الـذي لم يتطلـع عـلى الأقـل إلى معرفـة شخصـية "هتلر" التي كانت تلتف حولها شبيبة تواقة إلى خلق مسـتقبل جديـد في الوقـت الـذي كان فيه الارتباك والفوضى يسودان وطني.

أضف إلى ذلك أن دعوة أخـي وجهـت إلي في تلـك الفـترة الدقيقـة مـن حيـاتي، حيث كنت أتلمس طريقي بعد أن اعتزلت الحزب الاشتراكي. وقبل ذلك العهد بسـتة شهور وقعت في برلين فتنة (كاب) الشهيرة التي دافعت فيها عـن جمهوريـة "فـيمار" دفاعًا صادقًا إذ كنت وقتذاك رئيسًـا لـثلاث دوائـر للحـزب الاشـتراكي في أحيـاء بـرلين المتطرفة، فقامت ضد فصيلة الكابتن (أرهارت) وفرقة الجنرال "لـوتفتز" اللـذين كانـا يريدان القبض على زمام الحكم وتأليف حكومة رجعية، ومن الوجهـة الحربيـة هـزم

رجالنا الذين كانوا يسمونهم بـ (الحُمر) لتمييزهم عن معارضيهم "البيض" الرجعيين، ودخل (أرهارت) مدينة برلين من باب "براندبورج" دخول الظافر، وبعد أن أصبحت العاصمة في قبضة يده وجه خطابا إلى (كاب) رئيس الثورة ومحافظ بروسيا الشرقية سابقًا، قال فيه: "لقد مكنتك من وضع قدميك في الركاب، والآن عليك أن تعرف كيف تحكم".

أما الحكومة الشرعية فقد فرت من برلين إلى "شتوتجارت"، فاستطاع الثائرون أن يتمتعوا ثلاثة أيام بثمرة فوزهم، وأعلن الإضراب العام في الحال وأعقبته اضطرابات في الطرق والشوارع.

وجرت معارك دموية حول (فيزيل) في "الروهرر" وفر الجنرال "لوتفتز" والكولونيل "أرهارت" والمحافظ "كاب" إلى السويد. وأعلن الاشتراكيون - الذين كنت أحدهم - أنهم مستعدون لإلقاء السلاح على شرط أن تجاب لهم عدة مطالب، منها تطهير الجيش، وتطبيق النظام الاشتراكي على الصناعة الثقيلة، ومناجم الفحم. وبناءً على ذلك أمضوا مع الوزير (سيفرنج) اتفاق "بيفلد"، وعادوا إلى الحياة العادية بيد أن الشيوعيين الذين لم يقهروا واصلوا نضالهم الدموي، فلم تحجم حكومة "فيمار" عن أن تستخدم فرقتي "لوتفتز" و"أرهارت" اللتين قهرتا وفرتا لتقضى عليهما وتخضعهما. وعندما غُلب الاشتراكيون على أمرهم رفضت الحكومة الوفاء بعهودها التي أعطتها للاشتراكيين، وأعلنت أنه لم يكن للوزير "سيفرنج" صفة تجيز له حق الاتفاق معنا.

وهكذا اعتزلت الحزب الاشتراكي عقب حدوث هذا العمل الفاضح، وكنت في ذلك العهد شابًا أدرس الحقوق والاقتصاد، وزعيمًا للطلبة المنتمين لحزب اليسار، ورئيسًا للجامعيين من المحاربين القدماء؛ فوجدت في نفسي اشمئزازًا من تطور الحوادث في ألمانيا على هذا النحو. وبقيت في منزل والدي أشهد مرور الأيام يشبه بعضها بعضًا، كما كانت الحال أيام طفولتي وصباي، وكان والدي لا يزال موظفًا في محكمة

مدينتنا، ولم ينقطع عن الذهاب إلى الكنيسة لتأدية الصلاة في يوم الأحد من كل أسبوع، وكان من عادته أن يتناقش في السياسة في طريقه من الكنيسة إلى المنزل، وكان قد وضع فيما مضى رسالة غفلًا من الإمضاء جعل عنوانها: "الطريق الجديد: بحث في المسيحية الاشتراكية"، وكان هذا الكتيب لا يزال مسيطرًا على جميع أفكاره وآرائه. أما والدتي فأدركتها الشيخوخة، وراح المنزل يخلو من سكانه شيئًا فشيئًا. فقد دخل شقيقي الأكبر "بول" دير "بنيدكتان"، وكان أخي الصغير "أنطون" في القسم الداخلي بأحد معاهد التربية، وتزوج شقيقي "جريجور"، الذي كان يكبرني بستة أعوام، كما تزوجت شقيقتي أيضًا.

وفي ذلك الوقت كنت أفكر في الزيارة التي دعيت لها في الغد، وكنت أشعر بأنها ستخلصني من ملل تلك الأيام المتشابهة، وستنفس عني بعض الشيء. وتبلغ المسافة مائة كيلومترات بين "ديجندورف" و"لاندسهوت" عاصمة مقاطعة بافاريا السفلى حيث كان يقيم أخي "جريجور" مع زوجته الفتية. فأخذت القطار في الصباح، وكنا في فصل الخريف، وكانت السماء صافية، فاتجهت من المحطة مشيًا على الأقدام إلى الشارع الكبير، حيث كانت صيدلية "جريجور" منتدى ومقصد جميع أعيان المدينة. وكنت أحسب أني بلغت المكان قبل الموعد، ولكني لاحظت أن واجهة الصيدلية كانت مقفلة، وأن سيارة أنيقة كانت واقفة أمام الدار، وكان الجنرال "لودندورف" و"هتلر" قد وصلا قبلي قادمين من "ميونيخ" بالسيارة.

وصعدت في السلم مسرعًا فأدخلتني زوجة شقيقي في غرفة الطعام حيث كانت المائدة معدة، وكان الضيفان في هذه الغرفة، فقدمني "جريجور" إليهما في الحال، وتأثرت لأول وهلة بشخصية "لودندورف" فكان ذا وجه ضخم، وكان لنظراته المتوارية خلف شعر حاجبيه الغزير تأثير شديد مباشر يوحي إليك أن تقف منه موقف الجندي من قائده. ولم يكن "لودندورف" في لباسه العسكري، ومع ذلك كانت تبدو عليه سمات القائد العسكري من مفرق شعره إلى أخمص قدمه، كما كان الناظر إليه

يلمس قوة الإرادة التي تنبعث من شخصية هذا الرجل.

أما الضيف الثاني فكان يرتدي ثوبًا ذا لون أزرق قاتم، وكان يلتزم جلسة الخشوع والتواضع، يستظل بظل قائد جيشنا القوي. وماذا يمكنني أن أقول عن هيئة "أودلف هتلر" الجسمانية؟ كان هتلر في مقتبل العمر أي في الحادية والثلاثين، وكان ذا وجه مستقيم القسمات وشارب قصير، ولم يكن التفكير العميق العنيف قد طبع سحنته بطابع الجفاف والخشونة، وكان جفناه الأسفلان منتفخين قليلًا، وقد زادا انتفاخًا فيما بعد، ولم تكن سحنته قد أخذت بعد منظرها الحقيقي، ذلك المنظر الثابت الذي شهدناه ولا نزال نشهده في آلاف الصور المنشورة الذائعة.

كان هتلر رجلًا في ربيع العمر كغيره من الرجال في هذه السن، وكان ذا لون أصفر فاقع، مما يدل على إهماله الرياضة البدنية وحرمانه من المعيشة في الهواء الطلق.

ثم جلسنا إلى المائدة على حين لم تتحول عني نظرات "لودندورف" الثاقبة. وخاطبني الجنرال قائلًا:

"لقد حدثني أخوك عنك، كم سنة قضيتها في الخدمة العسكرية؟".

"أربعة أعوام ونصف عام يا سيدي الجنرال، وكنت أصغر المتطوعين في الجيش في بافاريا. وقضيت ثلاث سنين كجندي بسيط ضابط صف، وسنة ونصف سنة كملازم ثان وأول، وكنت في الجيش من 2 أغسطس سنة 1914 حتى 30 يونيه سنة 1919، وجرحت مرتين".

فقال "لودندورف": - مرحى. مرحى!

ورفع كأسه ذا اللون الأزرق الفاتح والجذع السميك وشرب نخبنا وشربنا نخبه بطبيعة الحال. وأدهشني أن شهدت في يد "هتلر" قدحًا مملوءًا بالماء الخالص، فقال أخي "جريجور" مبتسمًا ابتسامة صاحب الدار الوديع: "إن هتلر لا يشرب الخمر"

ثم قال بعد أن ألقى نظرة قلقة على زوجته: "وهتلر نباتي أيضًا"

وكان صحن اللحم قد وضع على المائدة؛ فقالت زوجة أخي دون أن يبدو عليها أي اضطراب وكمن يتحدى: "إن الهر هتلـر يسيء إليّ إذا رفـض طعـامي، ولا أحسـبه يفعـل ذلك".

وكان الناظر إليها يقرأ في عينيها نفورهـا الغريـزي مـن هتلـر الـذي فرضـت عليهـا استضافته فرضا.

وكانـت (إلـزا) لا تشـعر قـط بالطمأنينـة الزوجيـة في حضرة أدولـف هتلـر، فقـد احتملته مرغمة طول السنين التالية دون أن تجرؤ على الإعراب صراحـة عـن اشـمئزازها منه، ولكن شعورها هذا لم يتغير أبدًا.

وأكل "ادولف هتلر" اللحم في ذلك اليوم، ولا أعتقد أنه تذوقه مرة أخرى منذ ذلك العهد.

وعـاد "لودنـدورف" إلى الحـديث فقـال: "وكيـف أنعمـوا عليـك بوسـام (مـاكس جوزف)؟".

إن هذا الوسام النادر الثمين الذي لم أتقلده بسبب انتهاء الحـرب كـان قـد أعـد لي لمكافأتي على عمل حربي مسجل في الكتـاب الـذهبي للفرقـة الأولى للمدفعيـة البافاريـة الخفيفة التي كانت تتألف من خيرة الجنود، والتـي كنـت فخـورًا بالخدمـة فيهـا، ولقـد رويت للجنرال، وأنا ممتلـئ بحماسـة الشـباب وكبريائـه، تفاصـيل الحـادث الـذي أورث أسرتي المجـد؛ فكـان "لودنـدورف" يصـغي إلي بانتبـاه كبـير، بيـنما التـزم هتلـر الصـمت الموحش لتضايقه من أنه لم يتخط مرتبة "الأونباشي" في الجيش، كما كان مغيظًا مـن أنـه لم يقم بعمل حربي يرويه ويفاخر به. ووجه إليه "لودندورف" عدة أسئلة لم يجب عليها إلا بهذه الكلمات:

"نعم يا صاحب السعادة! حقًا يا صاحب السعادة!"

وكان في إجابته مكتئبًا ومسرفًا في إظهار الاحترام والتبجيل.

أما "جريجور" فكان يبدو عليه أنه غير راض عن الحديث على الرغم من أنه كان ضابطًا مثلي، إذ كانت تربطه بهتلر رابطة وثيقة. فأشرف الاجتماع على الفشل، واستهدفت الآمال التي عقدها أخي على هذا الاجتماع للضياع. ولقد كان "جريجور" رئيسًا للمحاربين الوطنيين القدماء بمقاطعة بافاريا السفلى، فألحقهم بالحزب الوطني الاشتراكي في ربيع ذلك العام. وأنشأ أول شعبة سياسية لهذا الحزب في المديريات، فأصبح بذلك أول رئيس لشعبة من شعب الحزب الاشتراكي الوطني أو كما يسمونه الألمان جاولايتر Gauleiter.

ولما كان رب الدار مرءوسًا لهتلر أيضًا فإنه لم يرض بطبيعة الحال عن الحالة التي صار إليها الاجتماع. وكان "جريجور" منظمًا قديرًا مطبوعًا وذا نفوذ كبير كذلك النفوذ الذي يتمتع به الصيدلي والقسيس والطبيب في الأقاليم، فنجح في إقناع البافاريين الحذرين العنيدين وحملهم على الانضمام إلى هتلر. فهل يفشل في ضم شقيقه إليه؟

ثم انتقلنا إلى غرفة المكتب التي كانت مظلمة بعض الشيء ومؤثثة بأثاث من خشب الأرو الثقيل؛ فأخذ الجنرال مجلسه على مقعد كبير من الجلد واستغرق في تأملاته، وهو يدخن لفافة غليظة من التبغ.

أما هتلر فلم يستقر في مكانه بل جعل يروح ويجئ في الغرفة وهو مطأطئ الرأس يفكر في الانتقام، وهنا قال هتلر فجأة:

"إني لا أفهم يا هر "شتراسر" أن ضابطًا قديمًا من طرازك وإخلاصك رضي أن يتزعم ويقود جماعة الحُمر في فتنة "كاب" التي وقعت في شهر مارس"

فهذا كلام يدل على أن هتلر عرف الموضوع من أخي، فقلت:

"كانت جماعة الحُمر يا سيدي، تناصر الحكومة الشرعية، فلم نكن ثائرين كما يبدو ذلك من كلامك بل كنا وطنيين صادقين نحاول إخضاع بعض الرجال الثائرين

من القواد الرجعيين".

فقال هتلر: "كلا، يجب أن لا نأخذ بحرفية القول من أن اضطرابًا عنيفًا كان يتسع نطاقه شيئًا فشيئًا، بل ينبغي أن نفهم مغزى الأشياء وروحها، ففتنة "كاب" كانت ضرورية على الرغم من أنها أثيرت بوسائل ضعيفة غير ناجعة فقد من الواجب إسقاط حكومة فرساي".

وأشهد أني ما سمعت هتلر قط يقول "جمهورية فيمار" بل كان يسميها دائمًا "حكومة فرساي" وكان ينطق هاتين الكلمتين في اشمئزاز عميق. وقد كنت يومذاك في موقف حرج نظرًا لوجود "لودندورف" معنا، فلم أستطع الرد على هتلر بالصراحة والحماسة اللتين طبعت عليهما. وكان "لودندورف" ذلك الرجل الذي لعب دورًا غامضًا بعض الغموض في تلك الفتنة المشهورة؛ فقد شوهد في برلين في شارع "أونتردن ليندن" في الساعة التي دخلت فيها فرقة "أرهات" العاصمة دخول الظافر. فهل كان الجنرال أحد المشاهدين فحسب؟ أم شريكًا في تلك الفتنة من وراء ستار؟.. هذا ما لم أستطع معرفته حتى اليوم.

وعدت إلى الحديث فقلت:

"إن الرجعيين قد استغلوا وطنية الضباط الذين كانوا يجهلون السياسة، وكان "كاب" مرتبطًا في أثناء الحرب باتفاقات مع "تربتز" والرجعيين البروسيين والنبلاء وأصحاب المصانع لكبرى و"تيسين" و"كروب"، وكانت الفتنة ترمي إلى قلب نظام الحكم في البلاد".

وهنا نصرني "لودندروف" الذي كان يبدو عليه الانهماك بالتفكير في شيء آخر فقال:

"إنك محق فيما قلت. ولم يكن هناك ما يدعو إلى إثارة تلك الفتنة، وكان الواجب يقضي بالبدء بكسب ثقة الشعب حتى لا نضطر إلى استخدام القوة".

ولم يكد هتلر يسمع هذا القول حتى انقلب من موقفه إلى موقف آخر فيه مرونة وسلاسة، وقال بصوت رنان: "هذا حق يا صاحب السعادة"! ثم قال:

"هذا هو الهدف الذي ترمى إليه حركتي الثورية. فأنا أريد إشعال حماسة الشعب للأخذ بالثأر. فالشعب وحده، وتعصب هذا الشعب هما العاملان اللذان يكفلان لنا النصر في الحرب المقبلة".

ولقد أساءني هذا الرأي أيما إساءة؛ فرحت أعارضه بكل قواي قائلًا:

"إن المسألة ليست مسألة انتقام أو إثارة حرب، وعندي أنه يجب أن تصبغ مبادؤنا الاشتراكية بالصبغة الوطنية لكي ننشئ نظامًا جديدًا في ألمانيا لا لنتبع سياسة غزو جديدة".

فقال "جريجور" الذي كان يصغي في هيبة إلى الحديث إصغاءً جديًا:

"نعم سنأخذ من أحزاب اليمين "الوطنية" التي اندمجت لسوء الحظ في الرأسمالية، ونأخذ من أحزاب اليسار "الاشتراكية" التي اتحدت بالاشتراكية الدولية اتحادًا ضارًا، وبهذه الطريقة يمكننا أن ننشئ "الاشتراكية الوطنية" التي ستكون القوة المحركة لألمانيا الحديثة وأوروبا الجديدة".

قلت: "ولكن يجب أن تتغلب الصبغة الاشتراكية على هذه الوطنية الاشتراكية. ولماذا لا تصغ يا هر هتلر هذا الاسم أي "الوطنية الاشتراكية" في كلمة واحدة مركبة بدلًا من كلمتين؟ فقد دلت الأجرومية الألمانية على أن هذا النوع من الكلمة المكونة من كلمتين تكون الكلمة الأولى فيه وصفًا للثانية التي تعتبر أهم الكلمتين".

ولما كانت اللغة الألمانية غنية بهذا النوع من الكلمات المركبة، ضربت له بضعة أمثال على ذلك، فاحمر وجه هتلر وقطب ما بين حاجبيه. فقلت:

"اللهم إلا إذا كان مستشارك "روزنبرج" البلطيقي قد نسي اللغة الألمانية

فأصبح لا يمكنه تقدير هذا النوع من الكلمات المركبة!".

فضرب "هتلر" المائدة بقبضة يده وصاح فجأة: "كفى سفسطة!"، ثم حاول أن يسترجع هدوءه، وافترت شفتاه عن ابتسامة فاترة وقال مخاطبًا "جريجور":

"إن أخاك رجل من الرجال المثقفين الذين يصعب عليّ التفاهم معهم".

وهنا أسمعنا هتلر إحدى خطبه البهلوانية التي طالما أسمعنا كثيرًا من أمثالها فيما بعد، ثم راح "زعيم" ألمانيا يطعن في الصهيونية بعد أن غير بمهارة مجرى الحديث، الذي لم تستطع أن تجاريني فيه عقليته البدائية، وصاح قائلًا من جديد:

"إنك لا تستطيع بهذه الطريقة أن تغفل الأفكار والمبادئ وتفصلها عن جوهر الموضوع. وإني لمحدثك عن الحقائق والصهيونية حقيقة واقعة من هذه الحقائق، فانظر مثلًا إلى "ماركس" الشيوعي اليهودي، وإلى "راتنو" الرأسمالي اليهودي أيضًا. إن مصدر الشر كله هم هؤلاء اليهود. إنهم يسممون العالم، ومنذ معرفتي إياهم وفهمي لهم، لم ألتق رجلا في الطريق إلا سألت نفسي هل هو يهودي أو لا. فالصحف الاشتراكية الديمقراطية يديرها اليهود، وهؤلاء اليهود يخفون مبتكرات شيطانية تحت ستار من الآراء والأفكار الاشتراكية؛ فهم يريدون إبادة الأمة وإزالة الفوارق العنصرية وهم يقودون العمال، ويقومون بتحسين حالهم، والحقيقة أنهم يرمون إلى استعبادهم وقتل وطنيتهم وشرفهم لإقامة الدكتاتورية الصهيونية الدولية وسيحققون بالقوة ما لم يمكنهم تحقيقه بالإقناع، وجمعيات هؤلاء اليهود منظمة تنظيمًا دقيقًا، فلهم مساعدون في جميع مصالحنا الإدارية حتى في أعلى المراكز وأرقاها ويعاونهم إخوانهم في الملة في جميع أنحاء البلاد، فهم خميرة التخريب والهدم، يجرون الأفراد والشعوب إلى مهاوي الانحطاط والامتهان".

وكلما حاول هتلر أن يزيد بلاغته إقناعًا، كلما اشتد في روح النقد، ثم توقف الرجل ليأخذ أنفاسه فلمحني أبتسم؛ فقلت:

"إنك لا تعرف اليهود، يا هر هتلر، واسمح لي أن أقول أنك تبالغ في تقديرهم. فاليهودي رجل يتمشى بسهولة مع الظروف والأحوال، فهو يستغل "الممكنات" الحاضرة، ولكنه لا يستنبط شيئًا ما. يستخدم الاشتراكية، وينتفع بالرأسمالية، ويستغل الوطنية الاشتراكية نفسها كلما وجد لذلك سبيلًا. وهو يساير الظروف والأحوال بمرونة ومهارة لا يقدر عليهما إلا الرجل الصيني. فاليهودي "ماركس" لم يخترع شيئًا. ولقد كان للاشتراكية على الدوام ثلاثة جوانب؛ فدرس (ماركس) الجانب الاقتصادي بالتعاون مع الألماني (إنجلز)، وبحث (مازيني) الإيطالي الجانب الوطني والديني، وأشاد (باكونين) الروسي بالعناصر (الهلنستية) أو الفوضوية، وهي العناصر التي اشتقت منها الشيوعية؛ فأنت ترى من هذا أن الاشتراكية ليست صهيونية الأصل".

وهنا قال "لودندروف" معززًا كلامي:

"يقينًا، لا. فإن المبادئ الاقتصادية القديمة قد أدركتها الشيخوخة. وليس من المستطاع النهوض بالبلاد نهضة جديدة، إلا بواسطة "الاشتراكية الوطنية" التي ستعيد الرخاء إلى بلادنا".

فقال هتلر في عناد وإصرار:

"أما أنا، فإني أريد أن أقوم ما اعوج من هذا الشعب لينهض ويصبح قادرًا على سحق فرنسا".

فقلت: "إنك تجعل الغلبة إذن للوطنية. وفي هذا إنكار مرة أخرى للفكرة التي ترمي إلى تحقيقها، نعم ما من شك في أني لا أحبذ معاهدة فرساي. ولكني أرى أن فكرة الحرب ضد فرنسا هي فكرة حمقاء. وأعتقد أنه سيأتي يوم يجب أن تتحد فيه البلدان لمحاربة البلشفية الروسية".

وهنا بدت من هتلر حركة من عيل صبره. ووردت على خاطري فجأة ذكرى الفزع الأحمر في "ميونيخ" حيث التحقت عقب خروجي من المستشفى بفرقة الجنرال

"إيب" لإخضاع البولشـفيك في بافاريـا؛ فـأين كـان هتلـر وقتـذاك؟ وفي أيـة ناحيـة مـن نواحي ميونيخ كان مختبئا هذا الجندي الذي كان عليه أن يجاهد معنا؟! وبـدا لي هتلـر كأنه قد استطاع أن يقرأ أفكاري. ثم اقترب مني وقال:

"إني أفضل أن أشنق على مشنقة الاشتراكيين على أن أصبح وزيـرًا في ألمانيـا بفضـل فرنسا".

وهنا نهض "لودندورف" مستأذنًا في الانصراف، وتبعه هتلر.

وعاد أخي بعد أن شيع الرجلين، وقال: "ما رأيك"؟

فقلـت: "إني معجـب بــ "لودنـدورف" نعـم، إنـه لـيس عبقريًـا كــ "كونـاردفون هوتزندورف" القائد الـذي أنكـرت مواهبـه الجيـوش النمسـاوية المجريـة، ولكنـه رجـل بمعنى الكلمة. أما هتلر فإني أجده مفرطًا في الخضوع والخشوع أمام الجنرال، ومع ذلـك فهو ماهر جدًا في الحوار وتضييق الخنـاق عـلى منافسـه، إلا أنـه رجـل لا عقيـدة لـه في السياسة، وفصاحته رنانة صاخبة".

فقال "جريجور": "لعل هتلر لا يزال يحتفظ بشيء من خلق (الأونباشي) ومع ذلـك فإن قوة ما تصدر عن شخصية هذا الرجل، وهذه القوة هي الإيحاء الذي يصـعب عـلى الإنسان ألا يتأثر به. فما أعظـم العمـل الـذي يمكننـا أن نقـوم بـه لـو اسـتعنا بفصـاحة "هتلر" للتعبير عن أفكارك، وبنشـاط "لودنـدورف"، ومـواهبي في تنظـيم الأمـور لتنفيـذ هذه الأفكار وإخراجها من عالم الفكر إلى حيز العمل!".

الفصل الثاني

مطبخ ألمانيا الجهنمي

لم أقصد بوضعي هذا الكتاب أن يكون كتابًا سياسيًا، غير أنه من المستحيل أن يفهم الإنسان شخصية هتلر وقوة الأمواج الصاخبة التي حملته إلى سطح ألمانيا المضطرب، إذ هو لم يعلم الحوادث الدامية والجو الموبوء والقوى الخفية، التي كانت تهز "الرايش" تلك الدولة المقهورة البائسة طيلة خمسة عشر عامًا. فعندما تحققنا عجز الرجال الذين ساقتهم الثورة الزائفة في سنة 1918 إلى القبض على زمام الحكم، اعتقدنا أن ماضي البلاد قد تحطم وأن حاضرها أصبح ميئوسًا منه، وأن مستقبلها لم يعد فيه أي رجاء. وكان الإمبراطور قد لاذ بأذيال الفرار. ورأى الحلفاء المنتصرون أن يستبدلوا حكم "غليوم" البغيض بحكومة نموذجية أكثر ديمقراطية من حكوماتهم فكانت تلك الحكومة ضربًا من ضروب الأوهام، لأن شيئًا جديدًا لم يطرأ على "الرايش" المتداعي الأركان، اللهم إلا البؤس الذي جعل من الرجال وحوشًا ضارية.

ولا زلت أذكر صديقي القديم "مولر فان دنبروك" أي "جان جاك" الثورة الألمانية الذي انتحر في اليوم الذي علم فيه أن هتلر خان مثله الأعلى، والذي أنشأت معه عقب معاهدة فرساي "نادي يونيه" للعمل على النهوض بألمانيا نعم، ما زلت أذكره وأذكر ما قاله لي: "لقد خسرنا الحرب. ولكنا سنكسب الثورة". فيا له من وهم خاطئ! إذ كيف النهوض بشعب تتولى أمره حكومة أعضاؤها من الموظفين الشيوخ وصغار الطبقة (البورجوازية) الذين تعوزهم الشجاعة والإقدام؟

ولو أن رساما أراد أن يصور ألمانيا في أشد الصور هزالًا وبؤسًا لما أمكنه أن يختار لذلك من الوجهتين المادية والمعنوية أفضل من شخصيات "شيدمان" و" سيفرنج" و"إيبرت" من جماعة الموظفين، و"أرزبرجر" و"فهرانباخ" و"رايت" من

طبقة "البورجوازية" الجامدين، الذين يؤدون أعمالهم على وتيرة واحدة. وهكذا كانت هذه الحكومة التي تربعت في دست الحكم فوق أكوام من الخرائب حكومة مؤلفة من التافهين الضعفاء المجردين من العقيدة والمبادئ والمعرفة بالشئون السياسية.

وكان "إيبرت" ذو الآراء المعتدلة قد تولى رئاسة الجمهورية الألمانية بطريقة غير شرعية. وكان واضعو الدستور الجديد يرتابون في هذا الدستور بقدر ما كانوا يشكون في إخلاص الشعب الألماني لهم.

ولم تجرؤ الحكومة على إجراء انتخاب لتلك الرئاسة، وطبيعي أن هذا لم يعنها في قليل أو كثير، لأن ألمانيا لم تكن جمهورية إلا بالاسم كما لم يكن فيها أحد من الجمهوريين الصادقين.

ويجدر بي أن أذكر هنا كلمة "إيبرت" التي دلتني على ما سيكون عليه مستقبل هذه الحكومة، فقد قال ذات يوم "إني أبغض الثورة كما أبغض الخطيئة".

ولقد كنت في مقتبل العمر وحماسة الشباب، لا أعرف الحل الوسط، فقلت في اشمئزاز لـ "مولر فان دنبروك" الذي شعر مثلي بخيبة الأمل: "إنه يبغض الثورة، لأنه ينفر من الخطيئة. فهل كان يتأتي لـ "دانتون" أن يمقت الخطيئة؟ نعم، إنه حقًا كـ "دانتون". وها أنذا اليوم أبتسم عندما أذكر أني شبهت "إيبرت" التقي ببطل الثورة الفرنسية!.

وبعد، فلنعد إلى الكلام عن حالة ألمانيا السيئة في ذلك العهد. أمرت السلطات الألمانية بإزالة كلمة "ملكي" التي كانت منقوشة على واجهات جميع الدور العمومية، واكتفت في بعض الأحيان بإلصاق إعلانات موضع هذه الكلمة لحجبها عن الأنظار! وكانت الفوضى تسود البلاد، ودب الفساد في جميع المصالح الحكومية. ولم يفد الحلفاء ما ظفروا به من القضاء على نفوذ العسكريين في ألمانيا، وما كسبوا بالتخلص من الروح الحربي فيها، لأن الموظفين القدماء ظلوا في وظائفهم واعترفت جمهورية

فيمار "بحقوقهم الشرعية" وبأنه لا يجوز فصلهم إداريًا. وكان المستشارون السريون يضايقون الوزراء الذين كانوا عرضة للتغيير، فإن لم تكن أوامرهم في مصلحة الموظفين أغفلت ولم تنفذ.

وعندما حصلت على شهادة الدكتوراه في كلية الحقوق عينت في أحد المناصب بوزارة الزراعة، وبعد ذلك بزمن قصير، تقلد الهر "هرمس" مهام هذه الوزارة. ورغب هذا الوزير الجديد في أن يلحق به "سكرتيرته" الخاصة، فأفضى برغبته هذه إلى مستشار الوزارة السري؛ فأبلغه هذا الأخير أنه لا توجد وظيفة شاغرة في ذلك الوقت، ثم قال:

"يجب أن يوافق المجلس على ميزانية خاصة نعرضها على البرلمان، وإني لأعتمد على معاليكم لإقناع النواب بضرورة الموافقة على هذه الميزانية".

وطبعي أن الوزير المسكين لم يفز بمطلبه قط، وأن رسائله جميعها كانت تكتب من نسختين على الآلة الكاتبة، وتعرض على المستشار السري لفحصها واختبارها.

ثم ما هي الحالة التي كانت عليها ألمانيا في ذلك الوقت؟..كانت ألمانيا في أشد حالات الاضطراب مثلها مثل بوتقة تغلي فيها سوائل خطرة، وكان الأجانب الذين عرفوا بقلة الرغبة في معرفة حالة بلادنا الحقيقية، يلاحظون تصاعد الأبخرة الفاسدة من ذلك المطبخ الجهنمي دون أن يأبهوا لذلك كثيرًا، ولم يشعروا بأنه سوف تتولد من هذا الاضطراب الشديد والبؤس المفرط حركة رجعية تحمل في ثناياها جرثومة البروسية الثائرة وحربًا جديدة.

وليس هتلر وأعوانه الذين حملوه إلى منصة الحكم إلا نتاج تلك البوتقة اللعينة.. نعم، إن ألمانيا خسرت الحرب، ولكن لم تكن هذه الخسارة كل شيء؛ فقد كان الشعب الألماني يموت جوعًا، وكانت منتجات الأرض في أوروبا جميعها آخذة في النقصان. وكان الحصار قد خنق إمبراطوريات أوروبا الوسطى خنقًا تامًا، وكانت

قروض الحرب قد استغرقت مائة وعشرين مليارًا من الماركات الألمانية فأصبحت الطبقة الوسطى في عداد طبقة العمال، وحرم أصحاب الدخل القليل من دخلهم.

ولست أعتقد أنه كان في ألمانيا عام 1922 أكثر من 3% من السكان ممن يملكون ثروة تقدر بـ 5000 مارك ذهبًا. وكانت شركات التأمين قد توقفت عن دفع الأقساط لمستحقيها، وكان يموت في فقر مدقع من قضوا معظم حياتهم في ادخار مبالغ بسيطة من المال لأيام الشيخوخة. وكان مقعدو الحرب لا يتسلمون مرتباتهم، غير أن هذه الحالة لم تكن نتيجة معاهدة فرساي كما توهم الناس، بل كانت أثرًا مباشرًا من آثار الحرب نفسها التي قضت على موارد البلاد الاقتصادية.

وكانت هناك مشكلة تسريح الجيوش جميعها؛ فأصبح رجال الجيش وجنوده من العاطلين، ولم يكن ثمة بد من أن يقوموا فيما بعد بثورات عديدة ومحاولات ترمي إلى قلب نظام الحكم،كما حدث في فتنة (كاب)، حتى لا يكتب عليهم الفناء، وليدفعوا عن أنفسهم غائلة الجوع وشبحي العطل والمستقبل الحالك.

وكان هؤلاء الجنود عائدين من ساحات القتال فحسب من بولندا التي احتلت، مليون وخمسمائة ألف رجلًا وكان في برلين وغيرها من مدن ألمانيا الكبرى 300 ألف ضابط، وعدد يتراوح بين 700 ألف و800 ألف ضابط صف من العاطلين يخبطون في الحياة بدون غاية.

وكان أبطال معارك البلطيق الذين دافعوا عن فنلندا ضد روسيا قد عادوا إلى ألمانيا بقيادة (فون ديرجولتز) والكابتن "شتينس" والملازم "روسباخ" فإذا كان لا يزال هناك رجال قد بلغوا حدًا من السذاجة بحيث يعتقدون في حسن نية "أدولف هتلر" فيما يتصل على الأقل بالمثل العليا للشعب الألماني فليتذكر هؤلاء الناس تضحيات الجنود الألمانية في ذلك النضال، وليوازنوا بين ذلك الموقف وبين الموقف الحالي الذي اتخذه "الفوهرر" في النزاع الروسي الفنلندي الأخير، ومع ذلك فإن هتلر لم يشترك على الإطلاق اشتراكًا جديًا في الجهاد الذي قام به الألمان بعد الحرب في سبيل الدفاع

عن شرفهم وكيانهم.

كذلك لم يكن هتلر أحد جنود الجنرال "فون أيب" الذين أسقطوا عام 1919 دكتاتورية "كورت إيستر" الحمراء، كما أنه لم يكن من بين رجال "فون ديرجولنز". وعندما دارت في (سيليزيا العليا) رحى المعارك الدموية التي دافع فيها المتطوعون الألمان عن الحدود الألمانية ضد القوات البولونية، استقبل هتلر الرماة النمساويين المتطوعين ونصحهم ألا يشتركوا في هذه المعارك، ولكنه لم يستطع إقناعهم ولا منعهم من القتال فالتزم داره يفكر سرًا في وضع خطته الجهنمية، خطة الغدر والخيانة التي تمكن بها من القبض على زمام الحكم.

وحاولت العناصر السلمية مقاومة ذلك الحكم السقيم الهزيل، حكم دعاة الديمقراطية من الموظفين المنافقين؛ ففي المؤتمر الأول للعمال والجنود السوفيتيين الذي تألف من أعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي ومن الاشتراكيين المستقلين في ألمانيا ومن شعبة الجنود، ألقى "هيلفردنج"، أحد أعضاء اليسار الديمقراطيين، وممن تقلدوا الوزارة فيما بعد، خطابًا تافهًا كان من شأنه أن أجلت جميع قرارات المؤتمر المهمة إلى أجل غير مسمى.

وكنا قد طالبنا في هذا المؤتمر - كما طالبنا خلال فتنة (كاب) التي وقعت فيما بعد - بتطبيق المبادئ الاشتراكية على جميع المصانع الكبيرة والمناجم؛ فقال الوزير: "إن هذا الطلب يرضى عواطفكم الثائرة ويشرفها، غير أن الشؤون السياسية لا يمكن أن تقررها العواطف".

وظل الخطيب أربع ساعات يشرح لمستمعيه أن الحالة الحاضرة لا تسمح بتطبيق المبادئ الاشتراكية على الوجه الأكمل، واقترح في ختام خطابه تأليف لجنة لدرس هذا الموضوع وبحثه. فوضع الضباط القدماء والجنود والعمال ثقتهم في أقوال الخطيب وقبلوا اقتراحه، وظلت اللجنة تعقد جلساتها العديدة شهورًا وأعوامًا، ولكني لم أر لها أي قرار أو عمل إيجابي. وانفرط عقد اللجنة دون أن تجد للموضوع الذي شكلت

من أجله حلًا.

عندئذ ظهر النفعيون من اليهود، وزاد ظهورهم في عداء الشعب الألماني لليهود، هذا العداء المتأصل في نفوس الألمانيين. وانطلق هؤلاء التجار الجشعون يستغلون جوع الشعب وتدهور قيمة "المارك" فجعلوا يبتاعون المؤن من البلاد الأجنبية ويبيعونها في ألمانيا بأسعار مرتفعة جدًا.

ولم يكتفوا بذلك، بل استغلوا "مصرف الرايش" نفسه، ثم تسللوا بمهارة إلى دور الحكومة ومصالحها، واتصلوا بكبار الموظفين والوزراء أنفسهم، فشككوا الجماهير في أولئك الذين كانوا يمثلون السلطة ويدافعون عن الطبقة الفقيرة المخدوعة بحكم عملهم، وحدثت فضائح من بعض يهود غاليسيا أمثال: "كوتسكر"، و"بارمات"، و"سكلاريك" هزت صرح المالية الألمانية المتداعي الأركان وأثارت في البلاد موجة من السخط والاشمئزاز.

وواصل الأخوان "بارمات" اللذان طردا من "الرايش"، أعمالهما الفاضحة في هولندا، حيث ظهر لهما عمل آخر من أعمالهم ومناوراتهم المجرمة. أما الأخوة الثلاثة "سكلاريك" فإنهم قد رحلوا إلى تشيكوسلوفاكيا حيث استأنفوا أعمالهم، ومشاريعهم القذرة. وأتم أصحاب الصناعات الكبرى في ألمانيا ما بدأه هؤلاء التجار اليهود الجشعون؛ فجمع "شتتاينس" ملك الصناعات الثقيلة، الذي بدأ حياته العملية في الاتجار بنقل الفحم، ثروة طائلة، كما ابتاع جميع المصانع المنافسة له فأنزل الخراب بالصناعات المتوسطة. وكانت البلاد في ذلك العهد تقاسي متاعب تضخم العملة. وكان "المارك" آخذًا في السقوط المستمر.

وكان الناس يتسلمون مرتباتهم يومًا بيوم، وكانت هذه المرتبات تتغير طبقًا لتقلبات العملة. كما كانت أسعار السلع عرضة للصعود إلى الضعف، فالضعفين، وهكذا.. فيما بين لحظة وأخرى، فيتحتم على الشاري أن يعقد الصفقة ويدفع ثمنها على الأكمل في الحال، وكان الأجانب يفدون على البلاد زرافات ووحدانا، يبتاعون

بالريالات أو الجنيهات أو الفرنكات التحف الفنية والمواد الضرورية التي كان سكان البلاد أنفسهم لا يستطيعون شراءها؛ فازداد تعصب الألمان وكراهتهم للأجانب إزاء تلك الحال المنافية للخلق الطيب، وسرعان ما أصبح الدولار الأمريكي يساوي 200 مليون مارك وكان ثمن طابع البريد 12 مليارًا من الماركات، ولكي يدرك القارئ مدى المأساة يجب أن نذكره بأن المليار يساوي ألف مليون.

وكان الغضب يتصاعد من صدور الجماهير، وكانت الطرق تدوي بالمظاهرات الصاخبة الفياضة بالحقد والكراهية، وكان يبدو على وجوه الناس ذلك اليأس العميق الذي يدفع بصاحبه إلى ارتكاب أخطر الأمور من غير وعي ولا تفكير؛ فأكدت الحكومة - وهي على ما نعلم من العجز والضعف - أنه يجب العمل على تفادي خطر انطلاق الثورة من عقالها. ولكن هذه الحكومة التي كانت تدين بآراء الإمبراطور "غليوم" العتيقة، لم تتوقع حدوث اضطرابات دموية أو محاولات خطيرة لقلب نظام الحكم إلا من جانب أحزاب اليسار.

وفي عام 1920 ظهرت في أفق البلاد علامات منذرة باقتراب الثورة على أثر مقتل الهر "أرتسبرجر" وزير المالية، الذي اغتاله ضابطان من ضباط البحرية هما الملازمان "شولتز" و"تيلسين" من فرقة "أرهارت"، ولقد كانت الفوضى التي حلت بالبحرية الألمانية أشد من تلك التي نزلت بالجيوش البرية، فهذه الجيوش كانت قد سرحت تدريجيًا.

وتوصل فريق من ضباطنا القدماء إلى كسب عيشهم باحتراف السمسرة، وبالتوظف في شركات التأمين والمصارف والمصانع. أما ضباط البحرية فكانوا عاطلين جميعًا، يخبطون في سبل الحياة خبط عشواء. وكان الأسطول الحربي قد دمر والأسطول التجاري قد تناقص إلى 10 في المائة من قوته التي كان عليها قبل الحرب.

وكان "أرهارت" الذي فر إلى السويد، عقب الفشل الذي منيت به فتنة " كاب" رئيسًا لجمعية المتآمرين على الحكومة، واغتيال الضابطان السابق ذكرهما وزير

المالية بإيعاز من "أرهارت" وإطاعة لأوامره غير أن حكومة (فيمار) الجمهورية ظلت مغمضة العينين على الرغم من أن مقترفي الجريمة كانا ينتميان إلى أحزاب اليمين. وتتابعت فيما بعد حوادث الاغتيال ومحاولات قلب نظام الحكم تارة من أحزاب اليمين وأخرى من أحزاب اليسار.

وفي سنة 1921 حاول بعض الناس من شركاء الكابتن "أرهارت" اغتيال "شايدمان" زعيم الاشتراكيين الديمقراطيين وأحد مستشاري "الرايش" سابقًا. وأثيرت حملة طعن وتجريح شنيعة ضد "إيبرت" ذي الآراء المعتدلة الذي كان يبذل أقصى جهده لإرضاء الجميع دون جدوى.

وفي عام 1922، اغتال الرجعيون من أحزاب اليمين "فالتر راتناو" أحد كبار أصحاب المصانع اليهود، ووزير الخارجية، وصاحب معاهدة "رابلو" التي أبرمت بين ألمانيا وروسيا.

وقام الشيوعيون عام 1919 بأول ثورة شعبية في برلين، وفي نفس العام طرد (فون إيب) الاشتراكيين من "ميونيخ". وفي سنة 1920 وقعت فتنة "كاب" التي كان يعضدها العسكريون من أحزاب اليمين، وانتهت هذه الفتنة بمعارك دموية دارت رحاها في "الرور".

وفي عام 1921، جاءت الأنباء بوقوع اضطرابات في "هاللا" و"مرسبورج" و"ماجدبورج" من مدن ألمانيا الوسطى. وفي نفس العام ثار الاشتراكيون في (هامبورج) وحاول (هولنز) أحد أصدقاء السوفييت قلب نظام الحكم سنة 1922 ولكنه اضطر إلى الفرار إلى روسيا، حيث أعدمه (ستالين)، كما أعدم جميع من خدموه.

فمن هذه المصالح المتعارضة والرغبات الخفية الألمانية التي كان يجهلها ولاة الأمور في الدول الأوربية الكبرى، نشأت حركتان سياسيتان هما حركتا حزب اليسار المتطرف وحزب اليمين المتطرف. وبدأت العناصر المعتدلة تسود داخل الحزبين،

ولكن بينما كانت دول أوروبا الغربية تستمتع بثمرات فوزها، كانت روسيا ترقب بانتباه شديد تطور السياسة الألمانية. وتمكن (زنوفيف) رئيس (الكومنترن) الذي قتله ستالين هو أيضًا، من أن يكون المقرر الأول في مؤتمر الحزب الاشتراكي الذي عقد في (هال).

وكنت لا أزال تلميذًا، ومضطرًا إلى كسب عيشي، فشهدت المؤتمر كمراسل لصحيفة هولندية وأخرى سويسرية. وأشهد أني قلما التقيت برجل موهوب فصيح اللسان أفضل من "زينوفيف"، فقد ألقى هذا الرجل خطابًا استغرق سبع ساعات، استطاع به إثارة الخلاف بين صفوف الاشتراكيين. وحمل نصفهم على اعتناق المبادئ الشيوعية. وصار معظم أعضاء الحزب الاشتراكي المستقل أعضاء في الحزب الشيوعي الألماني، الذي تولى قيادة حركة المتطرفين من حزب اليسار.

وكان الجناح اليمين يتألف من (أصحاب الخوذات الفولاذية) بقيادة "زيلتا" و"يتسبرج"؛ ومن حزب العمال الاشتراكي الوطني برئاسة هتلر. أما "راديكالية" أحزاب اليمين فإنها لم تخط إلى الإمام إلا فيما بعد وذلك بفضل نفوذي ونفوذ أخي (جريجور).

وكانت حالة ألمانيا بعد الحرب ينطبق عليها المثل الفرنسي القديم: "الطرفان يلتقيان" انطباقًا تامًا. فكان من المستطاع إنشاء حزب نموذجي أو مثالي من العناصر الطيبة من أحزاب اليمين واليسار. وجرت بالفعل محاولات عدة في هذا الصدد، أسفرت عن الفشل وخيبة الأمل. وكانت المحاولة الأخيرة تحت رعاية "أدولف هتلر"، فأخفقت كسابقاتها. ولا زلت أذكر جيدًا أول سعي جرى في سبيل التقريب بين هتلر والدولية الثالثة، فقد وقع هذا التقرب بعد إعدام "شلاجيتر" في "الرور" بزمن قليل.

وكان الكونت "دي رفانتلوف" النائب الوطني، الذي أصبح فيما بعد من أنصار هتلر المخلصين يدير إحدى صحف اليمين، المسماة (حارس الرايش)، كما كان "راديك" رئيس الدولية الثالثة يصدر إحدى صحف اليسار وهي "العلم

الأحمر".

وقرر هذان الرجلان النابغان اللذان اقترب أحدهما من الآخر بواسطة حزب العمال الوطني الاشتراكي، أن يتبادلا المعونة في العمل؛ فدهش القراء عند اطلاعهم في جريدة (حارس الرايش) على مقال بإمضاء "راديك" مدح فيه "شلاجيتر" الملقب بـ "الراحل إلى عالم الفناء".

ولقد كتب كثير من الكتاب عن هذا الرجل، وجعلت منه ألمانيا المعاصرة بطلًا من أبطالها الوطنيين. أما الرجال بعيدو النظر - الذين عرفوا هذا الرجل وهو في مقتبل العمر، تتملكه رغبة قوية في العمل، وهيام جنوني بالاستقلال - فإنهم يرون فيما حدث لـ "شلاجتر" غموضًا وتعقيدًا. وهم يتساءلون عن الحالة التي صار إليها هذا الثائر، عدو الاشتراكية اللدود والنظام الهتلري.

ألم يثر هو أيضًا على الاستبداد؟ ألم يستيقظ هذا المغامر ليدافع عن البلاد التي كان يحبها ضد أبشع ضروب العنف والاستبداد فكان في يقظته كمن يمشي في النوم إلى حتفه؟ إنه لم يفلت من مخالب الأحداث التي وقعت في 30 يونيه.

لقد تأثرت الثقافة والعادات والآداب الألمانية، كما تأثر المسرح والتمثيل السينمائي في ألمانيا بذلك العهد المضطرب الخطر الذي هوت فيه الأخلاق في لجج النسيان؛ فانغمس الشعب في حمأة الملذات والرذيلة. وكثرت المنتديات الليلية كما تكثر الأعشاب بعد تهاطل الأمطار. وكانت الراقصات العرايا يعرضن أجسامهن على الجماهير التي أثملتها الخمور والملذات، فكان عصر المجون والرذيلة، وإنصاف المعتوهين والفلكيين والمنجمين والضالين وغيرهم.

ولا ريب أن أحدًا لم ينس الضجة الهائلة التي قضيتا أثارتها "كيرتن" و"هارمان" سفاح "دوسلدورف". ومن أعجب الأشخاص الذين ظهروا بعد الحرب المنجم البارع "هانوسين" أو "كاجليوسترو" ذلك الوسيط الملقب بـ "أدولف هتلر"، ولقد ظن الناس

أن "هتلر" تخلص من صاحبه هذا كما تخلص من كثير مـن أصـدقائه الآخـرين، غـير أن الحقيقة هي أن "هانوسين" كان يهوديًا فأيقن أنه سيأتي يـوم مـن الأيـام يسـتهدف فيـه مسـتقبله لأخطـار مبـادئ هتلـر العنصريـة؛ فعمـد الرجـل إلى التقـرب مـن الكونـت "هلدورف" وهو مخلوق خليع في حاجة دائمة إلى المال؛ فأقرضه مبـالغ كبـيرة واسـتكتبه بها عقودًا حرص عليها كل الحرص. بيد أن الكونت "هلـدورف" لم يفكـر قـط في أن يـرد الدين إلى صاحبه، وعندما قبض هتلر على زمام الحكم في ألمانيا، عين "هلـدورف" مـديرًا للبوليس؛ فأوعز هذا الأخير إلى معاونيه فقتلوا المنجم "هانوسـين" الـذي تنبـأ بكـل شيء عدا هذه الجريمة! أما عقود الدين التي كان يحملها القتيل فلم يعثر عليها قط.

ولقد نشأ من تلك الحال المضـطربة التـي كانـت تتخـبط فيهـا الـبلاد، فـن سـقيم واقعي من فنون (الدراما)، وكـان الأدب الــ "رومانسسـم" في ذلـك الوقـت يـدور حـول الفجور والبغاء، فشهدنا على الشاشة البيضاء شريطًـا للممثلـة الشـهيرة "جريتـا جـاربو" يسمى: (الشارع الحزين) من رواية (بتور) النمسـاوي الـذي قتلـه ذات مسـاء نفـر مـن قرائه في شوارع "فيينا"، ورأينا على المسرح رواية "قاتل أبيه" للكاتب "بـرونين" و"الحيـاة لنا" بقلم "تولر" و(كاسترال) وهي مسرحية رمزية، كان بطلها المجـرد مـن رجولتـه يمثـل (الرايش) جميعه، وشـهدنا مسرحيـات أخـرى كمسرحيـة: (كاترسـو) و(ماهـاجوني) كـما سمعنا موسيقى (كورت فيل).

وبينما كانت مبـادئ أحـزاب اليسـار الثوريـة تطغـى عـلى المسرح، كـان كتـاب اليمين يصدرون كتبًـا سياسـية وفلسـفية، يؤيـدون فيهـا مبـادئ هتلـر مـن حيـث لا يشعرون. وليس في استطاعة مؤرخ العصور القادمة أن يفهم ويشرح تاريخ (الرايش) الثالث إلا إذا قـرأ كتـابي (تـدهور الغـرب) و(البروسـية والاشـتراكية) للكاتـب الكبـير (شبنجلر) و(شعب بلا مجال حيوي) و(ميراث من ليس له ميراث) وكتب أخـرى مـن هذا النوع. ولا يفـوتني أن أذكـر كتبًـا أخـرى مهمـة مثـل: (ثـورة اليمـين) و(الـرايش

الثالث) لصديقي الكبير (مولز فون دن بروك) أخلص المخلصين بيننا.

ولقد جرى حوار خالد بينه وبين (شبنجلر) الذي كان يقدس البروسية في جلسة عقدت في (نادي يونيه) شهدها هذان الرجلان اللذان يعتبران في طليعة كبار المفكرين في هذا العصر، فكان من رأي (شبنجلر) أنه يجب استخدام الاشتراكية لمصلحة البروسية، وهذا هو الرأي الذي أخذ به هتلر، أما "مول رفون بروك" فقد لخص رأيه في هذه الجملة: "لقد كنا جرمانيين، ونحن الآن ألمانيون، وسنكون غدًا أوربيين" غير أن هتلر لم يفهم هذا الرأي مطلقًا.

وفي سنة 1929 كان هتلر لا يزال يقول مستندًا إلى كتاب "الرايش الثالث" لصديقي السابق الذكر: "كان الرايش الأول "بسمارك"، والرايش الثاني لجمهورية فرساي، أما الرايش الثالث فهو أنا".

وكنت كلما سمعته يقول هذا القول الشنيع، رددت عليه: "كلا لقد قال (مولر فون دنبروك): (كان الرايش الأول إمبراطورية شرلمان المقدسة المؤلفة من الولايات المتحدة المسيحية، وكان الرايش الثاني رايش غليوم وبسمارك، ويجب أن يكون الرايش الثالث (اتحاد أوربي مسيحي).

"وصلت الأوامر من ميونيخ. وهي تقضى بالشروع في العمل هذه الليلة".

كان "هينريش هملر" مساعد أخي "جريجور" واقفًا في مكتب هذا الأخير وقفة عسكرية، وهو في أشد حالات الانفعال.

"هل هي أوامر من هتلر؟"

"نعم"

أعلن هتلر منذ عدة أسابيع، وخاصة خلال الأيام الأخيرة من شهر أبريل عام 1923، في اجتماعات عدة: (لن تحدث مظاهرات أول يونيه إلا إذا مشى

المتظاهرون على جثتي بأقدامهم).

وبناء على هذا دقت ساعة العمل، وكانت جمعيات اليمين تستعد للرد في اليوم التالي، على الاضطرابات التي قام بها الشيوعيون في الأيام الأخيرة، بحملة فاصلة.

وكان قد اتخذت طيلة نهار 30 أبريل استعدادات سريعة سرية في مدينة (لاندشوت) الصغيرة. ووردت الأوامر بشأن ذلك من عاصمة المقاطعة إلى قرى بافاريا السفلى. وكان جنود (جريجور) من المحاربين القدماء، الذين انخرطوا منذ ثلاث سنين في سلك فضائل الهجوم، يتأهبون لإقامة نظام جديد في ألمانيا. فلم يكن هناك بيت يخلو من السلاح، وكان الناس يرقبون بشوق ولهفة قدوم اليوم الذي تشتعل فيه نيران الثورة. وكانت الحظائر مملوءة بسيارات النقل القديمة التي أعدت للثوار عندما تتاح لهم فرصة العمل.

وعندما أرخى الليل سدوله أخذ رجال (لاندشوت) الطريق وعلى رءوسهم خوذات فولاذية ثقيلة. وكان هؤلاء الرجال من جماعة (فلدجرو) الذين خاضت ملايين منهم غمار الحرب الماضية وانطلقت سياراتهم المضاءة بمصابيح محجبة الأنوار في الطريق المنبسط الذي يخترق السهل الممتد من (داشو) إلى ضواحي (ميونيخ)، وكان (جريجور) يتولى قيادة تلك القافلة السوداء المؤلفة من 3000 رجل، والتي كانت تشبه أشباحًا تسير في أحشاء الظلام الدامس. وهنا دوّت وسط سكون الليل أبواق سيارات مجهولة، وأضاءت هذه السيارات الطريق بأنوارها الساطعة، وهي تطوي الأرض طيًا فتهامس رجال (جريجور): (البوليس، البوليس).

ولحق بعض هذه السيارات بالقافلة، وأوقف رئيس الشرطة سيارة (جريجور) فالتقى الرئيسان وجهًا لوجه، وصاح (جريجور) (أهل هو أنت، من أي بلد قدمت؟) فقال الملازم (جورج هوفلر) زوج شقيقتي (أولجا): (أنا قادم من لاندشوت) مثلك.

كان (جورج هوفلر) ضابطًا في البوليس ورئيسًا لشرطة (لاندشوت) منذ أن

ترك الخدمة في الجيش العامل، فقال (جريجور).

- أي بلد تقصد؟

- ميونيخ، مثلك

- أمعنا أنت أم ضدنا؟

- لا أدري. سيتسلم كلانا أوامره في ميونيخ

ومكث (جريجور) و(جورج هوفلر) لحظة وجهًا لوجه، ينظر أحدهما إلى الآخر في تردد وحيرة، وكان الأول طويل القامة أشقر الشعر مفتول العضلات، وكان الثاني نحيف القوام، رقيق البدن، ولكنه ذو وجه نحاسي تبدو عليه الشجاعة ومضاء العزم. فقال (جريجور) في شيء من الفلسفة: (سنرى غدًا).

وقال (هوفلر) وهو يشد على يد صاحبه: (أتمنى لك حظًا سعيدًا!) واستأنفت سيارات البوليس سيرها الحثيث قاصدة إلى (ميونيخ) كما انطلقت سيارات فصائل الهجوم في طريقها إلى (ميونيخ) أيضًا.

ولقد كانت تلك المقابلة الليلية التي انتهت بعد مضي بضعة شهور بمأساة، أول فصل مضحك من فصول تلك الدعابة التي حدثني عنها أخي (جريجور) وزوج شقيقتي مرات عديدة. وقال لي (جريجور) وهو يقص على تفاصيل الحوادث التي وقعت في أول مايو:

(كان ذلك اليوم يوم التجربة العامة لثورتنا).

وكنت كلما أكدت لأخي أن هتلر - بطل هذه الحوادث - كان يستحق استهجان الجمهور وتعريضه، هز (جريجور) كتفه كمن أراد أن يقول (إنك لن تفهم شخصية هتلر أبدًا..).

واصل "جريجور" السير في طريقه خلال الليل، وهو مشغول بفكرة لا تبرح

خاطره: إما أن هتلر يعمل لحساب الحكومة وقصد رجال الشرطة إلى (ميونيخ) لتعضيد الثورة، وفي هذه الحالة ستكون الثورة مرة أخرى ثورة (بورجوازيه)، وإما انفضح سر الثوار حتى أنهم سيحرمون من ميزة المفاجأة، وستتمكن السلطات من القبض عليهم في هذا المساء نفسه.

ومع ذلك لم ير أحد أي شيء يدعو إلى الريبة والشك حتى وصول فصائل الهجوم إلى (ميونيخ).

واتصلت فصائل اليمين الثلاث بعضها ببعض في ساحة المناورات الكبرى في المدينة دون أن يقع حادث ما، فظهرت فصائل (جورنج) الهجومية بكامل عدتها، وبجانبها كتيبة (أوبرلاند) التابعة للدكتور (فيبر) ثم فصيلة (اتحاد علم الرايش) بقيادة الكابتن هيس، وكانت الثورة تحت رعاية الجنرال (لودندورف) وبزعامة هتلر سياسيًا، وبقيادة الليوتنانت كولونيل (كريبل) حربيًا.

وكانت الساعة الثامنة صباحًا، وكان الطقس حارًا كما هي الحال في شهر يوليه، وكانت الشمس ترسل أشعتها على عشرين ألف خوذة فولاذية وعلى ملابس الثوار القديمة التي كانت لديهم منذ الحرب، وكانت فصائل هجوم (ميونيخ) بقيادة الملازم (روسباخ) ترتدي القمصان السمراء التي كان هتلر يمقتها أشد المقت. فقد حمل هذا الضابط الشاب الذي نظم شباب الرايش؛ جنوده على قبول هذا الزي.

كذا اجتمع رجال (أدولف هتلر) في مكان واحد، فكان هناك (هرمان جورنج) يرتدي لباسًا ضاق بجسمه اليدين، و(فريك) و(هيس) و(شترايشر) و(جريجور ستراشر) و(هملر)، وكبار المأساة الهتلرية وصغارها، وجميع هؤلاء الذين كتب عليهم أن يلعبوا دورًا ما في هذه الثورة، وأولئك الذين ظلوا أشخاصًا خاملين، ومن قضت عليهم أساليب العنف الدموية.

ومضت عشر ساعات على أدولف هتلر، وهو مقطب الجبين، يرفع خوذته

الثقيلة من وقت لآخر، ويجفف جبينه المتصبب عرقًا. نعـم مضى وقـت طويـل دون أن تصدر إليهم الإشارة المتفق عليها، وفي الساعة الحادية عشرة لاحت في الأفق فصـيلة مـن الجيش يحوطها من اليمين واليسار رجال البوليس.

ولم تمض لحظة حتى ضربت هذه الفصيلة حصارًا محكمًا حول الثوار، وكان المـلازم (هوفلر) يتولى قيادة البوليس، وكان الكابتن (ريم) أحد ضباط الفصيلة، وهنـا ثـار هتلـر ثورة جنونية وانقض وهو يرغي ويزبد على الكابتن (ريم) وصاح به قـائلًا: "لقـد غـدرت بنا".

غير أن "ريم" لم يكن يخشى هتلر، بل كـان لا يـزال يعتـبره ذلـك المـرءوس الصـغير و"أونباشي" الفرقة السابعة التي كان "فورايـب" يتـولى قيادتهـا. وكـان (ريـم) قـد عـرف (هتلر) في سنة 1919 واستخدمه منذ ذلك العهد مخبرًا لاسـتقاء الأنبـاء والأخبـار. وكـان (ريم) ضـابطًا في هيئـة أركـان حـرب (فـون إيـب) ومسـئولًا عـن الشـئون السياسـية في (بافاريا).

وكان تحت أمرته عـدد مـن الرجـال والضـابط المكلفـين باسـتراق السـمع واسـتقاء الأنباء عن الأعمال السرية لمختلف الأحزاب. واتفق لـ (ريـم) أنـه أرسـل هتلـر يسـتطلع ماهية ذلك الحزب الجديد، المسمى بحزب العـمال الـوطني الاشـتراكي الـذي بـدأ النـاس يتحدثون عنه في (ميونيخ) فوضع الأونباشي هتلر تقريرًا قال فيه:

(إن هذا الحزب يتألف، يا سيدي الرئيس، مـن عامـة الشـعب والعـمال وهـم مـن أعداء الماركسية).

وكان (ريم) سريع الخاطر، منظمًا من الطـراز الأول، يعـرف رجالـه خـير المعرفـة. ولقد استوقفت نظره منذ عهد طويل قـوة هتلـر الإيحائيـة. وذات يـوم أصـدر (ريـم) الأمر التالي إلى الأمباشي الصغير: (التحق بهذا الحزب، واجتهد أن تؤثر في نفـوس هـؤلاء الناس). فقام هتلر بمهمته خير قيام، حتى أنه استطاع في بضعة شهور أن يسـيطر عـلى

زعيم الحزب (دركسلر)، كما أنه تمكن من فصل المهندس (هارير) الذي كان معدودًا من الأعضاء المهمين في الحزب.

واستطاع هتلر بمعونة (ريم) المالية أن ينظم الحزب، وينشئ جماعات مهمة من فصائل الهجوم ذات الصبغة الحربية، وكانت فرق الجيش النظامي التي اضطرت إلى التجرد من سلاحها تتخلى لفصائل الهجوم عن الأسلحة التي كانت تريد إخفاءها عن مراقبة الحلفاء.

كذلك توصل هتلر بنقود (ريم) إلى شراء جريدة فولكشر بيوباختر Volkischer Beobachler وهي صحيفة محلية نصف أسبوعية، صارت فيما بعد لسان حال الحزب الاشتراكي الوطني.

أما (ريم) فقد بقى في مكانه، ولم يلق بالًا إلى صعود هتلر السريع في مراتب حزب العمال الوطني الاشتراكي. وشمل "ريم" برعايته الودية صاحبه الثائر ذا النظرات الدموية.

وكان (ريم) عملاقًا ينم حديثه عن خلق السيد الآمر. وكان مسيطرًا على الجنرال (فون إيب) نفسه، وكان يوجه مساعديه كيفما يحلو له ويريد.

وقال هتلر: (ماذا حدث؟)

فقال (ريم) بهدوء: "إن الوقت لم يحن بعد. ولا تزال الحكومة والجيش يستسيغان مظاهرات أول مايو الحمراء، كما أن ألمانيا الشمالية ليست مستعدة بعد".

فحاول هتلر أن تلتقي نظراته بعيني الكابتن (ريم) ثم غض من بصره.

(إن الوقت لم يحن بعد)

بينما أشار (جريجور) و(كريبل) بالعمل في الحال، وإطلاق النار على جنود الجيش، فرفض هتلر هذا الرأي رفضًا باتًا. وظل الجيش يحاصر الثوار حتى المساء،

فلم يستطع هؤلاء العـودة إلى معسـكراتهم إلا تحـت سـتار الظـلام. وجـرت مظـاهرات الشيوعية دون أن يقع حادث ما، فباء الوطنيون الاشتراكيون بالخيبة والسخرية. وهكـذا مني هتلر في أول مايو بفشل لم يجد عنه عزاءً، وحقد بسببه على الكابتن "ريم"، ولم تقو الأعوام التالية على محو ذكرى هذا الفشل المخزي الذي صادفه ثوار "ميونيخ".

فلم يهدأ لهتلر بال، وراح يتأهب ليل نهـار ليثـأر لحزبـه. واتفـق أن تألفـت وزارة حمراء في (ذاكس تيرنج) فزاد تأليف هـذه الـوزارة في تحـرج الحـال واسـتفحال الخطـر، وأظهر "ريم" عزمه على البدء في العمل، وانضم الجنرال "إيب" إلى صفوف المتآمرين.

غير أن تقدم الشيوعية في شمال ألمانيـا أثـار قلـق الحكومـة؛ فحاولـت عـزل ألمانيـا الجنوبيـة وحمايتهـا مـن هـذه المبـادئ الخطـرة، وأراد ولاة الأمـور أن يتفـادوا الحـرب الأهلية، التي كان لا بد من وقوعها إذا قام الحزب الوطني الاشتراكي بثورة فجائية لقلـب نظام الحكم في البلاد، فتولى (فون كار) ذو القبضة الحديديـة، في 26 سـبتمبر، قمسـارية الدولة في باقاريا، وأقيل (فون إيب) وعين مكانه الجنرال (فون لوسوف) وأقسم الجـيش يمين الطاعـة والإخـلاص لــ (بافاريـا) لا (للـرايش) وحظـر عـلى "لودنـدورف" الإقامـة في (ميونيخ).

فغضب الجنرال "لودندروف" و"فون إيب" غضبًا شديدًا، وأقيل الكابتن "ريم" فراح يرغي ويزبد. أما هتلر فقد ثارت ثورته وأشار "جريجور" - الـذي كـان يميـل إلى الحلـول الجريئة - بالعمل السريع، وكانت الفكرة تقضى بإرغام حكومة (بافاريـا) الجديـدة عـلى مناصرة ثوار اليمين والعمل معهم ضد بروسيا وألمانيا الشمالية الشيوعية.

وكان المتآمرون يجتمعون كل مساء في قاعات "بورجير براو" الخاصـة وهـو مطعـم من مطاعم "ميونيخ" الذي توجد به قاعة كبيرة للاجتماعـات العموميـة، وكـان مـن بـين المجتمعين الكابتن "جورنج" أحد ضباط الطيران وجنـدي مـن الطـراز الأول، ولا ريـب في

أن "جـورنج" لـو أمكنـه الاحتفـاظ بوظيفتـه التـي اختارهـا، لمـا زج بنفسـه في طريـق المغامرات.

تخرج "هرمان جورنج" في مدرسة الحربية، وكان ضابطًا ذا نظر قصير وخيال ضيق وذكاء متوسط. وكان فظًا غليظ القلب، أكولا، محبًا للخمر والملذات والـلـهو والمجون.

أما "هنريش همل" فقد درس فن الملاحة، ولكنه لم يجد عملًا، وكم تمنى أن يكـون ضابطًا في الجيش دون أن تتحقق أمنيته! وكان "همل" مغرمًـا مثـل "جـورنج" بالملـذات والـلـهو والمجون، وكم من مرة قال له أخي "جريجور": "أعتقد أنك ستظل صـبيًا العمـر كله". وقال له أيضًا: "إن روحك وشعورك كروح القصاب وشعوره".

لم يكن "همل" غليظ القلب، ولكنه كان ممن لا مبدأ لهـم ولا خلـق ثابـت. وكـان عاجزًا عن استشعار الألم أو التأثر بالعواطف، ومما هو جدير بالذكر عن هذا الرجل أنـه اعتقل شقيقه. وما من ريب في أن "همل" لا يحجم لحظة عن قتل أبيـه وأمـه إذا أمـره رئيسه بذلك.

أما من حيث النساء، فقد كانت صورة "هنريش همل" تذكرني على الـدوام بكلمـة "جرتش" في رواية "فاوست": "هنريش، إن سحنتك تنفرني"، ولقد وقع لـ "همل" حـادث غرامي واحد، رواه لي بلسانه. ذلك أنه قد اتفق لـ "همل" وهـو في الثانيـة والثلاثـين؛ أن أمضى ليلة في أحد الفنادق، فعشقته صاحبة الفندق، وكانت تكبره بـعشر سـنين. ولا بـد للمرأة التي استطاعت أن تعشق "همل" من أن تبقى مخلصة لهذا الحب إلى النهاية!

أما "رودلف هيس" فليس لدي ما أقوله عنه سوى أنه كان فنانًا مثقفًا، وضـابطًا شاعرًا وشابًا وسيم الطلعة، مخلصًا شديد الحماسة، ولقـد أعجـب (هـيس) بشخصـية (هتلر) إعجابًا قويًا لم يهـن ولم يتغـير يومًـا مـا. غـير أن ألسـنة السـوء كانـت تسـمى

"رودلف هيس" – الآنسة هيس- وذلك لهيامه بـ (أدولف هتلر)، ولكني أعتقد شخصـيًا أنه هيام طاهر وحب شريف.

وليس ثمة أعجب من ذلك التباين الكبـير بـين (هـيس) و(يوليـوس شـتراشر)، هـذا الخليع الماجن. ولعمر الحق أني لم أعرف رجلًا سيطرت عليه الغريـزة الجنسـية قـدر مـا سيطرت على (شتراشر).

ولقد اتخذ (شتراشر) المبادئ العنصريـة وسـيلة لـنشر آرائـه الخطـرة الصـادرة عـن خيال سقيم في جريدة (شتور)؛ فقال لي ذات يـوم: (إن جريمـة جنسـية يرتكبهـا اليهـود، وتنشرها جريدتي في الصفحة الأولى، لهي كنبيـذ لذيـذ الطعـم يشـحذ الشـهية أو كأكلـة بدأت بصحن فاخر من (البطارخ). ولا غرو فقد كان (شتراشر) منبوذًا دميم الخلقة حتى كانت النساء تنفر منه نفورًا شديدًا. وعوقب (شتراشر) أبان الحرب الماضية بتجريده من أوسمته، لأنه اعتدى على عفاف معلمة فرنسية.

ولا يفوتنا أن نذكر، من بين زعماء المتـآمرين، الهـر (فريـك)، ولـيس ذلـك لأهميتـه الشخصية بل لخطورة الأعمال التي كـان يقـوم بهـا لحسـاب أحـد الشخصـيات الكبـيرة. ولقـد كـان (فريـك) نزيهًـا، مسـتقيم الخلـق والسـلوك، وكـان يعمـل في دور الشرطـة، واستطاع أن يكون موضعًا لثقـة مـدير شرطـة (ميـونيخ) الهـر (بيـنر) رئـيس الملكيـين في بافاريا، وكان (بينر) هذا من كبار المتآمرين الذين لا يثنـيهم شيء عـن المضي في سـبيلهم، كما أنه كان من الرجال الذين يتحملون مسؤولية أعمالهم، إذا تطلب الأمر ذلك.

وبفضل (بينر) استطاع (لوندورف) أن يمكـث في (ميـونيخ) بعـد فتنـة (كـاب) كـما تمكن قاتلو (أرزبيرجر) من أن يعودوا إلى ألمانيا بجوازات سفر مزيفة، وكان (بينر) يحلـم بعودة (فيتلسبلخ)، ويستعلم من فريك عن تطور الحركة الوطنية الاشـتراكية التـي كـان يفكر في الاستعانة بها لتحقيق أغراضه. ولقد تـوفي (بيـنر) عـام 1925 في حـادث عجيـب من حوادث السيارات، وأكد بعض الناس أنه قتل بأمر (هتلر).

وكذاك كان (فريك) متممًا للجماعة المؤلفة من: "هتلر"، و"جورنج"، و"ريم"، و"جريجور شتراسر"، و"هيس"، و"شترايشر". وكان (فريك) من رجال القانون الأكفاء، فأسدى خدمات جليلة للحزب. وهو أكبر الثوار سنا، والعضو الوحيد الذي كان ذا عمل في المجتمع وأسرة وعيشة منظمة.

وكان هتلر يتساءل كيف يمكنه أن يضم إليه (فون كار) والجنرال فون لوسوف والهر زيسر، رئيس شرطة بافاريا. واعتقد أنه لو انضم إليه هؤلاء الثلاثة الذين كانوا يمثلون السلطة البافارية، لاستطاع إحراز النصر على وجه التحقيق.

وكان يدور بخلد (هتلر) أنه من المستطاع أن تندلع نيران الثورة الحربية أيضًا من بافاريا، وكان "لوندورف" يناصر هتلر، ولم يزل نفوذه قويًا حتى لدى قواد بروسيا العسكريين.

وبدأ هتلر يتفاوض مع أعيان الناحية. ولقد عرف عن (الفوهرر) أنه يحترم الأسر الألمانية القديمة وحملة الرتب والنياشين والطبقة المهذبة. ولطالما استمع "فون لوسوف" إلى "هتلر" يتحدث عن مشروعه، فشعر بأن الفوهرر مريض بحب العظمة، وداخلته الريبة في نجاح المشروع. وكثيرًا ما حاول "فون لوسوف" أن يخفف من اندفاع هتلر وحماسته دون جدوى إذ كان الزعيم مصممًا على العمل. وعندما سأله فون كار عن الرجل الذي سيكل إليه إدارة الشئون السياسية في ألمانيا، قال بكل بساطة:

"سأكلها إلى نفسي"

وطبعي أن "فون كار" لم يوافق على هذه الخطة، كما طالب "فون لوسوف" بضمانات عدة وأظهر "زيسر" ترددًا وإحجاما. ومع ذلك فقد قضي الأمر، وكانت الغلبة لـ (هتلر) في النهاية. واستقر الرأي على تحديد يومي 10 و11 نوفمبر لقيام الثورة، بيد أنه اتصل بـ (هتلر) في اللحظة الأخيرة، أن (فون كار) قد وجه دعوة إلى عقد اجتماع يوم 8 نوفمبر في بيرجربر ويكيلر، ليلقي فيه خطابًا عن برنامج الملكيين

في بافاريا؛ فبادر الفوهرر إلى تغيير الموعد المتفق عليه، وحـدد 8 نـوفمبر يومًـا تاريخيًـا لقيام الثورة الألمانية.

ولابد من أن طبيعة هتلر قـد أوحـت إليـه أن يعمـل دون معاونـة مـوظفي ذلـك النظام القديم الفاسد، والجنود القدماء الـذين خـدموا غليـوم الثـاني. وعـلى الـرغم مـن مناقشات طويلة استمرت عدة أسابيع، فإن (هرمان جورنج) لم ينته إلى اتخـاذ أي إجـراء جدي. أما هتلر فقد أراد بجماعة قليلة أن يغامر بثورة ألمانيا الكـبرى ويعرضـها لأخطـار كثـيرة. وكـان لديـه سـتمائة رجـلًا يصـدعون بـأمره. وأحـيط (جريجـور شـتراسر) بعـزم (الفوهرر) في اللحظة الأخيرة، فجمـع ثلاثمائـة وخمسـين جنـديًا مـن فصـائل الهجـوم في (لندشوت) واقتادهم إلى ميونيخ. وكان الجنرال (لودندورف) الذي أغفل إبلاغه الأمر، في (لودفيجسهوهي)، قد أرسلت إليه سيارة في طلبـه عـلى وجـه السرعـة. وارتـدى (هتلـر) لباس (الريدنجوت) وزين صدره بوسام الصليب الحديدي.

ثم بدأت فصائل الهجوم الزحف نحو المكان المقصـود. وكانـت الخطـة تـقضى بـأن تضرب هذه الفصائل الحصار حول مبنـى (بـورجير بـراو) ويقـتحم هتلـر ورجالـه قاعـة الاحتفال، فيعتقلون (كار) قبل أن يبدأ خطابه.

وقال هتلر لصاحبه (شـويبنر رشـتر) الـذي انطلـق إلى (ميـونيخ) في طلـب الجـنرال (لودندورف).

"سيضطر "كار" إلى التسليم والانضمام إلينا، ثم يتبعه أنصاره".

واسـتقل (هتلـر) السـيارة، وهـو مـؤمن بصـواب رأيـه، فانطلقـت بـه صـوب (بورجيربراو).

وعندما بلغ (هتلـر) ورجالـه مكـان الاحتفـال، وجـده غاصًـا بالحضـور، واعترضـت الجماهير المحتشدة في مدخله ذلك الثائر الذي زيـن صـدره بوسـام الصـليب الحديـدي، فطلـب إلـيهم، وهـو في أشـد حـالات الاضـطراب والانفعـال، أن يسـمحوا لـه بمقابلـة

المحافظ "كار". غير أن "كار" كان قد بدأ خطابه في قاعة الاحتفال. فتردد هتلر، ولم يكن هناك متسع للتردد والإحجام. وأرهف السمع فسمع صوت خطوات فصائل الهجوم تقترب من المكان طبقًا للتعليمات المتفق عليها.

وهنا صاح (هتلر) بالشرطي المكلف بالمحافظة على النظام: "أخل هذا الممر من الجمهور"، فبهر الرجل عندما وقع نظره على وسام الصليب الحديدي، وصدع بالأمر دون سؤال أو استفسار، وبعد ذلك ببضع دقائق اقتحمت فرق الهجوم مدخل المكان؛ حيث كان (أدولف هتلر) ينتظرهم، وهو يقبض على مسدسه في أحد جيوبه، وقد شعر (الفوهرر) في تلك اللحظة بنظرات جنوده الشبان تتجه إليه، ولم يكن قد فكر فيما سيفعل لو فشلت هذه المفاجأة أو رفض الرجال الثلاثة الذين اعتمد عليهم، أن يتبعوه.

ولكنه لم يلبث أن اقتحم قاعة الاحتفال كما يقتحمها مجنون ثائر، فوجد ثلاثة آلاف من البافاريين جالسين حول أقداح الجعة، يرتشفونها ويستمعون إلى فصاحة (فون كار) الخلابة، فقفز (هتلر) إلى أحد المقاعد. وأطلق مسدسه نحو سقف القاعة، وصاح بصوت خشن مضطرب: (لقد بدأت الثورة الوطنية). وكانت فرق الهجوم قد تبعته إلى القاعة، حيث كان الحضور الذين أذهلتهم هذه المفاجأة، قد أحيطوا علمًا بثورة هتلر. فأين كان رجال الشرطة في ذلك الوقت؟

كان هناك اتفاق سري بين هتلر والمحافظ (فون بينر) الذي وعد بأن يساعده مساعدة تامة، وكان (فون بينر) يتأهب منذ تلك اللحظة لتأليف وزارة جديدة، وعهد إلى الدكتور (فريك) ساعده الأيمن، بالسهر على ألا يعرقل رجال الأمن أعمال هتلر.

لقد كتب كثير من الكتاب عن فتنة (كاب)، وتحدثوا عنها تفصيلًا وإجمالًا، لذلك سألقي نظرة عاجلة على تاريخ الحوادث التالية.

أصدر (هتلر) أمره إلى (فون كار) و(لوسوف) و(زيسر) أن يتبعوه إلى غرفة

مجاورة للقاعة الكبرى، حيث جرى ذلك الحوار المشهور الذي أقسم فيه هتلر بأنه سينتحر إن فشلت الثورة. ووضع هتلر فوهة المسدس على جبهته، وصاح قائلًا:

"أيها السادة: إن أحدنا لن يخرج حيًا من هذه القاعة: أنتم ثلاثة، ولدي أربع رصاصات في مسدسي تكفي لقتلنا نحن الأربعة، إذا فشلت هذه الثورة".

فيا لها من مهزلة مروعة! الحقيقة أن هتلر لم يرد الانتحار كما لم يرد قتل ممثلي السلطة الشرعية الثلاثة، أو لم يعترف أمام القضاة بأن (فون كار) كان في حالة اضطراب تدعو إلى الشفقة، وأنه (أي هتلر) يأسف على أنه اضطر إلى استخدام الشدة مع رجال من ضباط الجيش؟

لقد كان هتلر في تلك اللحظة مسيطرًا على هؤلاء الرجال الثلاثة، فهل كان بحاجة ماسة إلى معونتهم ووقوفهم في صفه؟.. لا ريب أنه كان يمكنه العمل دونهم، ولكنه كان محتاجًا إلى موافقتهم على أعماله، كما كان متعطشًا إلى تصفيق الجماهير وهتافهم بحياته.

وتعلق هتلر كما يتعلق الجبان الغادر بما قاله (فون كار) في مهارة وكياسة بغية التخلص من ذلك المركز الحرج الذي كان فيه هو ورفيقاه أمام ذلك الرجل الثائر:

(كل هذا جميل، غير أني من أنصار الملكية، ولا أقبل أن أكون وصيًا على عرش بافاريا إجابة لطلبك إلا لأخدم الملكية كأحد خدامها المخلصين).

والحق أن هذا كلام طيب خليق أن يصدر من ملكي صميم، فلو أن هتلر من الثوار الصادقين، لاعتقل هذا العدو المناصر للنظام القديم، ولكنه راح يداهن "فون كار"، فقال:

(يا صاحب السعادة أرجو أن تصغي إلي، وتفهم قولي، نحن مدينون للبيت المالك بإصلاح ما اقترفه المجرمون من مظالم ومحاز. وإني مستعد لو سمحتم أن أتوجه بنفسي لمقابلة صاحب الجلالة الملك وأبلغه أن الثورة الألمانية الكبرى قائمة لإزالة

الظلم الذي اقترف ضد المغفور له والد جلالته).

هكذا أراد "هتلر" الجمهوري أن يتوجه بنفسه لمقابلة صاحب السمو الملكي "روبرشت" ويبلغه أنه سيثأر للمرحوم والده! وبعد هذا الحوار أظهر "فون كار" أنه مقتنع بأقوال هتلر، وانضم "فون لوسوف" و"زيسر" إلى "كار" فاعتقد هتلر أنه قد كسب القضية.

وهنا ترك "الفوهرر" أصحابه حيث كانوا؛ وعاد إلى قاعة الاحتفال حيث خطب الحضور مدافعًا عن قضيته فقال: (إني أقترح أن أتولى بنفسي إدارة الشئون السياسية للحكومة الوطنية حتى نخلص من محاسبة المجرمين الذين ساقوا الوطن إلى الخراب والدمار.

ولقد اتفقنا على أن يكون "فون كار" وصيًا على عرش بافاريا، و"بير" رئيسًا لمجلس الوزراء وأن يتولى الجنرال (لودندورف) قيادة الجيش الوطني، والجنرال (فون لوسوف) وزارة الحربية والكولونيل "فون زيسر" وزارة الأمن.

أما مهمة هذه الحكومة الوقتية فهي الزحف على برلين، وإني أطلب إليكم أن توافقوا على اقتراحي هذا).

هكذا قال هتلر: (إني أقترح!!. إني أطلب!!) وفي هذه الأثناء، بلغ الجنرال "لودندورف" مكان الاجتماع، وكان رابط الجأش، على الرغم من امتقاع لونه، وأعلن قائلًا: (إني أضع نفسي مختارًا في خدمة الحكومة الوطنية.)

فتصاعدت هتافات الفرح والسرور من صدور المجتمعين، وتبادل (هتلر) و(فون كار) تحية الوفاق والسلام. وأراد هتلر تأليف الوزارة في الحال، فقال "فون كار" أنه متعب ويفضل البحث في هذا الموضوع في الساعة التاسعة من صباح غد. فقال هتلر، وهو يشرب نخب "فون كار":

"إني أرجو، سموكم أن تضعوا نصب عينيكم قضيتنا المشتركة ومصالح ألمانيا

المقدسة، وغدًا ستؤلف الحكومة الوطنية أو نموت جميعًا".

كلام ليس له معنى، فقد أقسم هتلر مرتين في تلك الليلة أن يقتل نفسه لو فشل في ثورته، ولكنه لم يفعل بل على العكس عمَّر بعد ذلك طويلًا... أما "فون كار" فقد نقض عهده، واتخذ في نفس الليلة العدة لمقاومة هتلر. وصدت فصائل اليمين في محاولتها الاستيلاء على كثير من الدور العامة، ولم يعلم هتلر بخيانة "حليفه" إلا في صباح اليوم التالي.

ولقد وصف "الفوهرر" الحوادث التي وقعت، فقال: "اجتمعنا: منذ طلوع الفجر، في "بورجربراو" ولحق بنا الجنرال "لودندورف" ومكثنا حتى الظهر دون أن يصل إلينا نبأ ما".

هكذا مضت ساعات عدة دون أن يدرك هتلر حقيقة الأمر من تلقاء نفسه، ولكنه فضل أن يخطب الجماهير طويلًا ويستميل إليه صغار الطبقة المتوسطة؛ فقرر عند الظهر أن يبدأ هو ورجاله التجول في أنحاء المدينة لنشرة الدعوة.

وكانت "ميونيخ" قد غصت بفصائل عدة من الجيش والشرطة وجعل الموكب وعلى رأسه "هتلر" و"لودندورف" وفي مؤخرته فصائل الهجوم، يتجول في طرقات المدينة. وبناء على أمر الزعيم، احتفظ الثوار ببنادقهم داخل غلافاتها وتركها بعضهم معلقة بأكتافهم. ذلك أن هتلر كان متفائلًا مطمئنًا إلى وقوف الجماهير بجانبه، ولم يكن يتوقع نشوب معركة ما! ولكن أي اعتبار وأية قيمة لرغبات الشعب في تلك الساعة؟ عبثًا صفق هذا الشعب وهلل للثوار ودعوتهم في (هيلان مارين) وعبثًا طالب الشعب بمعاقبة مجرمي سنة 1918، فقد كان رجال الأمن يريدون شيئًا آخر.

وعندما بلغ هتلر ورجاله (فلدهر تهاللا) أطلقت عليهم نيرانًا حامية... ووقعت عقب ذلك حوادث تعد من أخزى الحوادث التي سجلها التاريخ بعد الحرب الماضية، فبينما كان "لودندورف" يقترب، عالي الرأس، من مكان الشرطة الذين كانوا يطلقون

النار على رجاله، انبطح هتلر على الأرض، بعد أن وقف أمامه الملازم "أولرش جراف" ليفتديه بنفسه ويحميه من رصاص الشرطة.

وإني أقرر هنا أن جميع الأقوال التي نفت هذا الحادث ليس لها نصيب من الصحة على الإطلاق، فالذي أنطرح على الأرض هو "هتلر" نفسه لا أحد غيره. وتبع ذلك هرج قتل فيه ثلاثة عشر من الوطنيين الاشتراكيين، وجرح عدد كبير من الرجال، من بينهم "هرمان جورنج"، واعتقل الشرطة كثيراً من الثوار في الحال، غير أنهم لم يعثروا "لهتلر" على أثر؛ لأن سيارة خاصة التقطته وانطلقت به إلى مكان ما.

وبعد انقضاء هذه المعركة الصغيرة استطاع "جريجور" أن يرتد برجاله إلى طريق (لاندشوت)، وإذ كان يقطع تلك الطريق في أحشاء الظلام، اعترضته فصيلة من الجيش، وصاح الكابتن (أرهارت) مخاطبًا أخي: "سلموا أنفسكم". فرد (جريجور): "أفسحوا الطريق وإلا أطلقت عليكم النار"، فتركهم الجيش يمرون حقنا للدماء؛ واستطاع (جريجور) ورجاله أن يعودوا إلى مدينتهم سالمين.

وفي اليوم التالي بينما كان (جريجور) و(هملر) جالسين إلى مائدة الطعام، إذ طلع عليهم (جورج هوفلر) يرتدي لباسًا رسميًا، فقال جريجور (تفضل معنا)؛ فقال (هوفلر) بصوت خشن (إني أتيت لاعتقلك)، وفي تلك الأثناء كان رجال الشرطة يحاصرون الدار؛ فنهض أخي (جريجور) وتبعه (هوفلر) زوج شقيقته حتى سجن (لاندشوت). أما هتلر فقد اعتقل بعد ذلك ببضعة أيام، وكان قد لجأ إلى (إيفنج) عند صديقه (هانفستنجل) الذي صار فيما بعد رئيسًا للصحافة الهتلرية، ولقد عثر الشرطة على (هتلر) مختبئًا في خزانة ملابس الآنسة (هانفستنجل).

الفصل الثالث

هتلر يكتب "كفاحي"

إن أكثر الحكومات حبًا من الشعب، تتعرض لفقدان ثقة هـذا الشـعب إذا حنثـت بعهودها علنًا. ولم تكن حكومة (فون كار) محبوبة مـن الشـعب كلـه، غـير أن الطريقـة التي خدعت بها ثوار (بورجر براو) جلبت عليها كراهية الناس واحتقارهم.. فقـد أثـارت أعمالها حفيظة الجماهـير، واشـتعلت نفوسـهم غضـبًا لـدماء الثـوار التـي أراقهـا رجـال الشرطـة في 9 نـوفمبر، وكسـب الحـزب الـوطني الاشـتراكي عطـف الجماهـير في قضـية (ميونيخ) التي كانت صورية أكثر منهـا قضـية حقيقيـة، وذلـك عـلى الـرغم مـما أظهـره القضاة من التسامح إزاء الثوار، بيد أن هتلر قد خسر من جراء موقفه المخزي عددًا من أصدقائه القدماء.

وفي بداية عام 1924، عقدت محكمة بافاريا الشعبية جلساتها في "ميـونيخ"، وكـان هتلر في ذلك الوقت أحد الثوار المعتقلين في حصن (لاندسبرج). ولم يلبث (الفـوهرر) أن انقشعت غمته، وامتلأت نفسه بآمال جديدة، فأصبح لا يفكر في رجاله وأصحابه الـذين قتلوا في أثناء الثورة. وعندما علم بوفاة صديقه وزميله (ديتريش ايكـارت) الـذي لم يقـو على احتمال صدمات الأحداث الأخيرة، لم يزد على أن قال: (لقد كان من رؤساء التحريـر النابهين، ولن يقدر أحد على إدارة جريدة (فولكشر بؤباختر) كما كان يديرها!).

غير أن قضية (ميونيخ) فتحت أمام هذا الثائر الضـال طريقًـا جديـدًا، وأتاحـت لـه فرصـة عظيمـة لـلدعاوى والـترويج. أمـا "كـار" و"زيسر" و"لوسـوف" الـذين اشـتركوا في المؤامرة الفاشلة لقلب نظام الحكم، فكانوا لا يزالون أعضاء في الحكومة.

وفي مصلحة هؤلاء الثلاثة أن تبقى تفاصيل الحوادث التي وقعت في اجتماع "بورجربراو" طي الكتمان.

ثم أن أسماء المتهمين الآخرين كانت من تلك الأسماء التي تسترعي الأنظار في ألمانيا والعالم أجمع؛ فمما يشرف الإنسان أن يجلس في قفص الاتهام بجانب "لودندورف" و"ريم" و"بينر" و"تيبر" و"كريبل".

أضف إلى ذلك أن "هتلر" كان يستند في أعماله إلى معونة قوية من جانب صديقه الدكتور "جيرتنر" وزير العدل في بافاريا.

وقضى نقاش "براوناو" أي هتلر بضعة شهور في السجن رهن التحقيق، فانطبعت روحه خلال هذه الفترة بطابع جديد، ولم يشهد القضاة أمامهم ثائرًا من الثوار المجددين بل إنسانًا محبًا للإنسانية، ومطيعًا للسلطة الشرعية. ومنذ ذلك العهد لم يحاول "هتلر" الوصول إلى الحكم عن طريق الجهاد والنضال الكبيرين بل عمد إلى التهريج والمداهنة حتى نال بغيته.

هكذا بدأت القضية المشهورة التي تجنب القضاة فيها الأسئلة المحرجة الشائكة، والتي أجاب خلالها كل متهم من المتهمين وفقًا لخلقه ومصالحه وشرفه.

أما "هتلر" فإنه لم يعن إلا بشيء واحد، وهو إثبات براءته وحسن نيته وطهارة مقصده؛ فجعل يداهن الكبراء، وينحني أمام (حضرة رئيس المحكمة) ثم قال:

"إني لم أقصد الثورة بل قصدت إلى معاونة السلطة الشرعية لإيجاد وحدة وطنية".

واستطرد هتلر في الدفاع عن نفسه أمام المحكمة، فقال في فصاحة طنانة وبلاغة رنانة:

"إني لا أريد مطلقًا، إزاء المصائب التي يعانيها وطننا العزيز، أن أحفر حفرة

سحيقة بيننا وبين الذين سيكونون في المستقبل أعضاء في الجبهة المشتركة الكبرى التي يجب علينا تأليفها لمناهضة أعداء الوطن. وإني على يقين من أن أعداءنا اليوم سينظرون يومًا ما بعين الاحترام والتبجيل إلى أولئك الذين اختاروا طريق الموت لإنقاذ الشعب الألماني".

ثم استجوب الجنرال "لودندورف" فأوشك استجوابه أن يميط اللثام عن أشياء مهمة، لولا أن وكلاء النيابة الذين استمعوا لتعليمات وزير العدل قد عمدوا جاهدين إلى خنق صوت الحق، ومع ذلك شتان بين ما قاله الجنرال "لودندورف" وبين ما تشدق به زعيم حزب العمال الوطني الاشتراكي من عبارات جوفاء؛ فقد قال الجنرال:

"لقد ضاعت الآمال التي عقدتها على يوم 8 نوفمبر لتخليص وطننا المحبوب لأن "كار" و"لوسوف" و"زيسر" قد تناسوا الهدف المشترك، وبرهنوا على أنهم صغار النفوس في الساعة الخطيرة، أما الأخطار التي شهدت ظهورها، فهي لا تزال قائمة، ولشد ما يؤلمني أن الحوادث قد جعلتني أعتقد أن ولاة الأمور فينا عجزوا عن بث العزم والحرية في نفوس الشعب الألماني".

ويؤثر عن "لودندورف" جملة أخرى هي الجملة الوحيدة التي كان على الاشتراكي "أودلف هتلر" أن يفهمها ويعلنها مرات عديدة: "لا سبيل إلى قتل الماركسية بالعنف والشدة ويجب أن نعطي الشعب مبدأ جديدًا".

ومما يجدر ذكره أن المتهمين العسكريين قد ظهروا في مظهر كان أكثر كرامة وإباء من مظهر المدنيين في تلك القضية، فصاح "بينر" في وجه القضاة: "لا شك أني خائن. أليس من الحماقة أن أحاول نفي ذلك أمام فقهاء مثلكم؟!"

أما "ريم"، الذي لم يشترك في إعداد الثورة إلا بقيادته فصيلة ذات صبغة حربية من فصائل الحزب، فإنه استنكر مسلك هتلر المخزي استنكارًا شديدًا. وعلم "ريم"

أن "جونج" رئيس فصائل الهجوم فر إلى الخارج، ولقد كان "ريم" الرجل الوحيد الذي قام بعمل حربي في 8 نوفمبر، فاستولى على إحدى ثكنات الجيش، ولم يجل عنها إلا بالقوة.

ولشد ما أحس "ريم" مرة أخرى بخيبة الأمل من جراء أعمال ذلك (الأونباشي السابق) الذي كان أحد جنود فرقته البافارية؛ فعقد "ريم" عزمه على أن يناصر الجنرال "لودندورف"، وتناول ثوار 8 نوفمبر وأساليبهم بالنقد اللاذع في كتابه الذي جعل عنوانه: "مذكرات رجل متهم بالخيانة العظمى".

وبلغ الغضب بـ (ريم) مبلغًا حمله على الانفصال عن هتلر، عقب عودته من قلعة (لاندسبرج)، ونشر في جريدة (فولكشر يئوباختر) خطابًا مفتوحًا أعلن فيه انشقاقه على الحزب. وها هي ذي إحدى فقرات مذكراته التي حذفت من الطبعات التي ظهرت بعد إجراء الصلح بينه وبين هتلر.

(وإن هناك فريقًا من الناس يأبى الاستماع إلى من ينبهونه إلى الأخطار المحدقة به، وإني لأستنكر هذا الإجراء الخاطئ، ولقد كانت تربطني بـ (هتلر) صداقة وثيقة العرى غير أنه كان محاطًا بعدد من المداهنين والمداحين، ولم يجرؤ أحد على أن ينقده. أما أنا فكان واجبي يلزمني بأن أكلمه صراحة).

أما المتهمون بثورة (ميونيخ)، فلم يلبثوا أن وضح الخلاف بين صفوفهم وضوحًا أدى بهم إلى أن يأبوا الجلوس على مقاعد الاتهام بعضهم بجانب بعض. فاتخذ (هتلر) مكانه بجوار (فيبر)، وانتحى (فريك) و(لودندورف) و(بيتر) و(كريبل) و(ريم) ناحية خاصة بهم.

وانقضت أسابيع وشهور دون أن تظهر الحقيقة بأكملها من تلك القضية التي كان يخيل إلى الناس أن فصولها وأدوارها قد وضعت ورتبت من قبل.

ويرجع الفضل إلى الدكتور (جيرتنر) وزير العدل، في أن هتلر لم يحكم عليه

بالطرد من البلاد، وهو الحكم الذي كان يخافه (الفوهرر) أشد الخوف. ذلك أن هتلر كان قد جرد من جنسيته النمساوية، لهربه من الخدمة العسكرية، ولم يكن قد حصل بعد على الجنسية الألمانية، فإذا حكم عليه بالطرد من ألمانيا، فليس ثمة بلد يقبل أن يأوي ثائرًا لا جنسية له.

ولا يزال ماضي هتلر محاطًا بكثير من الغموض، وكل ما يعرف عنه أنه خاض غمار الحرب الماضية في الجيش الألماني؛ ولكن أحدًا لم يعرف كيف حصل هذا "الأونباشي" الصغير على وسام الصليب الحديدي..

وفي أول إبريل أصدرت المحكمة حكمها في قضية الثوار. فحكمت ببراءة "لودندورف" وبالحبس خمسة أعوام على كل من "هتلر" و(بينر) و(فيبر) و(كريبل)، وبأحكام تتراوح بين ثمانية عشر شهرًا وستة شهور على (جريجور شتراسر) و(فريك) والآخرين.

ذاع نبأ الحكم في هذه القضية في جميع أنحاء ألمانيا الجنوبية، وأصبح "أدولف هتلر" في نظر الشعب بطلًا من أبطال القضية الألمانية، وتداولت الأيدي صورًا تمثل هتلر شهيدًا من الشهداء، تتدلى على جبينه خصلة من الشعر. وترتسم على وجهه علامات الألم العميق، وهو واقف في سجنه خلف نافذة تتخللها قضبان سميكة من الحديد، لا ينفذ منها إلا بصيص ضئيل من ضوء النهار!.

وإذ كانت الجماهير تفكر في السجين الشهيد؛ وتنظر إلى صورته في حسرة وإشفاق وألم، كان هتلر في الحقيقة وواقع الأمر يقيم في أحسن سجن في ألمانيا من حيث العدة والراحة والنظام، وكانت صحته في تقدم مطرد ووزنه في ازدياد.

وكانت الحياة في سجن "لاندسبورج" كالحياة في أحد الأندية العسكرية، لا في قلعة قد أعدت لتكون سجنًا، فأعدت لـ "هتلر" وزملائه غرفة أو غرفتان لاستقبال الزائرين. وكان "الفوهرر" وصحبه يقضون النهار مجتمعين بعضهم ببعض، يدخنون،

ويلعبون الورق، ويطلبون إلى حارسهم أن يأتيهم بما يشتهون من ألوان الطعام. وأُعد الطابق الأسفل من السجن لإقامة بقية الثوار الذين كانوا يعيشون عيشة مرضية لا يعكرها عليهم إلا خطب هتلر الطويلة المملة.

وذات ليلة عقد هؤلاء الثوار جلسة بحثوا فيها الطريقة التي يستطيعون بها التخلص من خطب هتلر وثرثرته المتعبة، فوردت على خاطر "جريجور شتراسر" فكرية شيطانية، وهي أن يقترحوا على هتلر أن يضع كتابًا يضمنه ذكرياته!!

وأحيط "الفوهرر" علمًا باقتراح صحبه، فتقبله بارتياح وسرور، واستهوته لذة العمل، وبذلك استطاع "شتراسر" ورفقاؤه أن يلعبوا الورق ويحتسوا كؤوسهم في هدوء وسكينة. أما هتلر فجعل يذرع أرض غرفته جيئة وذهابًا؛ وبصحبته "إميل موريس" يلعب الدور الذي كانت تلعبه طاهية الطعام في إحدى مسرحيات "موليير"، ولقد قام هذا المخلوق البغيض بتمثيل فصل من فصول ليلة 30 يونيه الدموية.

وفي الوقت الذي كان فيه هتلر سجينًا نزلت بالحزب الوطني الاشتراكي الذي حرم من رئيسه أزمة شديدة. وحاول أعداء الصهيونية أن يقبضوا على زمام هذه الحركة الثورية، وتأثر الشعب تأثرًا عميقًا بثورة (ميونيخ) وقضيتها فانحاز إلى جانب الثوار.

ثم فاز حزب هتلر في انتخابات عام 1924 البافارية بسبعة وعشرين مقعدًا في مجلس النواب، وحدث ذلك في الوقت الذي كان يريد فيه "الفوهرر" أن يمنع رجاله من دخول البرلمان.

وكان من بين النواب الهتلريين: "بينر" و"جريجور شتراسر" فأفرج عنهما قبل انتهاء مدة الاعتقال.واتجهت الرغبات في ذلك العهد إلى تأليف كتلة واحدة من جميع الأحزاب الوطنية في ألمانيا فاندمج حزب العمال الوطني الاشتراكي الذي كان محظورًا بعد فتنة ميونيخ، في حزب الحرية الشعبي الذي أسسه "ألبرت فون جراف" ومنذ

ذلك الوقت أصبح "حزب الحرية الاشتراكي الوطني" يديره "لودندورف" و"جراف" وأخي "جريجور".

بيد أن خلافًا كبيرًا نشأ بين "لودندورف" من جانب، وبين هتلر و"بينر" - الذي صار رئيسًا للهيئة البرلمانية - من جانب آخر. فأبى "الفوهرر" أن يستقبل "لودندورف" وأراد "جريجور" أن يظل مخلصًا للمبدأ فجعل من نفسه أداة اتصال بين الجنرال وهتلر.

وهنا بدأ "روزنبرج" الذي خلف "ديتريش أكارت" في إدارة جريدة "فولكشر بؤباختر" يقوم بدور هام في التعاون مع "جريجور". و"روزنبرج" هذا مهاجر بلطيقي فر من وجه البلاشفة، وقد دأب على زيارة هتلر في سجنه، فتأثر هذا الأخير بنفوذه تأثرًا ملحوظًا. وكانت "ميونيخ" في ذلك العهد تأوي المهاجرين من الروس البيض فحاول "روزنبرج" أن يستخدم الاشتراكية الوطنية لمصلحة مواطنيه البلطيقيين.

وطبيعي أن رجالًا من طبقة "لودندورف" و"جريجور" و"روزنبرج" لا يستطيعون أن يحتملوا طويلًا أعمال "يوليوس شتراشر" و"هرمان أسر"، فهذان الرجلان جدير أحدهما بالآخر، وهما لا يمثلان رجل الشارع فحسب، بل يمثلان حفرة مليئة بالوحل والأقذار.

وعندما أحسست تذمر أخي "جريجور" من هذه الحال نصحته أن يبقى رغم ذلك بجانب "هتلر" وأن يتلافى ما أمكنه إثارة الشقاق والخلاف في الحزب. غير أن "شترايشر" و"أسر" بلغا من سوء الخلق ووضاعة النفس مبلغًا جعلهما لا يستريحان إلا إلى الدس والتعريض بأولئك الذين كانوا يواصلون العمل الشريف في سبيل النهوض بالبلاد. فلا ريب أنهما من أحط طبقات المهرجين الأدعياء ويعتبران هما و"كرستيان فيو" و"هوفمان" من بين أعوان "هتلر" الذين ألحقوا العار بألمانيا، وعلى الأخص ذلك المدعي "هرمان أسر" الذي تظاهر بالعته والجنون أبان الحراب الماضية لكيلا يقاتل مع الآخرين في ميدان الشرف والجهاد. ورغم ذلك قد توصل بعد الحرب إلى

أن يكون عضوًا في شعبة الجنود السوفيتية، بل هـو يتـولى الآن إحـدى وزارات "بافاريـا" ووكالة وزارة الدعاية في "الرايش" كله..

إن "يوليوس شترايشر" و"هرمان أسر" يتسـاويان في وضـاعة الفكـر وسـفاهة الـرأي وانحطاط الخلق، وإزاء هذه الحالـة اتفـق "لودنـدورف" و"جـراف" و"شـتراسر" عـلى أن يفصلوا هذين الرجلين من الحزب. ولكنهما لم يلبثا بعد عـزلهما بقليـل أن قاما بحركـة جديدة ترمي إلى مناهضة الصهيونية وانطلقـا يكتبـان ضـد اليهـود كتبًا مليئـة بالسـب المقذع والقدح الفاضح.

ولقد حرص هتلـر عـلى الانحيـاز إلى فريـق دون الآخـر، فكـان يسـتقبل في سـجنه "جريجور" و"روزنبرج" كما كان يستمع إلى "شـترايشر" و"أسر"، ويقيـد في ذاكرتـه أسـماء الذين يمكنه الاعتماد عليهم.

أما السبب في استقالة هتلر من رئاسة الحزب فيرجع إلى أنه لم يرد أن يتهمـه أحـد بالتآمر وهو في السجن. ولشد ما كان يخشى أن يحكم عليـه بـالطرد مـن ألمانيـا، ولكنـه كان يشعر بأن حالة الحزب آخذة في الانحلال والضعف في أثناء غيابه عنه، فوطن العزم على أن يعمل بعد إطلاق سراحه على تولي زمام الحكم في البلاد.

وكان هتلر منذ شهر يوليه يملي كتابه على "رودلف هس" الذي كان معتقلًا معه في قلعة "لاندسبورج". وكان يعلم أن "هس" من أنصاره المخلصين فلم يكن يـخشى أن يعارضه في تشـويهه الحـوادث التاريخيـة أو أن ينقـد مـا كـان يمليـه عليـه مـن الآراء الشاذة والأقوال السخيفة. فقـد تضـمن كتـاب "كفـاحي" في نسـخته الأصـلية خليطًـا مشوشًا من الأفكار العادية المرتجلـة والأحكـام النظريـة والضـغائن الشخصـية، وهـو إلى ذلك ثمـرة مطالعـات في الكتـب السياسـية لم يفهمهـا قارئهـا تمـام الفهـم، ونتـائج مطالعـات أخـرى لخطـب (لوجـو) الـذي أنشـأ الحـزب الاشـتراكي المسـيحي في النمسـا، ولخطب "شاونيرر" رئيس الحزب الألماني المناهض للصهيونية الذي ألفه ألمـان السـوديت في عهد الملكية، أضـف إلى ذلـك مزيجًـا مـن آراء "لاجـار" و"هاسـتون تشـمبرلن"، وهـما

الكاتبان اللذان عرف هتلر أفكارهما بواسطة "ديتريش أكارت"، ثـم نظريـات "شـترايشر" المعادية للصهيونية وحملاته العنيفة عـلى اليهـود واتهامـه إيـاهم بـالإسراف في اللـذات الجنسـية. ويضـم الكتـاب إلى ذلـك كلـه آراء "روزنـبرج" الثمينـة في شـئون السياسـة الخارجية. ولقد كتب هتلر كل هذا في أسلوب صبي من صبيان المكاتب.

وإذا أخذنا بقول الأب "ستانفل" الذي قرأ "كفاحي" في نصه الكامـل مـرتين، يمكننـا أن نؤكد أن ليس في الكتاب سوى فصل واحـد يعـد بحـق مـن مبتكـرات المؤلـف، وهـو فصل الدعاية. وكان الأب "ستانفل" رئيسًا لتحريـر صـحيفة "ميسـباخ" وهـو مـن رجـال الدين المثقفين تثقيفًا عاليًا، ولقد عكف شـهورًا عـدة عـلى تنسـيق الأفكـار والآراء التـي جاءت في "كفاحي" فهذبها وصحح أخطـاء المؤلـف البـارزة وأغلاطـه الصـبيانية. غـير أن هتلر لم يغفر له تصـحيح الكتـاب والاطـلاع عـلى أخطائـه وركاكتـه، فـأوعز إلى "فصـيلة الموت" أن تغتاله فقتلته في ليلة 30 يونية 1934.

ولا زلت أذكر بمناسبة "كتاب كفاحي" قصة مضحكة أرويها فيما يلي: كنا في مـؤتمر الحزب في "نيرونبرج" عام 1927 وكنت عضوًا بالحزب منذ عـامين ونصـف عـام، ومكلفًـا بوضع بعض التقارير، فتلـوت في المـؤتمر بعـض جمـل مـن "كفـاحي" فأثـارت في نفـوس المجتمعين شعورا الإعجاب والتعظيم.

وبينما كنت أتناول طعام العشاء في مساء ذلك اليوم مع بعـض زمـلائي مـن أعضـاء الحزب، وهم "فيدر" و"كوفمان" و"كوك" وغيرهم، سألوني عما إذا كنت حقًـا قـد قـرأت الكتاب، فاعترفت بـأني اقتبسـت منـه بعـض الجمـل ذات المغـزى دون أن أقـرأه كـاملًا، فضحك الجميع.

واتفقنا على أن نسأل من يدخل علينا عما إذا كان قرأ (كفاحي) فإن كان قد قرأه ألزمناه بأن يدفع ثمن ما طلبنا من شراب، وكان أول من قدم علينا (جريجـور شتراسر) فصحنا بـه: أقـرأت (كفـاحي)؟ فقـال بصـوت عـال: لا. وتبعـه (جـوبلز) فأجاب بهز رأسه في يأس مضحك. أمـا (جـورنج) فقـد رد بضـحكة رنانـة. واعتـذر

الكونت (رفنلتو) بأنه لم يجد متسعًا من الوقت لقراءته!

ولم يكن أحد منهم على علم بما سيناله من جزاء لو اعترف بأنه قرأ الكتاب...

وهكذا اتضح أن أحدًا لم يقرأ كتاب الزعيم، فدفع كل منا ثمن ما شربه!

***

وبعد فقد أسلفنا القول بأن هتلر غيَّر خطته واستبدل بها خطة أخرى فهو لن يحاول القيام بأية حركة ضد الجيش أو السلطة المدنية. ولكن ربما لا يزال القارئ يجهل أنه إذا كان هتلر قد خلع عنه رداء الثورة فإنه قد لبس ثوب الوصولي. ففي 20 ديسمبر سنة 1924 تلقى مدير السجن برقية تضمنت أمرًا بإطلاق سراح هتلر وكريبل في الحال؛ فغادر (أدولف هتلر) السجن في اليوم نفسه واستقبل الحياة الطليقة بعد أن استحال من ثائر صاخب إلى مبشر مسالم كالقديس بول، وراح منذ ذلك اليوم يعمل جاهدًا في سبيل القبض على زمام الحكم في ألمانيا.

وكان أول عمل عني به سعيه لمصالحة روما، وقد قال في ذلك للنائب "جورجن فون رامن" الذي زاره في "لاندسبورج": "لا يستطيع الإنسان أن يقاتل عدوين في وقت واحد". وبقي هتلر مخلصًا لفكرته هذه على الرغم من حملات صحيفة اليمين "رايشوارت" التي كان يديرها الكونت "رفنتلو".

ولقد أفضى إلى "هنرش هلد" رئيس وزراء بافاريا ورئيس الحزب الشعبي الكاثوليكي، بتصريح قال فيه أنه يستنكر مذهب "لودندروف" الإلحادي. ثم قال مؤكدًا: "لودندروف هو الوحيد الذي أعتبره عدوًا للكنيسة الرومانية".

مع العلم أن هتلر يعد من المشركين الذين يؤمنون بالمذهب الجرماني لتعدد الآلهة، وربما كان أشد إيمانًا بهذا المذهب من الجنرال "لودندروف" و"روزنبرج" نفسه.

وذات يوم قال هتلر لصديقه "هلد"، وهو رجعي من أنصار البابوية: "كانت

ثورة ميونيخ غلطة كبيرة". وهذا كلام يرضي "هلد"، ولا غـرو فهـو الرجـل الـذي كـان في استطاعته أن يزيل ما كان بين هتلر ورئيس الجمهورية والكاردينال "فولبابر" من خصام. ولتحقيق هذه الغاية كان يتحتم على هتلر أن يطلق الماضي ويتبرأ منه.

وثمة أمر آخر وهو أن كلمة من "هلد" كانت كافية لرفع الحظر الذي كان مضروبًـا على الحزب الوطني الاشتراكي حتى يتسنى لفرق الهجـوم أن تسـتأنف نشـاطها السـابق، وبذلك يصبح هتلر سيدا مطلق اليدين في توجيـه دفـة الحركـة بغـير حاجـة إلى معونـة "لودندروف" و"جراف"!

وراح هتلر يتوسل بشتى الوسائل لبلـوغ غرضـه، فلقـي معونـة كبـيرة مـن الـوزير "جورتنر"، وجعل "هلد" يقول لـ "جورتنر" في فخر وزهو: "لقد كبحنا جماح الـوحش، فـلا بأس من أن نفك عقدة عقاله".

ومع ذلك فقد خسر هتلر صديقين كبيرين من أصدقائه، هما "ريم" و"كريبل". أمـا (ريم) فقد هاجر إلى بولونيا حيث اشتغل بتدريس العلوم الحربية، وقصـد (كريبـل) إلى شنغهاي حيث عينه هتلر -عندما تولى زمـام الحكـم في ألمانيـا - قنصلًا للـرايش في تلـك المدينة.

وكان الجنرال (لودندورف) لا يـزال يخاصـم هتلـر، ولم يجتمـع بـه إلا مـرة واحـدة إجابة لرجاء أخي (جريجور) وإلحافه.

وفي ذلك الوقت توفي الرئيس (إيبرت) وكانت الـبلاد تسـتعد لانتخـاب رئـيس آخـر للجمهوريــة؛ فرشــح الوطنيــون الاشــتراكيون الجــنرال (لودنــدورف) ضــد جماعــة (البورجوازية) والماريشال (هنـدنبورج)، ووعـد هتلـر بـأن ينـاصر (لودنـدورف)، ولكنـه نكث عهده، وأصدر الأمر إلى رجاله بأن ينتخبوا (هندنبورج) في دورة الانتخاب الثانية.

وهكـذا خطـا هتلـر الخطـوة الأولى في سـبيل التقـرب مـن العنـاصر القويـة في

بروسيا، وهي الجيش وأصحاب رءوس الأموال مـن أعيـان الريـف، بعـد أن اصـطلح مـع روما واتفق مع حكومة بافاريا.

أمـا (لودنـدورف) فإنـه لم يتـألم كثـيراً لهزيمتـه السياسـية، ولكنـه لم يغفـر الخيانـة وصمت ثلاثة عشر عامًـا. وقبيـل وفاتـه عـام 1937 أرسـل إليـه مستشـار الـرايش عصـا القيادة أو (الماريشالية) فرفضها الجنرال في جفاء وخشونة.



الفصل الرابع

هتلر الرجل

من الصعب أن نحكم حكمًا عادلًا على رجل ما، حتى ولو كنا واثقين من أننا نعرف ما خفي من أخلاقه وشئونه تمام المعرفة. ويزداد الأمر صعوبة ودقة عندما يكون هذا الرجل عدوًا لنا ولدينا أدلة قوية ضد عداوته، وإذا أردنا أن نتناول بالتحليل شخصية قُدر لها أن تكون من بين الشخصيات التاريخية، وجب علينا قبل كل شيء أن نعرف كيف نميز بين هذه الشخصية وبين الرسالة التي تلقتها.

وقد يستطيع المؤرخ الذي عهد إليه في كتابة تاريخ بطل من أبطال الثورة الفرنسية أو الإنجليزية، أن يشوه وجه التاريخ دون أن يتنكب الحقيقة في شيء، وذلك بألا يتناول بتحليله سوى الصفات البشرية لذلك البطل.

إن المأساة التي نشهدها اليوم في ألمانيا هي مأساة ثورة لم تبلغ حتى الآن سوى مرحلتها الثانية. وتعتبر الفترة التي كانت بين سنة 1920 و1930 فترة تمهيدية أو تحضيرية، ولقد ظهرت في أثناء هذه الفترة طائفة من الفلاسفة والكتاب والمبشرين والمثقفين كان من بينهم "مولرفون بروك" الذي قرنته "بجان جاك روسو"، إذ كان حقًا من كبار الرجال وعظمائهم.

وأعقبت هذه الفترة مرحلة أخرى كان لا بد من مجيئها، وهي مرحلة الهدم التي تزلزل فيها الأرض زلزالها وتنهار دور الثقافة القديمة خلالها والتي تشتعل النار وتسيل الدماء أبانها، فهي فترة الثورة الحقيقية، وهي الفترة التي يجب ربطها بمرحلة البناء والتدعيم.

غير أننا لن نتحدث هنا إلا عن أدولف هتلر، فنرسم له صورة بشرية نحاول أن

نستبين فيها العوامل التي جعلت من هذا المخلوق العجيب الذي أوتي القدرة على سبر غور النفوس، معولًا للهدم والتخريب. هذا الرجل الذي يشعر بدقات قلب الإنسان كما يشعر بها ميزان دقيق، قد عرف بإحساسه الفذ أن يجعل من نفسه معبرًا عن رغبات الشعب الخفية وغرائزه المكبوتة وآلامه وثوراته الدفينة.

غير أن هتلر لا يعرف إلا ما يريد تحطيمه وتدميره؛ وهو يهدم دون أن يفكر فيما سيقيم بدلًا مما هدم وقوض: إنه عدو للصهيونية وللبلشفية وللرأسمالية، ومن خلقه أن يفضح أعداءه ويشهر بهم. ولم يعرف لهتلر صديق مخلص، لأنه لم يعرف مطلقًا أن يصطنع لنفسه صديقًا. ولا زلت أذكر إحدى محادثاتي معه التي كاد يقع فيها أول شجار بيني وبينه، عندما صاح قائلًا: "الحكم، الحكم، لا بد لنا من الحكم".

فقلت: "قبل أن نفوز بالحكم يجب علينا أن نعرف ماذا سنفعل به؟ إننا لم نضع بعد برنامجنا في صيغته النهائية، ونحن نريد أن نعمل عملًا يبقى على مدى الدهر".

وكان هتلر أصبح لا يحتمل حتى منذ ذلك العهد أية معارضة، فضرب المائدة بيده، وقال بصوت خشن: "الحكم أولًا، ثم العمل حسب الظروف فيما بعد".

فقلت: "إن البغض يتولد من الحب فيجب أن تحب لكي تعرف ما ينبغي لك أن تبغض، وبذلك تقوى على تدميره".

أما هتلر فكان يبغض دون أن يعرف الحب، ولقد أثمله الطموح الأثيم، فتكبر كما تكبر "لوسيفر" (الشيطان) وأراد أن يرتفع بنفسه فوق الله. لقد نعت هتلر نفسه بنعتين لم يكذبهما الزمن، فقال في أحدهما إنه "يعد نفسه في الشعب الألماني كقارع الطبل في الجيش".

ودافع هتلر عن نفسه في قضية ميونيخ المشهورة فقال: "عندما وقفت لأول مرة أمام قبر "فاجنر" امتلأ قلبي بالفخر حينما تذكرت أن الرجل الذي يرقد هنا رفض أن يكتب على قبره: "هنا يرقد البارون فجنر، الموسيقى العبقري والمستشار

المقرب"، فكنت فخورًا بما فعل هذا الرجل العظيم من أنه قد اكتفى بأن ترك للأجيال القادمة اسمه دون لقبه. وما قصدت التواضع إذ رغبت في أن أكون من الشعب كقارع الطبل في الجيش، فهي عندي من أعلى المراتب وأسماها، وكل شيء عداها تافه ضئيل!".

نعم ما اهتم هتلر بشيء سوى جمع الجموع، وما تمنى لنفسه أمرًا عدا أن يكون المركز الذي تتجه إليه الجماهير، فتذكره الأجيال القادمة على أية صورة من الصور.

أما النعت الثاني الذي نعت هتلر به نفسه فقد أنهى به إلينا بعد ذلك باثني عشر عامًا، وبعدما صار (قارع طبل الثورة) مستشار الرايش ورئيسه، فقال: "سأواصل السير في طريقي بدقة النائم الذي يسير في نومه". فهو في الحق نائم يمشي في نومه أو وسيط مسير كأولئك الوسطاء الروحانيين الذين تتمخض عنهم أشد العصور اضطرابًا في تاريخ التطور البشري.

كم من مرة سألني الناس عن السر في قدرة هتلر العجيبة على الخطابة، فلا يسعني أن أجلو سر هذه القدرة إلا فيما أوتي هتلر من شعور معجز يستطيع به أن يتعرف الداء الذي يشكو منه المستمعون إليه تمام المعرفة، فلو أنه حاول أن يدعم خطبه بنظريات علمية مشتقة من كتب لم يفهمها تمام الفهم لما ارتفع فوق مرتبة الخطيب العادي. أما إذا ترك العلم والكتب جانبًا وانطلق يهدر بما توحي إليه نفسه، فإنه لا يلبث أن يكون خطيبًا من أكبر خطباء العصر وأفصحهم.

إن هتلر لا يفكر في التدليل على أقواله، وهو قوي عندما يتكلم خاصة عن الأشياء المعنوية كالشرف والوطن والشعب والأسرة والوفاء، التي تأخذ معناها الحقيقي في خطبه.

ومما قاله هتلر: "إذا أراد الشعب الحرية، تيسرت له سبل الحصول على السلاح. أما إذا فقد الثقة بقوته وبأسه فإنه صائر حتمًا إلى الانحلال والانهيار".

فهذا كلام إذا كتبه رجل مثقف احمرَّ وجهه خجلًا من بساطته التافهة وفصاحته الجوفاء. أما إذا نطق به هتلر فإنه يشعل نار الحماسة في الصدور، وينفذ رأسًا إلى قلوب المستمعين إليه.

ولكن من المغالطة أن يقال أن هتلر كان منذ البداية مهرجًا لا عقيدة له، فقد كان فيما مضى مخلصًا في إيمانه بضرورة مذهبه وصدق عقيدته، فكانت له عواطف الثائر، ولكنه لم يخلق من الطينة التي خلق منها الثوار الصادقون. على أنه زعيم يقود الجماهير معتمدًا على غريزته التي تدرك ما يدركه علم النفس. فإذا دخل أدولف هتلر على حفل ما اشتم هواءه بضع دقائق وتحسس جوانبه وتفقد أرجاءه، فلبس للحفل لبوسه، ثم انطلق يخطب الجمع قائلًا:

"إن ألمانيا قد امتهنت كرامتها وديست بالأقدام، فلا بد من أن يتحد الألمان ولا بد من أن يخضع كل منا لمصلحة الجماعة. إني أعدكم بأن أعيد إليكم شرفكم وأن أجعل من ألمانيا قوة لا تقهر".

فينفذ خطابه كما يمرق السهم من الرمية، ويضرب الموضع الحساس، فينطلق العقل الباطن من عقاله، فهو خطاب يتحدث إلى قلوب المستمعين بما يريدون أن يسمعوا.

أما إذا خاطب هتلر كبار الصناع فإنه يلبس لهم ثوبًا يختلف عن الثوب الذي وضعه حينما يخاطب صغار الطبقات الوسطى، ويتريث لحظة يتلمس فيها كنه رغباتهم، ثم تدمع عيناه بوميض خاطف، إذ قد لمس قرارة نفوسهم، فيقول:

"إن مجهود الفرد يجدد الأمم، فالفرد هو الذي يستحق الاعتبار والتقدير، أما الجمهور فهو أعمى غبي، وكل منا رئيس، وألمانيا تقوم على أكتاف هؤلاء الرؤساء".

فلا ريب أنه يصيب منهم بهذا الكلام وترًا حساسًا، فيهتفون ويقسمون أن هتلر رجلهم المرسل وزعيمهم الملهم.

وفي مؤتمر (نورنبرج) عام 1937 تحدث إلى عشرين ألف من السيدات، وكن يتألفن مـن عجـائز وفتيـات، ومـن قبيحـات وجمـيلات، متزوجـات وعانسـات، متشـائمات ومتفائلات، مستهترات ومحتشمات. وهتلر لا يعلم شيئًا عن المرأة ولكنه تحـدث إلـيهن بما أثار فيهن حماسة جنونية فقال:

"ماذا أعطيتكن جميعًا، ماذا أعطـاكن الحـزب الـوطني الاشـتراكي؟.. إننـا أعطينـاكم الرجل!"

إني أعتـذر إلى القـارئ مـن ذكـر هـذه العبـارة المكشـوفة، ولكـن ألم يقـل اللـورد (نورثكليف) بحق "أن الخطبة البليغة تتألف من عبارات وطنية أو ثورية دموية أو مـن الكلمات التي تمس المشاعر الجنسية!"؟

وعندما يقف هتلر أمام الجمهور تستولي عليه حالـة عصـبية تـتجلى فيهـا عظمتـه الحقيقيـة وإخلاصـه إزاء نفسـه، فيـؤمن بمـا يقـول، وتتملكـه قـوة معنويـة خفيـة، فـلا يستطيع الشك في صدق رسالته.

ولكنه يكـون غـير ذلـك عنـدما يعـود إلى حالتـه العاديـة، فتعـوزه بسـاطة الخلـق والمظهر، ويترقب حركاته وسـكناته؛ ولا ينفـك عـن تمثيـل دوره، ولقـد بـدأ هـذا الرجـل بالظهور في مظهر "الجندي المجهول" الذي عاش بعد الحرب، فهـو بطـل مجهـول سريـع الانفعال والتأثر، وهو يسكب دموعًا حارة صادقة للكارثة التي نزلـت بوطنـه، ولكنـه لا يلبث يستبين أن عينيه تواتيانه سريعًا بدموع غزيرة، فهو يـبكي حيـنما يريـد ويسرف في البكاء والتباكي. وأحيانًا يظهر في مظهر القديس (جان باتست) الذي يمهد الطريق لقدوم المسيخ الدجال، ثم يتقمص روح المسيح نفسه حتى يصبح قيصرًا.

وذات يوم أدرك هتلر التأثير الهائل الذي تحدثه غضباته الثورية، فعمد منـذ ذلـك العهد إلى استخدام غضباته وصيحاته الصاخبة كسلاح ناجع لإنفاذ رغباته.

قـد دارت بينـي وبـين هتلـر، قبـل خصـامنا بـزمن مـا، مناقشـة بشـأن صـحيفة

(ناسيونال سوزيالست) التي كنت أديرها في برلين، وكان معنا أخي جريجور ومعاوني (هنكل) فظل الفوهرر زهاء نصف ساعة يدافع عن نظرية خاطئة. فقلت: "إنك مخطئ فيما تقول يا هر هتلر"

فرماني بنظرة حادة، وقال في غضب شديد: "إني لا أخطئ أبدًا، وكل ما أعمله وأقوله يعد من أحداث التاريخ".

ثم صمت مليًا وهدأت ثورته وخارت قواه وظهر كأنه شيخ هزيل أتعبه الفصل الذي مثله. ثم افترقنا دون أن نقول شيئًا. وصحبت أخي "جريجور" وأفضيت إليه:

"إنه مريض بحب العظمة"

"إنك تستفزه وتثيره بكلامك المنطقي المثقف".

غير أن "جريجور" قد أخطأ النظر لأن إيمان "هتلر" بأنه معصوم من الخطأ قد ولد في ذلك اليوم، وتأيد هذا الإيمان في عدة كتب اشتراكية وطنية وخاصة في الكتاب الذي أصدره أخيرًا (هرمان جورنج).

من الصعب أن تعين ما للإرادة وما للمرض من نصيب في التمثيل أي (الكوميديا) الذي يقوم به المصابون بأمراض عصبية أو (هسترية)، ولا شك في أن هتلر مصاب باختلال عصبي فإذا ركن إلى الهدوء والسكينة - وهو الرجل الذي قلما يسكن ويهدأ - ظهرت عليه علامات الذهول، وشعر بأن القطار الذي يطوي الأرض طيًا يسير في بطء شديد، وأن السيارة التي تجرى بسرعة مائة كيلو متر في الساعة ما هي إلا عربة صغيرة يجرها ثوران، وإذا استقل الطائرة ليبلغ مقصده في أقل وقت مستطاع، شكا من أنه لا يحس السرعة!!

ومن العجيب أن هذا الرجل الذي دفع أوروبا إلى كارثة مفزعة، يتردد أمام الإجراءات الثانوية. فقد اتفق أن رغب أخي (جريجور) في رؤيته ليشاوره في أمر بسيط يتصل بشئون فرق (لاندشت) الهجومية، فجعل هتلر يعتذر على مدى عدة أسابيع

محتجًا بانشغاله بعمل مهم، ولكنه انتهى إلى أن ضرب موعدًا لأخي في أحد المطاعم، وجعلا يتجاذبان أطراف الحديث في وئام ومباسطة حتى أشار (جريجور) إلى موضوع الاجتماع فامتعض هتلر وقال أنه يشعر بألم طارئ، واستأذن وانصرف.

إن هتلر ضعيف بطبعه بقدر ما هو قليل الصبر، وهو أحمق متقلب، يفزع مما قد يمس صحته بسوء أو مما قد يفقده السيطرة على أفكاره. ولقد قيل أنه متصوف، فهذا الوصف ينطبق على نوع الحياة التي يحياها أكثر من انطباقه على عقليته؛ لأن المتصوف الصادق يضحي بلذة الطعام وبلذة الحب في سبيل المثل الأعلى الذي يستمد منه قواه الروحية، أما تصوف هتلر فهو تصوف مادي محض، لأنه يعد اللحم مضر بصحته، والتبغ سما من السموم، والخمر مثبطة للهمة والنشاط.

فهذا الوحش الذي كثيراً ما يثور، يخشى أن يفضي على الرغم منه بذات نفسه؛ فهو يرى أن الإفضاء بذات النفس سقوط خلقي ليس بعده سقوط، غير أني ذو طبع يحملني على أن أحذر الأشخاص الذين لا يهتمون بملذات الحياة المشروعة.

قال بسمارك: "لا يطاق الألماني إلا إذا شرب كل يوم نصف زجاجة من نبيذ الشمبانيا".

ولقد قلت لهتلر ذات يوم: "ينبغي لدكتاتور ألمانيا أن يعلم الشعب كيف يعيش عيشة رفيعة".

فنظر إلي دهشًا حتى أنه لم يستطع لأول مرة الرد علي، فاستطردت قائلًا:

"ويجب أن تنشأ جامعة يتعلم فيها الشعب كيف يعيش، إذ لا بد للألماني من الحصول على شهادة جامعية لكي يعد أستاذًا في فن من الفنون!!"

فقال هتلر: "إنك ساخر لاذع"

وكلما قلت لهتلر أن آلهة العصور القديمة كانوا أبطالًا حقيقيين لم يعفوا عن

النساء والخمر، تظاهر بأنه يمثل الحياة الروحية السامية، واتهمني بالمجون وحب الخمر.

وكان هتلر ينفر من ذكر النساء وأحوالهن، ويكتفي بأن يقول عنهن:

"إن النساء يسلبن الرجل السياسي نشاطه وقدرته على تقدير الأمور تقديرًا صحيحًا".

فكنت أرد عليه قائلًا:

"ليس للرجل السياسي سوى معهدين كبيرين هما: التاريخ الذي يعلمه كيف يعرف القوى، والمرأة التي تعلمه كيف يعرف الرجال".

غير أن خوف هتلر الشديد من أن يطلع أحد على شيء من خصائصه كان يخفي وراءه سرًا يحتفظ به في قرارة نفسه، ولم يستطع حتى أقرب المقربين من "الفوهرر" أن يطلع على حقيقته وكنهه.

ولقد عرفت شخصيًا ثلاث نساء لعبن دورًا مهمًا في حياة هذا الرجل المتصوف، واستمعت إلى اعترافات إحداهن، فوقفت على أشياء كثيرة. وكانت أولى هؤلاء النسوة: زوج الهر "بشستن" صاحب مصنع (البيانو) المشهور في برلين، وكانت هذه السيدة تكبر هتلر بعشرين عامًا، وتحمل له حبًا عميقًا حارًا يخالطه شيء من عاطفة الأمومة، وكلما قدم هتلر برلين كان ينزل في أغلب الأحيان ضيفًا عليها، فيلتقي في دار هذه الصديقة الوفية بالرجال السياسيين الذين كان يرغب في الاجتماع بهم. وإذا خلا هتلر بها أو كان معهما بعض الأصدقاء المقربين، جلس إلى قدميها وأسند رأسه إلى صدرها الغليظ وأغمض عينيه، فتداعب بيدها البيضاء شعر طفلها الكبير، وتنضو بأصابعها الناعمة خصلة الشعر التاريخية عن جبين دكتاتور المستقبل، وتقول في حنان وعطف: "يا ذئبي الصغير يا ذئبي الصغير!!".

بيد أن هتلر لم يقنع، مع طول الزمن، بهذا الحب العذري، فتعرف بحواء أخرى أصغر سنًا وأشد جاذبية، وهي ابنة المصور "هوفمان" وكانت هذه الفتاة في مقتبل

العمر وزهرة الشباب، على جانب عظيم من الجمال، ذهبية الشعر، شفافة البشرة، مرنة بضة. ولقد خالطها هتلر مخالطة عميقة، ولكنها كانت ثرثارة، فاتصل الأمر بوالدها، فطلب إلى من أغواها أن يصلح ما عبث به يداه.

ولم يكن هتلر في ذلك الوقت مستشارًا للرايش، ولكنه كان ذا شهرة كبيرة، يتحدث عنه الناس في أوروبا، وانتهى الأمر بينهما بتسوية مرضية، فخرج (هوفمان) من عند هتلر، وهو يملك وحده حق صنع صور الدكتاتور لجميع أنحاء العالم. وبذلك صار (هوفمان) واحدًا من أثرياء الرايش وشخصياته المحترمة، وتزوجت ابنته في عام 1933 من (بالدور فون شيراش)، وهو شاب رشيق، شمله (الفوهرر) بعطفه وعنايته، وعينه رئيسًا للشبيبة الألمانية.

غير أن مغامرات "الفوهرر" الغرامية لم تنته جميعها على مثل هذه الصورة المرضية؛ ففي عام 1928 كانت تقيم معه ابنة أخته (أنجلا) وهي فتاة نمساوية مرحة ذات جمال فتان وحركات ظريفة جذابة، وكانت في التاسعة عشرة من عمرها، يلقبونها (جيلي)، ولم يكن من عاداتها أن تخرج للنزهة واللهو مع خالها (أدولف) وكم كانت تتوق إلى رؤية العالم وتذوق اللهو والرقص؛ فتوددتُّ إليها وغازلتُها واتفقت معها ذات يوم على أن أصحبها إلى أحد مراقص ميونيخ ذات الشهرة العالمية، وبينما كنت أرتدي ملابسي، دخل علي أخي "جريجور" بغتة وقال: "أدولف لا يريد أن تخرج مع جيلي".

ولم أكد أستفيق من دهشتي حتى دق جرس (التليفون) وكان المتكلم هتلر فسمعته يصيح بي قائلًا: "لقد علمت أن بينك وبين (جيلي) موعدًا؛ فأنا لا أسمح لها بأن تصحب رجلًا متزوجًا ولا أريد أن تتردد على مراقص ميونيخ الموبوءة".

فلم يسعني إزاء هذا الحديث سوى العدول عن الخروج مع الفتاة.

وفي اليوم التالي دخلت عليَّ جيلي، وعيناها حمروان ووجهها الصغير الجميل

شاحب مكتئب، وهي ترتجف خوفًا كحيوان يطارده صياد، وصاحت:

"لقد حبسني.. إنه يحبسني كلما أجبت "لا".."

واستوضحتها الأمر، فأخبرتني في غضب واشمئزاز بما يطلبه خالها منها.

ولقد كنت على علم بنزوات أدولف هتلر، وكنت قد سمعت بالأشياء العجيبة التي ارتكبها مع ابنة المصور هوفمان، ولكني اعتقدت وقتذاك أن ابنة هوفمان كاذبة شهوانية، غير أن "جيلي" التي كانت تجهل تمامًا هذا الحادث قصت علي بالتفصيل ما يصعب على رجل ذي عقل سليم أن يصدقه.

فسألت نفسي ماذا أقول لـ (جيلي) وأية نصيحة يمكنني أن أسديها إليها؟.. لقد أفضت إلي بأن خالها يسجنها ويمنعها من رؤية الرجال، فاستولى عليها اليأس من جراء هذه الوحدة الموحشة، وكان "إميل موريس" سائق سيارة خالها، يراودها عن نفسها، وهم بها ذات ليلة فاستسلمت له، ولسوء الحظ داهمهما هتلر، ووقعت مشادة بين الرجلين استمعت إليها الفتاة من وراء الباب. فصاح هتلر بسائق سيارته: "إياك أن تضع قدميك بعد اليوم في هذا الدار" فقال الرجل:

"إن أنت طردتني فثق أني سأبلغ صحيفة "غازت دى فرانكفورت" كل شيء".

فلم يسع هتلر إلا أن يشتري سكوت الرجل بعشرين ألفًا من الماركات استطاع بها أن يشتري حانوتًا لبيع الساعات وإصلاحها أدر عليه أرباحًا عظيمة.

وخاصمت هتلر بعد وقوع هذا الحادث بزمن قليل فلم أتمكن من رؤية (جيلي).

وفي عام 1931 ماتت (جيلي) ميتة عجيبة.

ومنذ أن اكتشفت - بطريق الصدفة - جانبًا من حياة هتلر الخاصة، وعرفت عدم قدرته على الحب وعاداته الشاذة القبيحة التي اعتادها ليشعر نفسه بإحساسات

مصنوعة، أقول منذ عرفت عنه ذلك لم أستطع أن أحس نحو تصوفه المزيف الاحترام الذي توحي إلي به الفضيلة الصادقة.

إن هتلر يعيش على هامش الحياة والمرأة والحب، وينتمي أصدقاؤه الحقيقيون إلى بيئة خاصة غير مرغوب فيها. ولقد تخلى عنه بسبب تصرفاته وأعماله جميع الرجال النزهاء الذين أرادوا الجهاد بجانبه؛ فانفصل عنه (لودندورف)، وأنكره (بوهنر)، وأبى (هلموث فونموك) قائد (أمدن) وأحد نواب النازي في الريخستاغ أن يتبعه حتى النهاية، غير أن من بين أنصاره رجالًا كأخي (جريجور) أصروا على إخلاصهم له حتى جاءت الساعة التي رأى فيها أن وجودهم يضايقه فقتلهم.

أما الذين لا يزالون بجانبه فهم ليسوا أصدقاء، بل شركاء، وهم مخلوقات ذوو رذيلة أو آلة صماء أو وحوش ضارية، فهناك (أمان)، رئيس دار (أهر) للنشر والطبع؛ رجل أعمال وتجارة لا ضمير له. وهناك (هوفمان) الذي أثرى بطرق مشينة، وثمة (إميل موريس) سائق سيارة الفوهرر الذي صار رئيسًا لإحدى فصائل النازي، والذي كان أحد سفاحي هتلر في يوم 30 يونية المشهور، ثم (كرستيان وبر) أبغض الشخصيات التي تعاون هتلر إذ كان يتاجر هذا المخلوق بالنساء الساقطات، ويشتغل في حانة (دونسل) بميونيخ بطرد السوقة عندما يشتبكون في عراك ما، فهذا هو الرجل الذي يستشيره هتلر كل يوم. والشخص الذي له كما للمصور هوفمان، أن يدخل على هتلر بغير استئذان، وهو إلى هذا (فتوة) هتلر وحارسه الذي ينفذ أوامر سيده بنفس القسوة التي كان يستخدمها في حانة ميونيخ. أما (شوب) و(شروك) و(بروكنر) الذين كانوا من صغار الموظفين في إدارة الأمن العام، فهم أقل انحطاطًا ممن ذكرنا، وهم في هذه العصابة أذناب لا شخصية لهم.

ويختص هتلر جماعة قليلة من المقربين إليه بعطفه ورعايته. ولأفراد هذه الجماعة وبعض الأصدقاء الآخرين أن ينادوا هتلر بكلمة آدى (Adi) ولهم أن يتبسطوا معه ويتحدثوا إليه في حرية مطلقة. ويحلو لهتلر مصاحبتهم والاجتماع إليهم، لأنهم من

بيئته، ولأنهم يثبتون له اعتقاده الدفين بأن الإنسان مخلوق شرير بطبعه. وتلك عقيدة لن يتخلى عنها هتلر أبدًا، ولقد قرأ هتلر بإمعان وروية كتابي (مكيافيلي) و(أنتي مكيافيلي) لمؤلفه فردريك الأكبر، على الرغم من أن القراءة تتعبه وتضايقه. وهتلر يؤيد (مكيافيلي) فيما ذهب إليه وينصره، وهو يحاول تبرير جرائمه وخياناته بآراء (مكيافيلي) ونظرياته.

وقد دار بيني وبينه حديث في هذا الموضوع ذات يوم تناول فيه طعام الغداء لدى والدي في (دنكلسباوهل) من أعمال فرانكونيا - وهذه المدينة هي موطن والدتي الأصلي، أقام فيها والداي بعد ما أحيل أبي إلى المعاش - فقلت لهتلر: "كان يعيش (مكيافيلي) في عصر امتزج الدين فيه بالسياسة، فنشبت حرب شعواء بين الخير والشر، أما اليوم فالأمر يختلف عما كان عليه في ذلك العهد، فالدين تابع للسلطة الروحية، والسياسة مرجعها السلطة البشرية، والإنسان طيب وشرير في الوقت نفسه".

فقال هتلر: "كلا. إنه شرير بطبعه، وليس في الإمكان تذليل قياده إلا بالعنف والقوة، وأرى أن جميع الوسائل مشروعة لقيادته وتسييره فيجب أن نكذب ونخون ونقتل عندما يقتضي الأمر ذلك".

فقلت: "إني أوافقك على أن القتل والخيانة وسيلتان يجوز استخدامهما في السياسة، ولكن ماذا يصيبك أنت لو كان الإنسان شريرا بطبعه كما تؤكد؟ فلو أنه كان كذلك لخانك بل لقتلتك منذ زمن طويل".

فاقتضب هتلر الحديث كعادته حينما لا يجد حجة يدعم بها آراءه، وقال إن نظريتي هذه لا تصلح إلا للرجال الذين قدر لهم أن يقودوا الشعوب، وهم يملكون الحق بمقتضاها في أن يعملوا ما يشاءون كأسياد لهم سلطان مطلق.

ولكن من أين يستمد رجل كهتلر بهجة الحياة ولذتها؟ إنه لا يحب أحدًا، ولا

يتذوق حتى جمال الطبيعة، ولا يبتسم إلا نادرًا، فهو محروم من نعمة الفُكاهة، هذه الهبة السماوية التي تحمل الإنسان على أن يضحك من نفسه كما يضحك من غيره. ولقد روى (نفيل هندرسون) السفير البريطاني، في الكتاب الأبيض أنه عجب لانعدام المرح والفكاهة عند زعماء النازي، فهم يظهرون بمظهر جدي خشن وفي هيبة كهيبة البهائم.

وبعد، فقد أتيح لنا أن نلاحظ أن هتلر يخشى الحوار المنطقي وينفر منه، وهو يبتعد كالمرأة عن موضوع الحديث ويدافع عند نهايته عن فكرة لا تمت إليه بصلة ما. وكلما كانت الفكرة غامضة كلما شعر بارتياح إليها! وهو مع هذا كله مولع بالجمل البراقة. ومن العبارات التي يفضلها ويعتز بها هذه العبارة: "يجب أن تكون مصلحة الجماعة فوق مصلحة الفرد"، ولا شك أنها كلمة تطرح علينا مسألة تتعلق بنظام جديد، غير أن هذا الرجل المسير الذي يسير كما يمشي النائم في نومه، لا يكلف نفسه أقل عناء ليستطيع أن يرى الأمور في جلاء، وهو يغضب من الوضوح والمنطق والنقد غضبًا شديدًا. وهو رجل لا فكرة له وليس له مثل أعلى يعيش من أجله.

إنه يتقدم في طريقه مغمض العينين يقوده ذلك الشعور العجيب الذي وضعه في الحالة التي هو عليها اليوم. إنه يمقت المثقفين لأنهم قادرون على إدراك حقائق الأمور. إنه حقود ميت القلب والشعور إنه (هملستوس) في كتاب (رمارك): "لا جديد في الغرب". فهتلر يمقت الفكر و(هملستوس) يثور ضد (جوته).

ولو أن إنسانًا تناول خطب هتلر بالبحث والتحليل، لوجد فيها كلمات معينة جاءت مرات لا تحصى على لسانه، وهي: الحقد والتدمير والتعصب؛ فهو لا يؤمن إلا بالفن الآلي، ويبدو عليه أنه يجهل ماهية التطور العضوي.

إنه لا يعلم شيئًا عن معجزة الخلق البشري وبقاء الجنين تسعة شهور في بطن أمه حتى يتم خلقه وتكوينه. وكيف يدرك هذا وهو الذي لم يولد له ولد، ولا أمل له في ذلك. إن الله سبحانه وتعالى قد حرمه من زينة الحياة الدنيا وأجمل شيء فيها. ثم ماذا

يعرف أدولف هتلر من جمال الطبيعة وبهجة الحياة؟

إن طبيعة نفسه قد أعمته عن رؤية الورود والأزهار يكسوها الندى، وعن مشاهدة حقول القمح تتماوج سنابلها الذهبية في أشعة الشمس الدافئة، وعن سماع ضحكات الأطفال البريئة ودقات أجراس الكنائس تدعو الناس إلى الصلاة، وعن الشعور بهزة القبلة الأولى وحب المرأة، وعن التمتع بالسكون المخيم على الغابة تكسوها الثلوج وبرؤية الجداول وقد تجمدت مياهها من شدة الصقيع، وعن الشعور بالهموم التي تساور الإنسان في يوم من أيام شهر نوفمبر، تلك الهموم التي تذوقها الشاعر الفرنسي (فرلن)، نعم لقد حرم هتلر من كل هذا الجمال الذي أسبغه الخالق على الكون.

فيا بؤس شعب لا خلاق له، ويا بؤس عالم بغير حب، ويا بؤس عصر لا إله له!!

ولكن كيف يكون هتلر على غير ما وصفنا وهو الذي يدعى أنه ذو رسالة ورجل من رجال التاريخ؟! أو لم يكن لزامًا عليه أن يظهر في ثوب (لوسيفر)، وينطق باللغة التي استخدمها "الشيطان" في إغوائه "فاوست"، "الشيطان" الذي لم يقل إلا ما كان يشعر به "فاوست" ويدور في خلده ويشتهيه، كهتلر الذي لا ينطق إلا بما يهوى الشعب الألماني ويحسه ويفكر فيه.

غير أن لـ "فاوست" روحين في جسد واحد، ولقد تولى "الشيطان" مهمة الإعراب عما لهذه الشخصية من غرائز سفلى وشهوات عنيفة، أما هتلر فهو ممثل العنف والقسوة في ألمانيا حيث تسود العناصر السلبية وشياطين الهدم والتخريب.

ولقد اجتمعت في الإنسان، كما اجتمعت في الشعوب عناصر الفضيلة والرذيلة، ولكن "فاوست" قد استطاع أن يتحرر من "ميفستو"، وسوف تتحرر ألمانيا من هتلر.

الفصل الخامس

الهتلرية ضد الاشتراكية

كل ما قاله لي أخي (جريجور) منذ مقابلتي الأولى لهتلر لم يحملني على الانضمام إلى الحزب، ولكني كنت أمحض أخي خالص النصح كلما اقتضت ذلك الأحوال والظروف. وكنت أرقب عن كثب ما يكسبه زعماء حزب العمال الوطني الاشتراكي وما يخسرونه. وكنت أعتقد أن الوطنية الاشتراكية هي التي يمكن بها إصلاح وطني وتجديده، ولكني أبيت رغم ذلك أن أتعاون صراحة مع رجال كان (أدولف هتلر) زعيمهم الأوحد، لأني شهدت أعماله وعجمت عوده فاستطعت أن أحكم عليه.

وفي عام 1925 تغيرت الحال؛ إذ أصبح هتلر بعد إطلاق سراحه رئيسًا للحركة في ألمانيا الجنوبية، ولكنه كان محظورًا عليه دخول جزء من ألمانيا الشمالية، ولم يسمح له إطلاقًا بالخطابة في أي بلد من بلدان بروسيا.

وكان هتلر على علم تام بمواهب أخي (جريجور) في تنظيم الحركة، كما كان على علم بمحبة العمال له وبأمانته الوثيقة؛ فطلب إليه أن يتولى أمر الحركة الوطنية الاشتراكية في ألمانيا الشمالية، وأطلق يديه في جميع الأعمال والتصرفات الخاصة بالحزب في هذه المنطقة.

ولقد رجاني أخي مرة أخرى أن أعاونه، فقبلت رجاءه بعد أن صارت الأمور إلى تلك الحال والتحقت بالحزب في ربيع سنة 1925. وكنت - في أثناء اعتقال هتلر - أساهم في تحرير صحيفة "فولكش بؤباختر" باسم مستعار. فبسطت في هذه الصحيفة قواعد النظريات التي قامت عليها الوطنية الاشتراكية، ومنذ ذلك العهد وقفت (الاشتراسية) أو الاشتراكية لأول مرة في وجه الهتلرية، وانتهى هذا العراك في مهده

عندما أطلق سراح هتلر، فشعرت حينذاك أني قادر على أن أمد يد المساعدة إلى (جريجور) لأمهد طريق النصر لأفكارنا ومبادئنا.

ثم لم نستطع التعاون مع "فون جراف"، لأنه كان رجعيًا أكثر من هتلر، فاستعاد حريته واسترد رجاله واستمر في نشاطه مستقلًا عنا، وكان الجنرال "لودندورف" على اتفاق تام مع أخي "جريجور"، مما جعلنا نرى أن الوقت قد حان لبدء مشروعنا العظيم. وكان علينا أن نضع أساسًا قويًا لتنظيم حزب العمال الوطني الاشتراكي في الشمال تنظيمًا سياسيًا وثقافيًا.

وسواء أكان هتلر لم يدرك اتساع الخلاف في الرأي بيني وبينه منذ ذلك الوقت، أم أنه قبل التحاقي بالحزب كما يقبل الإنسان شرًا لا بد من قبوله. أقول سواء أكان هذا أم ذاك فإنه قد هنأ أخي "جريجور" تهنئة حارة عندما علم بانضمامي إلى الحزب، فقال: "أعتقد أن "أوتو" لن يفعل إلا كل خير، وأن رجلين مثلكما لا بد من أن ينجحا في مهمتهما".

وكانت مهمتنا صعبة في شمال ألمانيا، ولكنها كانت ذات فائدة كبيرة فكان علينا أن نجمع أعضاء الحزب المتفرقين في جماعات منظمة، وأن ننشئ لهم صحفًا تتفق وروحهم بقدر ما تتفق مع الأغراض التي كنا نرمي إلى تحقيقها؛ فأنشأنا في بداية الأمر مجلة نصف شهرية أسميناها (الرسائل الوطنية الاشتراكية) وقصرنا توزيعها على موظفي الحزب.

ثم وجهنا عنايتنا إلى وضع برنامج للشؤون الاقتصادية والسياسية والثقافية ينطوي على مبادئ اقتصادية معادية للماركسية والرأسمالية معًا ويرمى إلى إيجاد نظام جديد يقوم على أساس امتلاك الدولة للأراضي فتضع الحكومة يدها على جميع الأراضي وتؤجرها للأفراد على أن يكون المستأجر حر التصرف في أرضه، ولكنه لا يستطيع بيعها أو تأجيرها لأنها ملك للدولة. وكنا نؤمل بهذا النظام أن نقاوم الحركة العمالية، وأن نعيد إلى بني وطننا الشعور بالحرية، فالرجل الحر هو الرجل الذي لا

يعتمد اقتصاديًا على أحد.

ومما هو جدير بالذكر أن هذا النظام قاصر على الممتلكات التي لا يمكن زيادتها بغير حد كالممتلكات الزراعية والصناعية لبلد ما. أما من الوجهة السياسية فنظامنا اتحادي كالاتحاد السويسري، ومناهض للنظام الكلي أو الدكتاتوري. فبدلًا من أن يتألف البرلمان من أعضاء الأحزاب المختلفة، يجب أن يكون من ممثلي نقابات العمال والفلاحين والمستخدمين والموظفين والصناع وأصحاب المهن الحرة.

ويقضي هذا النظام بأن تنقسم ألمانيا سياسيًا إلى مراكز عدة كما هي الحال في سويسرا، وبذلك تنفصل بروسيا من مقاطعات (ريناني) و(هس) و(هانوفر) و(ساكس) و(شلسفج- هولستن)، بحيث يزول ما لبروسيا من السيادة على ألمانيا. ويجب أن يتولى أمر كل مركز من المراكز الموظفون الوطنيون الذين ولدوا فيه. وللحكومة فضلًا عن ذلك أن تضع يدها على جميع المصانع الكبرى وتقسم الممتلكات الزراعية الكبيرة إلى أقسام صغيرة تابعة للدولة.

ويقضي برنامجنا بالقضاء على العسكرية البروسية، بإنشاء جيش صغير من الجنود المحترفين أو الرديف كجيش الجمهورية اليونانية القديمة.

أما فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، فقد كنا نطالب بطبيعة الحال بأن يسمح لألمانيا بأن تخرج من العزلة التي فرضت عليها، وبأن تكون جميع الدول على قدم المساواة، غير أننا لم نذكر أي مطلب خاص بتعديل الحدود، واكتفينا بالإعراب عن أملنا في أن تجرى انتخابات عامة شريفة في البلاد التي كانت موضعًا للنزاع.

ولقد كنا نرى أنه يجب أن ينشأ اتحاد من دول أوروبا يقوم على نفس القواعد التي يقام عليها اتحاد ألمانيا الداخلي مما يجعل من أوروبا - المجردة من السلاح - كتلة يشد بعضها بعضًا ويحتفظ كل بلد فيها بإدارة شؤونه الخاصة وبعاداته ودينه.

كذلك كنا نقول بإزالة الحواجز الجمركية حتى تنتفع الدول جميعًا بنظام التبادل

التجاري الحر كما تفيد من حرية التبادل الثقافي.

وكان من رأينا أن الحرب لم تندلع نيرانها في عام 1914 إلا بسبب الفساد التدريجي الذي أصاب المبادئ الاقتصادية والثقافية القديمة. وليس من المستطاع القيام بأي إصلاح ناجع إلا بواسطة نظام جديد يعيد التناسب والتناسق بين رأس المال والعمل، وبين الفرد والجماعة. والتناسق يتعارض كلية مع الدكتاتورية فيجب أن تزول دكتاتورية الطبقات ودكتاتورية العناصر.

ويجب أن يكون هناك انسجام بين الخالق والمخلوق، وبين الشعب والدين. ومما يؤسف له أن المادية أوجدت منذ عام 1900 مشكلة نفسية تسبب عنها انحطاط خلقي ونفسي عميق.

وجملة القول كان الانسجام في جميع الأحوال غايتنا الأولى، ولقد حاولت مرارًا أن أقنع هتلر بما لهذا الغرض من شأن وأهمية؛ فذهبت جهودي أدراج الرياح؛ لأن عقليته لا تستسيغ مثل هذه الآراء. فالوحدة عند هتلر تتجلى في الزي العسكري أو في عرض جماعة من الرجال أو النساء يمشون بخطوات عسكرية ويتحركون بحركة واحدة ويهتفون بهتاف واحد.

وبعد، فإن "جريجور" لم يستطع أن يستصحب مساعده (هنريش هملر) إلى برلين، إذ كان (هملر) يحل محل أخي في (لاندشوت) التي كان يتردد عليها من وقت لآخر، ليكون على اتصال برجاله وليتفقد الصيدلية.

ولقد أعجبت أنا وأخي منذ وقت ما بمواهب شاب "ريناني" يقال له (جوزف جوبلر) سكرتير النائب (فيجر سهاوس) قطب من أقطاب حزب (جراف). إذ كان هذا الشاب القصير القامة، القبيح المنظر، الأعرج، فصيح اللسان، قوى الحجة، ذا قدرة عجيبة على التبشير والدعوة.

ولقد استمعنا إلى خطبه الملتهبة التي كان يهاجم فيها حزب العمال الوطني

الاشتراكي، فأدركنا أن محالفة رجل مثله يكون لنا فيها غنم وفائدة، وكان (جريجـور) قـد نقل مركز نشاطه وعمله إلى منطقة (الرور) حيث كانت توزع مجلتنـا نصـف الشـهرية، فشرع في التفاوض مع (جوبلز) فألفاه رجلًا سلس القياد يرضيه القليل، إذ قبل (جـوزف جوبلز) أن يتولى رئاسة تحرير مجلتنـا، وأن يكـون سـكرتيرًا خاصًـا لأخـي مقابـل مرتـب شهري يقدر بمائتي مارك.

ولكنا لم نلبث قليلًا حتى تبينًّـا أننـا لم نوفـق كـل التوفيـق في إلحـاق هـذا الشـاب بجماعتنا، إذ كان (جوبلز) طموحًا كذوبًا مذبذبًا يلبس لكل حال لبوسها. وكان يزعم أنه أحد الأبطال من المحـاربين القـدماء في (الـرور)، وأن الفرنسـيين قـد أسروه وأنهـم كـانوا يضربونه بالسياط كل يوم. وأكثر (جوبلز) من ترديد مثل هـذه الأقاويـل حتـى داخلتنـا الريبة في أمره، فأمرت باستقصاء حقيقة شأنه. فاتضح لنـا أن (جوزيـف جـوبلز) لم تطـأ قدماه أرض السجن إطلاقًا، وأنه اخترع قصته من أولها لآخرها...

ولقد ارتكب (جوبلز) تزويرًا بأن قدم تاريخ البطاقة الخاصة بعضـويته في الحـزب. وعلم بذلك الهر (كوفمان) رئيس دائرة (الـرور) ومحـافظ هـامبورج الآن، فـأمر بـإجراء تحقيق آخر مع المزور الأعرج ثبتت فيه إدانته، ولكن عندما اتصل بنا نبـأ هـذا التزويـر كان (جوبلز) قد خان العهد وانسل من جماعتنا.

وراح (جوبلز) يواصل نشاطه في حزب العمال الـوطني الاشـتراكي إلى أن وقـع هـذا الحادث الذي تركنا على أثـره. وذات يـوم وجـه (جريجـور) الـدعوة لعقـد اجـتماع مـن رؤساء الأقاليم في (هانوفر) تحت رئاستنا المشتركة فأجاب الدعوة رؤساء دوائـر الشـمال، وهم: (كوفمان) و(روست) وزير التربية الحالي و(كرل) وزير الثقافة الآن، و(ليه) رئـيس جبهـة العمـل و(هلـه بـراوت) محـافظ مكلمبـورج الحـالي. فبلـغ عـددنا حـوالي أربعـة وعشرين عضوًا، وانضم إلينا الهر (جوتفرد فيدر) مندوب هتلر.

وعندما علم رؤساء دوائر الشـمال أن هتلـر ينـوي إرسـال منـدوب يمثلـه في (هانوفر) أعربوا جميعًا عن استيائهم الشديد من ذلك، وصاح (جوبلز) الذي كان

يتظاهر بأنه ملكي أكثر من الملك: (لا نريد أن يكون بيننا جواسيس علينا).

واقترح المجلس على حضور (فيدر) الاجتماع، فوافق على حضوره بأغلبية ضئيلة. وكان من بين المسائل التي سيعرض لها المؤتمر مسألة على جانب عظيم من الأهمية وهي نزع ملكية أمراء الأسرة الإمبراطورية التي اختلفت بشأنها الآراء في ألمانيا. وكانت فترة تضخم العملة - لحسن الحظ - قد انقضت، وعاد المارك إلى سعر ثابت. ومع ذلك لم تستطع الحكومة أن تدفع ديون الحرب لمستحقيها، كما لم يستطع أصحاب السندات الحكومية أن يتسلموا شيئًا من دخل سنداتهم. أفلم يكن منافيًا للعدل والآداب في تلك الظروف أن يسترد الأمراء الذين كانت عليهم تبعة الحرب ونتائجها، قصورهم وحقولهم ومبلغًا يقدر بنحو مائة مليون من الماركات الذهبية؟ لقد عارض حزبا العمال والديمقراطيين معارضة شديدة هذا المشروع كما أظهر حزب العمال الوطني الاشتراكي عزمه على معارضته.

وانتظارًا لإجراء أول انتخاب عام في ألمانيا، أراد رؤساء الدوائر التابعة لجماعتنا أن يتخذوا قرارًا بشأن المشروع المشار إليه. بينما كانت تأتينا من (بافاريا) أنباء تؤيد تقدم حركة (أدولف هتلر) وكنا نعلم أن موافقة حزب العمال الوطني الاشتراكي على نزع ملكية الأمراء تتعارض مع خطة هتلر وتدبيره.

أما في (هانوفر) فقد لقي مشروع نزع الملكية موافقة الجميع عدا الدكتور (ليه)، وعندما احتج (فيدر) باسم هتلر على المشروع انبرى له (جوبلز) فألقى خطبة رنانة دافع فيها عن رفقائنا؛ وصاح في ختامها بأعلى صوته: "إني أطالب والحالة هذه أن يفصل أدولف هتلر البورجوازي الصغير، من الحزب الوطني الاشتراكي" فصفق له الحاضرون تصفيقًا حادًا.

وهنا تدخل (جريجور) في الأمر، وقال إن قرارًا كهذا لا يمكن أن يتخذه إلا مؤتمر عام للحزب. ولكنه كان مقتنعًا بأن حزب العمال الوطني الاشتراكي في الشمال سيقترع ضد الأمراء. وصالح الهر (روست): "إن الوطنيين الاشتراكيين رجال أحرار

ديمقراطيون. وليس لهم زعيم أو "بابا" يمكنه أن يدعي العصمة؛ فليعمل هتلر ما يريد، ولنعمل نحن وفقًا لما تمليه علينا ضمائرنا".

ولقد وقعت حوادث مماثلة لهذه الحوادث في الحزب الديمقراطي؛ فخالف الدكتور (شاخت)، النائب وعضو مجلس إدارة الحزب، رأي الأغلبية، وأعلن أنه يناصر الأمراء، واستقال من الحزب. وهذه أول مرة اتفق فيها هتلر وشاخت في الرأي. وصار هذا الرأي فيما بعد أساسًا لاتفاق الرجلين.

وقد وافق المؤتمر الذي عقدناه في (هانوفر) على (برنامج شتراسر) وقرر استبدال الخمس وعشرين مادة التي وضعها هتلر لحزب العمال الوطني الاشتراكي بهذا البرنامج، وقررنا تنشيطًا للحركة أن ننشئ في برلين صحيفة تدعى (كامف فيرلاج) بجانب عدة صحف أخرى، وتوليت إدارة هذه الصحف ودار النشر، وكانت تصدر في ألمانيا الشمالية صحيفة الدكتور (ليه)، فبقيت كولونيا هتلرية.

ولكي نفهم السر في سخط هتلر على مشروع نزع ملكية الأمراء، يكفي أن نتتبع التحول الذي طرأ على مبادئه؛ فقد أصبح هتلر من المحافظين لأنه كان بحاجة إلى المال لحزبه، وهو يعلم أنه لا يستطيع الحصول على المال إلا من الرأسماليين.

وطبعي أن مشروع نزع ملكية الأمراء من شأنه أن يزعج أصحاب المصانع الكبرى وكبار الملاك. فمن المنطق أن يرى هؤلاء جميعًا أن مسألة تقسيم ممتلكات الأسرة المالكة ما هي إلا الخطوة الأولى في سبيل اتخاذ تدابير أخرى مماثلة قد يكونوا هم ضحيتها.

ولم يتأخر الرد على مؤتمر (هانوفر) طويلًا إذ قرر هتلر عقد مؤتمر إقليمي، واختار له يومًا غير يوم الأحد، لأنه يعلم أن معظمنا يشتغل طول الأسبوع عدا هذا اليوم! ولم يستحضر إلى (هامبورج) رؤساء دوائر الجنوب فحسب بل استحضر أيضًا كثيرًا من صغار موظفي الحزب ليحصل على عدد كبير من الأصوات، وأمر بتعبئة

فرق الهجوم لتعاونه على إحراز النصر.

ولسنا بحاجة إلى توضيح ما يفهمه هتلر من حرية الرأي، أو الطريقة التي يتبعها عندما يدعي أنه يرغب في استشارة معاونيه أو أخذ رأى الشعب، فأساليبه لم تتغير كما اتضح ذلك لأوروبا من الحوادث التي وقعت في السنين الأخيرة.

ولقد قرر هتلر منذ مدة طويلة، أن يحول منصب رئاسة الدائرة الحزبية إلى وظيفة لها مرتب بحيث أصبح هؤلاء الرؤساء الذين يشتغلون معه ويمحضونه النصح، مساعدين له يتقاضون أجرًا على ذلك.

ولم يكن بيننا من لديه الوقت والوسائل التي تمكنه من التوجه إلى (هامبورج) ما عدا (جريجور) الذي كان له - بوصفه عضوًا في مجلس النواب - بطاقة مجانية للسفر بجميع خطوط السكك الحديدية في ألمانيا؛ فقصد إلى (هامبورج)، واستصحب معه (جوزف جوبلز) المجاهد الكبير، ليعاونه في الدفاع عن قضيتنا.

واجتمع (مؤتمر هامبورج) في فبراير عام 1926 أي بعد مضي ثلاثة شهور على اجتماعنا في (هانوفر)؛ فدافع هتلر عن قضية الأمراء ومطالب أسرتهم الارستقراطية دفاعًا حارًا. أما جوبلز فقد انتهز الفرصة للتفاوض مع موظفي حزب العمال الوطني الاشتراكي البافاري، ولقد اهتز لرؤية السيارات العديدة التي أعدت لأعوان هتلر ومساعديه؛ فراح يوازن بين حياته المتواضعة البسيطة وحياة النعيم التي كان يتمتع بها رجال كـ "شترايشر" و"أسر" و"فيبر" وغيرهم. فاختار لنفسه طريقًا جديدًا قبل أن يبدأ المؤتمر جلسته الأولى.

وبعدما ألقى هتلر خطابه، وقف "جوبلز"، وقال بأعلى صوته: "إن الهر هتلر محق فيما ذهب إليه- لم يكن هتلر في ذلك الوقت يلقب بـ (الفوهرر) - ولا جدال في أن حجته قوية مقنعة إلى حد لم نجد معه غضاضة ولا عارًا على أنفسنا في أن نعترف بأخطائنا، وننضم إليه في الحال".

فلم ينس أحد من أعضاء الحزب حتى اليوم هذا العمل الوضيع الذي ارتكبه ذلك الأعرج القصير في مؤتمر هامبورج، ولا يزال رفقاؤنا القدماء يطلقون على جوبلز عندما يذكرونه "خائن هامبورج".

ويظهر أن هتلر كان يتوقع حدوث هذا الانقلاب من جانب (جوبلز) كما كان ينتظر هزيمة "جريجور شتراسر" بعد أن تخلى عنه (جوبلز) في المؤتمر وأصبح وحيدًا لا يقوى على المقاومة.

وفي اليوم التالي وقعت مشادة عنيفة كان لابد من وقوعها بين هتلر وجريجور، ولقد قص علي أخي ما حدث فقال: "كنت أدافع عن قضيتنا دفاعًا قويًا، ولكني كنت أشعر بأن هتلر يغلبني على أمري، ولم يضطرني إلى اللجوء إلى العنف، لأنه استخدم معي جميع وسائل الإغراء التي عرف بها، وكان يقترب مني أحيانًا حتى خيِّل إلى أنه سيأخذ بخناقي ولكنه كان يمسكني من كتفي ويخاطبني في ود وصداقة قائلًا: "أصغ إلي يا جريجور، يجب عليك أن تترك حياة الموظف التافهة. وتبيع الصيدلية وتأخذ ما تريد من المال من صندوق الحزب، وتعيش عيشة تليق بمركز رجل مثلك".

وقد استمعت إلى رواية أخي، وأنا قلق مضطرب أشعر تمامًا بما كان يريده هتلر منه، فقد حاول هذا الرجل كما حاول مع الآخرين أن يجعل من (جريجور) ذنبًا من الأذناب وعبدًا للأموال التي استطاع جمعها. ولكن هتلر لم يستطيع أن ينال منا في تلك المرة، تتمكنا زعم ذلك من أن نحافظ على استقلالنا وحقنا في إنشاء دار النشر، كما استطعنا أن نواصل إصدار صحيفتنا "الرسائل الوطنية الاشتراكية".

غير أننا اضطررنا إلى التخلي عن برنامجنا واعتناق برنامج هتلر المؤلف من خمس وعشرين مادة، وأسديت لأخي هذه النصيحة: "يجب أن نحتفظ بالصيدلية قبل كل شيء، وإياك أن تقبل مالًا منه".

وكنت في ذلك الوقت مستشارًا قضائيًا لإحدى الشركات الصناعية الكبرى،

وباعتزالي هذا المنصب حصلت على تعويض مالي كبير، استعنا به على إنشاء صحيفة في برلين، وشراء ثماني صحف أخرى حولناها فيما بعد إلى صحف يومية.

وبدأنا النضال بنشاط وعزم كبيرين؛ فتوليت إدارة هذه الصحف التي كانت تعبر عن مبادئنا ونظرياتنا، وكانت إجراءات جماعتنا الديمقراطية تتعارض مع قرارات حزب العمال الاشتراكي للجنوب.. تلك القرارات التي كانت تقترب شيئًا فشيئًا من الرأسمالية، ولقد تسبب عن نشاطنا العظيم منافسة تجارية بين صحفنا وصحف (أهر) التي كان يديرها الهر (آمان) وكان لنا فيها قصب السبق.

وفي ذلك العهد عاد (جورنج) من رحلته الطويلة في إيطاليا والسويد، وطلب إلى هتلر أن يرشحه عن الحزب في الانتخاب لمجلس النواب، وهدد بقوله: "إذا رفض الحزب ترشيحي سأطالبه أمام القضاء بتعويض عن الجرح الذي أصابني في 9 نوفمبر".

ولقد قال لي ذات يوم أخي جريجور: "ألم يبلغك أن الحزب عدل عن ترشيح الفوهرر (كوك). ورشح (جورنج) بدلًا منه؟ وهكذا استطاع هذا الرجل أن ينال من هتلر بالتهديد".

ولكني كنت أرى شيئًا أبعد مما رأى أخي، فأدركت المنفعة التي كان يضمر هتلر إفادتها من (جورنج) الضابط القديم الذي كان له صلات وثيقة بأصحاب المصانع الكبرى. فلو لم يكن "جورنج" بجانب هتلر، لما استطاع هذا أن يتصل بغير الطبقة الوسطى من الرأسماليين الذين نجح بالفعل في ضمهم إليه.

وبمعونة (جورنج)، تمكن هتلر من أن يتصل بـ (تيسن)، صاحب المصانع المشهورة، وبـ (كيردورف)، مدير المصروفات السرية للمصانع الكبرى، وبالدكتور (شاخت الخبير) الذائع الصيت في مسائل العملة. ومنذ ذلك الوقت بدأ هتلر حياة أخرى وجعل ينفق أموالًا طائلة في سبيل القضاء علينا.

ولقد توجهت مرات عديدة إلى (ميونيخ) حيث دارت بيني وبين هتلر محادثات كانت تزداد عنفًا وحدة وتعرفت في داره عام 1928 بالآنسة (جيلي رويال) ولم يكن لهذه الفتاة أية صلة بالجفاء الشديد الذي طرأ على علاقتي بهتلر.

وفي تلك الأثناء كان (هملر) قد أغواه الأمل بتولي إدارة الحرس الأسود الذي ألفه هتلر لمصلحته الخاصة، فكف عن معاونة أخي وانحاز إلى الفوهرر. وجعلنا ندافع عن مبادئنا وأفكارنا بكل ما كان في وسعنا من نشاط وقوة، وكانت دعوتنا منظمة تنظيمًا بديعًا. وألقى (كوفمان) و(كوك) و(ستاوهر) و(وشوبك) و(فرانزن) و(جروه) خطبًا بليغًا في جميع أنحاء ألمانيا الشمالية قوبلت بحماسة واستحسان عظيمين، ونشرناها في صحفنا في برلين وغيرها، ولقد كسبنا مقاطعة (ساكس)، وربح هتلر (تورنج) واستطاع أدولف هتلر بفضل صلاته الجديدة القوية أن يلغي الأمر الذي كان يقضى بمنعه من الخطابة في ألمانيا الشمالية؛ فأصبح يستطيع أن يخطب الناس في عدة مراكز خصوصًا في (برمن) و(انهالت) و(ولدنبورج).

ويؤسفني أن أقول أن حوادث عامي 1928 و1929 أثرت على صلتي بأخي "جريجور" تأثيرًا خفيًا، فعندما كان في برلين أقام في داري وكنا نقضي ليالينا في مناقشات طويلة عديمة الجدوى. وبلغت الحال (إلزا) زوجة أخي التي كانت تنفر من هتلر، أن أعربت عن رغبتها في أن يكون لها سيارة كما كان لزوجات كبار موظفي الحزب في بافاريا.. أما "جريجور" فقد ذكر حججًا أخرى أكثر قوة لتبرير تمسكه بإصلاح هتلر، فرحت أذكره بخيانات هذه الرجل المتتالية، وقلت:

"في الحق أننا لم نعد ننطق باللغة التي يتكلم بها هذا الرجل فنحن اشتراكيون، بينما قد وضع هتلر يده في يد الرأسماليين - ونحن "جمهوريون" - بينما ينحاز هتلر إلى جانب "فتلسباك" وأسرة "هوهنزولون"، ونحن أوربيون أحرار نطالب بحريتنا ونريد أن نحترم حرية الآخرين. أما هتلر فإنه يتحدث إلى أخصائه في بسط السيادة الألمانية على أوروبا، ونحن مسيحيون، وأوروبا بغير المسيحية صائرة إلى الضياع والتهلكة، إلى

الإلحاد والزندقة".

فاستمع إلي (جريجور) وهو مقطب الحاجبين، تتجلى على وجهه علامات الجد والاهتمام، ثم صاح: "كلا. كلا، كلا. إنني لن أنقاد لهذا الجواد المتوحش الذي يجمح لكي يتخلص من فارسه، وأقسم أني لأكبحن جماحه".

قلت: "إنك لن تستطيع يا أخي أن تكبح جماحه، لأن الجواد لا يحاول التخلص من فارسه، بل بالعكس يستدرجه إلى طريق مشئوم، وعندي أن عنانه قد أفلت من يديك، فيجب أن تخاطر بكل شيء وتتخلى عن الجواد قبل فوات الوقت، نعم يجب أن ننفصل عن هتلر".

ولكني لم أستطع أبدًا أن أقنع أخي بالعدول عن رأيه، وكلما حاولت ذلك أجابني: "كلا. كلا".



الفصل السادس

معركة على المكشوف

ثم خطرت لهتلر فكرة مكيافيلية؛ فعيّن "جوبلز" رئيسًا لدائرة برلين؛ فأصبح لسكرتير أخي السابق بعض السلطة علينا، وصار في استطاعته أن يعطل أعمالنا بإجراءات إدارية لا يسأله أحد عنها، ووضع تحت تصرفه فريقًا من فصائل الهجوم التي كان (الفوهرر) يتولى الإنفاق عليها في جميع أنحاء ألمانيا الشمالية.

وفي عام 1927، أنشأ (جوبلز) في برلين صحيفة يومية يقال لها (أنجريف) ويقصد بها منافسة صحيفتنا (جريدة العامل) التي كانت الصحيفة الرسمية منذ مارس 1926 لحزب العمال الوطني الاشتراكي للشمال.

وطبيعي أن (جوبلز) لم يدع فرصة تمر دون أن يعرقل نشاط أنصارنا ويوعز بالقبض على بائعي صحفنا، ولقد بلغ به الأمر أن كان يخفي علينا مواعيد الاجتماعات التي يشرف على تنظيمها، بحيث عاد أعضاء الحزب لا يبتاعون سوى صحيفة (أنجريف) بدلًا من (جريدة العامل) حتى يمكنهم أن يكونوا على علم بما يجرى خاصة بالحركة، فكتبت أنا وأخي جريجور عدة كتب إلى هتلر احتججنا فيها على طريقة (جوبلز) غير المشروعة.

غير أن هتلر لم يكن رجلًا يكره الدس، فكتب إلينا يقول: "إن صحيفتكم هي ولا شك صحيفة الحزب الرسمية في برلين فليس في استطاعتي أن أمنع "جوبلز" من أن يكون له صحيفته الخاصة" ولعمري كيف تكون صحيفة (جوبلر) في العاصمة صحيفة خاصة؟!

وتوالت الأيام والشهور بينما "جوبلز" يشتغل في برلين بتنظيم حرب شعواء ضد

رجالنا وأنصارنا المخلصين، فكان يوعز إلى شبان فرق الهجوم بأن يتخفوا في زي الأشقياء ويتربصوا برجالنا ويعتدوا عليهم في الطريق، ولقد حاول "جوبلز" مرات عديدة أن يعتقلني فذهبت جهوده أدراج الرياح.

وكنا كلما طالبنا بإجراء تحقيق خاص بهذه المعارك والاعتداءات العجيبة بغية تحديد المسئولية، قيل لنا: "الشيوعيون يطاردونكم ويعتدون عليكم؛ فدعوا فرق الهجوم تحرسكم منهم".

ومعنى هذا بلغة أخرى: "دعوا الجواسيس يدخلون بين صفوفكم، ولكم علينا أن ندعكم وشأنكم!

واتخذ معظم أعواني ضواحي برلين مقرًا لهم، لأنها تابعة لدائرة (براندبورج) السياسية ورئيسها (اشتراسي) محض. أما أنا فلم يمكني التخلي عن الدفاع عن قضيتنا في برلين نفسها.

وبينما كنت ذات صباح من ربيع 1928 وحيدًا في غرفة عملي التي اعتدنا فيها أنا وجريجور أن نكتب على مكتبين متقابلين، إذ دخل عليّ هتلر فجأة وبغير استئذان. ولم أكن أعلم بوجوده في برلين.

واتجه مسرعًا نحو مكتب (جريجور) دون أن يقرأني السلام، فأخذ مكانه، وقال بغتة:

"هذا لا يمكن أن يستمر على هذه الحال"

"ماذا تعني، ياهر هتلر؟"

"أعني مخاصماتك المتواصلة للرجال الذين يقفون في صفي، فمنذ عام كنت تشكو من (شتراتشر) ثم من (روزنبورج)، وها أنت الآن تخاصم (جوبلز). فهذه حالة لا تطاق".

"لا وجه للشبه بين هذا وذاك. إن (يوليوس شتراتشر) رجل ساقط الخلق؛ ففي أثناء اجتماع مؤتمر نورمبرج في العام الماضي، طلع علينا هذا المخلوق في صحيفته بجرائم اليهود الجنسية. فقلت له أن نفسي تنفر مما يكتب في صحيفته، وأني أحب الأدب وأمقت الخلاعة، ووقعت بيني وبينه مشادة عنيفة".

فقال هتلر الذي كان يبدو عليه الارتباك عند ذكر المسائل الجنسية: "ولماذا تخاصم (روزنبرج)؟".

قلت: "أخاصمه لإلحاده".

فنهض هتلر وراح يذرع أديم الغرفة جيئة وذهابًا، ثم صاح:

"إن نظريات (روزنبرج) ما هي إلا جزء لا يتجزأ من الوطنية الاشتراكية".

فقلت: "لقد كنت أحسب أنك صالحت روما".

فتوقف هتلر، ونظر إلي، وقال: "المسيحية هي في الوقت الحالي، جزء من برنامجنا الذي وضعته، ولكن يجب أن نكون ذوي نظر بعيد.. إن (روزنبرج) بشير ونبي، تعبر نظرياته عن الروح الألماني أتم تعبير وليس في استطاعة الألماني الصادق الوطنية أن يحكم بإدانة رجل مثله".

فأمسكت عن الرد عليه دون أن أغض من بصري إزاء نظراته الحادة وعجبت لسوء نيته ونفاقه. فبدرت منه حركة كأنه أراد أن يمحو أثر ما أفضى به إلي، وقال:

"فلنعد إلى مسألة جوبلز - التي جئت هنا من أجلها - فأقول مرة أخرى أن هذه الحال لا يمكن أن تدوم".

فقلت: "حسنًا. ولكن ما أجدرك بتوجيه هذا الكلام إلى "جوبلز"، إنه وفد على هذه المدينة بعدنا، وأصدر صحيفته بعد ظهور صحيفتي؛ فالحق لي وليس له".

فضحك هتلر ضحكة عالية وقال: "المسألة لا تستند إلى الحق، بل إلى القوة؛

فماذا تفعل لو أن فريقًا من جنود "جوبلز" دهمك في غرفتك هذه؟"

فتناولت مسدسي من موضعه بالمكتب ووضعته بجانبي، وقلت: "لدي ثمان قذيفات في هذا المسدس يا هر هتلر، وهي تكفي لإرسال ثمانية من جنود جوبلز إلى العالم الآخر".

فانتفض هتلر وصاح قائلًا: "أعلم أن جنونك قد يدفعك إلى إطلاق النار، كما أعلم أنك لن تتردد في الدفاع عن نفسك، ولكنك لن تجرؤ مهما كانت الحال على أن تقتل جنودي".

فبادرته بقولي: "أجنودك هم أم جنود "جوبلز"؟.. إذا كانوا جنودك فإني أنصحك بألا ترسلهم إلي، ولئن كانوا جنود "جوبلز"؛ فليس هناك أحد سواك يمكنه أن يمنعهم من المجيء هنا، أما أنا فثق أني لا أتردد في أن أطلق النار على أي إنسان يهاجمني، ولست أقيم أي وزن لزيهم وقمصانهم السمراء".

فخاطبني هتلر لأول مرة وآخر مرة باسمي الصغير قائلًا:

"أوتوا" اعتبر نصيحتي وعد إلى رشدك بحق حبك لأخيك".

وأخذ يدي في يديه، ومكثنا في وجوم رهيب، ثم ودّعني وانصرف.

ومنذ تلك اللحظة عقدت العزم على أن أحارب نفاقه حتى أغلبه أو أنفصل عنه. ولكني كنت أبقي على أخي "جريجور" إبقاءً جعلني أتردد طويلًا في الانفصال عن هتلر، إذ لو أني خرجت عليه لما وجدت بدًا من قطع صلتي بأخي.

ثم أني استمعت لنصيحة أخي؛ فأقمت كما أقام أصدقائي في "لينز" بضواحي برلين التابعة لدائرة (براندبورج)، ونقلنا إليها مطبعتنا وظلت (صحيفة العامل) الجريدة الرسمية للشمال، وأطلقت لأعواني عنان الحرية، فراحوا يناقشون وينقدون أعمال رؤساء الأقاليم الجنوبية ويحكمون عليهم في حرية وصراحة. وكان الكونت (رفنتلوف)

من بين أنصاري المتحمسين الصادقين.

وكان (آمان) الذي ناهضنا صحفه ونشراته يحرض علينا (الفوهرر) فلم أشك منه، لأني كنت واثقًا من أن يومًا سيأتي يطهر فيه الدمل مما ينطوي عليه من صديد.

وأذكر أن هتلر عرض علي في عام 1929 أن أبيعه صحيفتي، فرفضت رفضًا باتًا، إذ كنت مصممًا على ألا أبقى في الحزب إلا مدى الفترة التي يمكنني خلالها أن أجاهد بصدق وحق في سبيل ما كنت أؤمن بصدقة وحقه، فلو أني حرمت الإشراف على صحفي، لأصبحت ككثير غيري موظفًا لرجل كان أعوانه في الجنوب يخاطبونه منذ ذلك الحين بكلمة (فوهرر).

وفي سنة 1930 تحرجت الحال واستحكمت حلقاتها؛ ففي شهر إبريل قررت نقابات العمال في (ساكس) الإضراب عن العمل في المصانع، فوطنت العزم على تأييد هذه الحركة بكل ما لدينا من قوة ووسائل، ورصدت صحفي لخدمتها.

ويُمكنك أن تدرك في يسر مقدار الغضب الشديد الذي استحوذ على أصحاب المصانع الذين ارتبط بهم هتلر بروابط الحلف والصداقة! فقد كان (تيسن) وزملاؤه من كبار الصناع يتكفلون بالإنفاق على فرق القمصان السمراء التي أشاح عنها الجيش بوجهه، إذ كان يختص هيئات اليمين الأقصى بعطفه وتعضيده.

ولولا ما كان لهتلر من أصدقاء جدد لسقط هو وحزبه في هاوية الخراب والتهلكة، فقد تلقى من اتحاد أصحاب المصانع في ساكس إنذارًا جاء فيه ما يلي:

(إن لم يعارض الحزب الوطني الاشتراكي وصحفه خاصة صحيفة (سايشيش باويشلر) إضراب العمال ويحاربه بكل ما لديه من وسائل، فإن اتحاد أصحاب مصانع الرايش جميعًا سيقبض يده عن الأموال التي يدفعها لحزب العمال الوطني الاشتراكي).

ولم يكن من المستطاع كتمان أمر هذا الإنذار المشين المهين، فوقفنا على ما تضمن، وقبل هتلر الإنذار، وأجاب الاتحاد إلى طلبه، فتأكدنا جميعًا من ذلك اليوم

أن هتلر صار عبدًا للرأسماليين.

وأصدر هتلر أمرًا بإمضائه يحظر على أعضاء الحزب في جميع أنحاء الرايش أن يشتركوا في الاعتصام. واستطاع الهر (موتشمان) رئيس دائرة ساكس أن يحمل دائرته على قبول قرار هتلر بأغلبية ضعيفة، فأصبحت بذلك (ساكس) مقاطعة هتلرية؛ فاشمأزت نفوسنا - أنا وبعض الأصدقاء - من غدر البعض ونفاق الآخرين، ورفضنا الإذعان لأمر هتلر، ومضينا نؤيد المتعصبين في صحفنا بكل ما وسعنا من قوة وحماسة، وحملنا على أعوان هتلر وأساليبه.

ومما هو جدير بالذكر أن المفاجأة وما لها من أثر تشغل مكانًا مهمًا بين الأساليب التي يستخدمها أدولف هتلر ويفيد منها كل الإفادة. فبينما كنت حوالي الساعة الواحدة من بعد ظهر 21 مايو سنة 1930 أستعد للرحيل إلى (كرانيانبورج) التي اخترتها مقرًا لأعمالي. إذ قيل لي أن هناك من يريد أن يتحدث إلي بالتليفون، فاستمعت إليه يقول:

"أنا أدولف هيس.. هتلر يرجوك أن تتوجه في الحال إلى فندق (سانسوسي) لأمر مهم".

وكانت رحلة هتلر إلى برلين قد أحيطت بالكتمان الشديد، ولكنه لم يشأ هذه المرة أن يفاجأني في مكتبي، بل دعاني إلى منزله لحديث كنت أقدر أنه سيكون ذا نتيجة حاسمة؛ فقلت لنفسي: "من الخير أن نعجل بالأمر"، ولبيت الدعوة في الحال؛ فاستقبلني هتلر في بهو الفندق، ولم يكن معنا أحد فطلب إلي أن أجلس وأخذ مكانه قبالي، ثم قال:

"أفكرت فيما عرضته عليك في العام الماضي؟ لقد أطلعني (آمان) على تقرير يشهد لدارك للنشر شهادة طيبة للغاية. وإني مستعد لشرائها منك ومن (هنكل)، فيكون لكل منكما ستون ألفًا من الماركات، وتصبحان أنتما الاثنان عضوين في مجلس

النواب".

فقلت: "إن الأمر لا يتعلق بهذا يا هر هتلر، ولا زلت مقيمًا على رفضي الذي أنهيت به إليك في ميونيخ".

فأمطرني هتلر وابلا من النقد واللوم قائلًا:

"تسلك صحفك بين الجمهور مسلكًا مشينًا، وأنت تخالف فيما تكتب قواعد النظام الأولية، ومقالاتك سبة لمبادئ الحزب. فلم يعد في طوق الصبر منزع. ولابد من أن توافق على غلق (دار النشر) وإن رفضت ذلك فإني محاربك بجميع الطرق والوسائل".

ثم أمسك، فانتصبت واقفًا، وقلت: "كنت أحسب، يا هر هتلر أنك دعوتني للتحدث إلى حديثًا يوضح الموقف ويجلوه، ولا زلت مستعدًا لقبول هذا النوع من الحديث ولكني أرفض الإذعان لأي إنذار".

فقال هتلر في شيء من الود والملاطفة: "لا ريب أني أود حديثًا يجلو ما بيننا من نزاع، وإني لأحرص كل الحرص على الاحتفاظ برجل ذي شأن مثلك في الحزب. ولهذا الأمر قد استدعيتك، فأنت رجل في مقتبل العمر وقد خضت غمار الحرب في الصفوف الأولى، ونعدك واحدًا من الوطنيين الاشتراكيين القدامى، وأعتقد أنك قادر على الإدراك والفهم، ولكني لا أستطيع أن أقول هذا عن شيخ كـ "رفنتلوف" الذي أعده من الصحفيين الذين لا يستطيعون تصحيح آرائهم العتيقة، فهو في حالة لا أمل في إصلاحها. أما أنت...".

وهنا شعرت بأن هتلر يحاول أن يستخدم معي طريقته المعهودة في عزل منافسه عن بقية المنافسين، فقاطعته قائلًا:

"أرى أن لومك لي ينقصه كثير من الدقة والوضوح، وليس عندي ما أقوله ردًا على نقدك سوى أن المقالات التي نشرت في الأسابيع الأخيرة قد كتبها أعضاء

صحف النازي الرسمية، وأنها لقيت جميعها موافقتي التامة، ولكني مغتبط بأن أتيحت لي هذه الفرصة للتفاهم معك في هذا الموضوع...".

واستمر الحديث بيني وبين هتلر سبع ساعات بالضبط، اضطررنا بعدها إلى وقفه، ثم استئنافه في اليوم التالي، ولقد سجلت هذا الحديث في مذكرة كتبتها بالآلة الكاتبة، وأطلعت زملائي عليها، ولست أجد متسعًا لنصها الكامل في هذا الكتاب، ثم قد يدعوني نشرها إلى ذكر ملاحظات شائكة عن سياسة ألمانيا الداخلية فلن أذكر هنا من الحديث إلا أجزاءه الرئيسية التي تلقي بعض الضوء على الرجل الذي قد تصديت له بحيث يمكنني أن أوضح السبب الحقيقي في انفصالي عنه.

وعندما استأنفنا الحديث جعل هتلر يذرع الغرفة جيئة وذهابًا كعادته ثم قال: "إن المقالة التي نشرتها صحيفة (الوسائل الوطنية الاشتراكية) ما هي إلا طعنة خنجر في ظهر الدكتور (فريك) وزيرنا الوطني الاشتراكي. أما (شولز نومبورج) فهو فنان من الطراز الأول. ويدرك من هم على علم بشيء من الفن أن هذا الرجل من أكفأ الفنانين لتدريس الفن الألماني الحقيقي. ولكنك قد حالفت الصحف اليهودية في العمل على إحباط القرار الذي اتخذه هذا الوزير الوطني الاشتراكي في هذا الشأن".

قلت: "إننا لا ندافع في (الرسائل الوطنية الاشتراكية) إلا عن آراء الشبان من فناني الحرب الذين يلتفون حول (فندلاند) ونريد أن نقف في طريق من يبغون إقصاء هؤلاء الشبان لمصلحة الفنانين القدماء".

كان (شولز نومبورج) أحد شياطين هتلر ومهرجيه، ومن أولئك الألمان القساة الغلاظ الذين كان يرى فيهم هتلر صورة لروح الشعب الألماني.

ثم قال الفوهرر: "إنك لا تعرف شيئًا عن الفن، يا هر شتراسر، فالحقيقة أن فن الشيوخ وفن الشبان لا وجود لهما. وعندي أنه ليس هناك إلا فن واحد جدير بالاعتبار، وهو الفن اليوناني لأهل الشمال، فالثورة من حيث هذا الفن لا وجود لها.

وليس ثمة فن إيطالي أو هولندي أو ألماني. ومن الجنون أن يتحدث الإنسان بالفن القوطي، فكل هذه الفنون ما هي إلا الفن اليوناني لأهل الشمال، فهو الوحيد الذي يجدر بنا أن نسميه فنًا".

فقلت: "إني أرى، دون أن أدعي الخبرة التامة بهذا الموضوع، إن الفن يعبر عن روح الشعب ومشاعره، وأنه خاضع لعوامل مختلفة متعددة"، ووجهت نظره إلى الفن المصري والفن الصيني.

فقال هتلر: "هذه آراء حرة عتيقة، وأكرر القول بأن هذا الفن لا وجود له، ولم يكن المصريون أو الصينيون شعبًا متناسقًا، بل كانوا من عناصر منحطة يتفوق عليهم في الذكاء أهل الشمال الذين أتوا بآيات بينات ومعجزات خالدات".

فلم أشأ الرد على آراء هتلر العجيبة في الفن، إذ كنت أود أن نعود إلى الحديث عن الشئون السياسية، فلم يلبث أن عرض لمقالة (بلانك) عن (الوفاء والغدر). فوجه إلي هذا السؤال:

"كيف يمكنك أن تبرر نظريات (بلانك)؟.. إنه يحض أعضاء الحزب على العصيان بما يكتبه عن (الوفاء) وبتفريقه بين (الفوهرر) و(الفكرة)".

فأجبت: "كلا.. ليس الغرض من هذا هو التقليل من نفوذ الزعيم وسلطانه، غير أن الألماني البروتستانتي الحر يحرص على أن يخدم الفكرة قبل أي شيء آخر. والفكرة هي من أصل سماوي، وما الإنسان إلا وعاء لها، ومهمة الزعيم خدمة الفكرة، ونحن مدينون لها وحدها بالإخلاص التام، لأنها خالدة، أما الزعيم فهو فان وليس بمعصوم من الخطأ".

قال هتلر: "إن قولك هذا حماقة ليس بعدها حماقة، ونظرية قد اخترعت حول مائدة الحوار الخضراء. فأنت تريد أن تعطي أعضاء الحزب الحق في الحكم على إخلاص الزعيم لهذه (الفكرة) المزعومة أو عدم إخلاصه. وهذه هي الديمقراطية التي

لا حاجة بنا إليها. أما عقيدتنا نحن فهي أن الفكرة تتمثل في شخصية الزعيم، وكل عضو من أعضاء الحزب ملزم بإطاعة الزعيم".

فقلت: "كلا.. إن قولك هذا يتفق وتعاليم الكنيسة الرومانية التي استمدت منها الفاشستية مبادئها، وإني مصر على أن للفكرة القدح الأعلى في ألمانيا، وعلى أنه يجب أن يكون للضمير حق الحكم عندما يحدث خلاف بين الفكرة والزعيم".

فصاح هتلر قائلًا: "إني لا أتفق معك على هذا الرأي، وقولك هذا يؤدي إلى انحلال جماعتنا التي تقوم على النظام والطاعة، ولست أرغب إطلاقًا في أن أدع أديبًا معتوهًا يهدم هذا البناء. لقد كنت ضابطًا في الجيش، وها أنت ترى بعينيك أخاك يخضع لنظامي حتى لو لم يكن متفقًا معي في الرأي على الدوام، فأعتبر بمثله، فهو جدير بكل إعجاب وتقدير".

ثم أمسك هتلر بيدي كما فعل ذلك منذ عامين، واختنق صوته بالبكاء وانهمرت دموعه على خديه، فخاطبته قائلًا:

"ليس النظام، يا هر هتلر، إلا عاملًا إضافيًا يوجد بين عناصر الجماعة التي تم تكوينها، ولكنه لا يصلح لإيجادها، وإياك أن تضل الطريق بما تبديه لك تلك المخلوقات الحقيرة التي تحيط بك من ضروب الملق والإعجاب".

فصاح بي: "إني أمنعك من أن تسب أعواني"

قلت: "حسنًا، ولكنا نتحدث فيما بيننا، ولسنا في اجتماع عام، فكم رجل من أعوانك المقربين يمكنه أن يحكم على الأمور من تلقاء نفسه؟ إنهم على درجة من الذكاء، فضلًا عن طبيعة خلقهم؛ تقعدهم دون ذلك الحكم. ولو لم يكن أخي تابعًا لك ماليًا بسبب عضويته في مجلس النواب، لكان خضوعه لنظامك أقل مما هو الآن".

فقال هتلر، وعيناه لا تزالان تترقرق فيهما الدموع: "من أجل أخيك هذا، أود

مرة أخرى أن أبسط لك يدي، لقد عرضت عليك مرات عديدة مناصب ذات شأن في الحزب، وفي وسعك أن تصبح في الحال رئيسًا لصحفي في جميع أنحاء الرايش. تعالى إلى ميونيخ، واشتغل تحت إشرافي.. ضع مواهبك وذكاءك الذي أقدره تقديرًا ساميًا، في خدمة الحركة الوطنية الاشتراكية".

فقلت: "لا يسعني أن أقبل منك هذا إلا إذا انتهينا إلى التوفيق بين مبادئنا السياسية المتنافرة. أما إذا كان الاتفاق سطحيًا فإنك ستشعر بأني خدعتك، كما سأشعر من جانبي بأنك غررت بي. فلنتكلم قبل أي شيء عن أهدافنا السياسية وأني مستعد، لو شئت ذلك، أن أقضي أربعة أسابيع في ميونيخ للتفاوض مع (روزنبرج) في المسائل الاشتراكية وشؤون السياسة الخارجية".

فبادرني هتلر بقوله: "كلا. لم يعد في الوقت متسع لهذا. ولا بد لي من البت فورًا في هذا الموضوع. فإن لم تقبل الآن، فإني مهاجمك ابتداءً من الاثنين المقبل. وها هي ذي الإجراءات التي اتخذتها: سأعلن أن صحفك تضر بمصلحة الحزب الوطني الاشتراكي، وأحظر على جميع الأعضاء أن يساهموا في تحريرها أو بيعها أو الترويج لها، ثم أعزلك من الحزب أنت وأنصارك أجمعين".

فبينما كنت أستمع إلى هذا الوعيد والتهديد؛ بذلت جهدًا هائلًا في السيطرة على مشاعري وأعصابي وطافت بنفسي صورة أخي (جريجور) الذي لابد من أن ينفصل عني في هذه المعركة الكبيرة وقلت: "كل هذا في متناول يدك، يا هر هتلر، ولكنه دليل مبين على التنافر الشديد بين أفكارنا الثورية والاشتراكية وليست الأسباب التي ذكرتها للقضاء على صحفي إلا أسبابًا ممتحلة واهية.. أما السبب الحقيقي لغضبك هذا فهو رغبتك في خنق الثورة الاشتراكية لمصلحة تعاونك الجديد مع أحزاب اليمين البورجوازية".

هنا اشتد غضب هتلر وصاح قائلًا: "إني اشتراكي، ولكني من نوع آخر يختلف عن اشتراكية صاحبك المثري الكونت "رفنتلوف"، ولقد كنت عاملًا بسيطًا ولم

أحتمل قط أن يأكل سائق سيارتي من طعام غير طعامي أما اشتراكيتك أنت فهي ماركسية كلية، واعلم أن جماعة العمال لا تطلب إلا خبزاً وألعاباً ولكنها لن تدرك أبداً ما هو المثل الأعلى. ولسنا نأمل أن نضم إلينا هذه الجماعة، إنما نحن بحاجة إلى أن تتخير الرجال الذين لا ينساقون مثلك، وراء عاطفة الشفقة، ويجب أن يوقن ولاة الأمر والقادة أن لهم الحق في الولاية والأمر لأنهم من عنصر أرقى وعليهم أن يحرصوا على هذا الحق ويعززوه دون أن يهتموا لأي شيء آخر".

فذهلت من هذا الكلام العجيب، وأعربت لهتلر صراحة عن دهشتي وعجبي وقلت:

"إن نظرياتك العنصرية المأخوذة عن (روزنبرج) لا تقضي على رسالة الوطنية الاشتراكية التي ترمي إلى تشييد صرح جديد للأمة الألمانية فحسب بل تقضى على الشعب الألماني بأسره".

ولكنه استأنف الكلام كما لو كان يلقى خطبة وقال:

"حرية الرأي.. حرية الرأي، هذا ما نبشر به وندعو إليه، ولكن لا يمكن أن توجد في ألمانيا إلا ثورة واحدة هي الثورة العنصرية، أما الثورة الاقتصادية أو السياسية أو الاشتراكية فلا محل لها هنا، وسيبقى النضال كما هو، نضال الطبقات أو العناصر السفلى ضد العناصر العليا التي تحتل القمة، فإذا أغفلت العناصر العليا هذا القانون فلا شك في أنها ستخسر المعركة. ولقد درست الثورات جميعها فألفيتها ثورات عنصرية. وعندما تطالع كتاب روزنبرج الجديد (خرافة القرن العشرين) ستفهم هذه الأشياء لأنه أعظم كتاب في نوعه، بل أفضل من كتاب تشمبرلن (أسس القرن التاسع عشر). أما أفكارك الخاصة بالسياسة الخارجية فهي أفكار خاطئة، لأنك لا تعلم شيئًا من التعاليم العنصرية، أو لم تصرح علانية بأنك تؤيد الهند في المطالبة باستقلالها. مع العلم بأن ثورتها هي ثورة العنصر الهندي المنحط، ضد العنصر الإنجليزي الشمالي الراقي..

إن للعنصر الشمالي الحق في السيطرة على شعوب العالم، وسيكون هذا الحق المبدأ الذي يوجه سياستنا الخارجية، ولهذا فإننا نـرفض أي حلـف مـع روسـيا التـي تتمثـل في إنسان جسمه من السلافيين والتتر ورأسه يهودية، ولقد عرفت هؤلاء السلافيين في وطني وعجمت عودهم! وحينما كانت ألمانيا تسيطر عليهم كـان لهـا أن تـدافع عـنهم وتـنصر قضيتهم كما فعلت ذلك في عهد (بسمارك) أمـا اليـوم فمـن الإجـرام في حـق الـوطن أن ننصرهم".

فقلت: "إن قولك هذا، يا هر هتلر، لا يمكن أن يكـون أساسًـا للسياسـة الخارجيـة، ولـيس هنـاك إلا مسـألة واحـدة أوليهـا عنـايتي واهتمامـي ألا وهـي مسـألة العصـبة السياسية الموالية لألمانيا أو المعادية لها. وليس لنا أن ننساق وراء عواطفنـا. ولقـد سـبق أن قلت لك أن من بـين الأهـداف الأساسـية للسياسـة الألمانيـة إلغـاء معاهـدة فرسـاي. وسواء عندي ستالين، موسـوليني، ماكدونالـد أو بوانكاريـه. وينبغـي لكـل سـياسي ألمـاني مخلص لبلاده أن يفكر في مصلحة ألمانيا قبل كل شيء".

فأمن هتلر على كلامي قائلًا: "لا شك في ذلك، ونحن لا نعمـل إلا لمصـلحة الـوطن؛ ولهذا فإنه من الضروري أن نكون عـلى وفـاق مـع إنجلـترا، ويجـب أن نفـرض السـيادة الجرمانية الشمالية على أوروبا ثم نفرضها على العالم بمعونة أمريكا ولـتكن لنـا السـيادة على الأرض، ولبريطانيا سيادة البحار".

ولم نكن وصلنا بعد إلى النقطة المهمة في الحديث، فنظـرت في سـاعتي فوجـدتها عند الرابعة وعشر دقائق. وكان التعب قد استولى على هتلر فاستلقى في مقعد طويل وهو يلهث كمن قطع شوطًا بعيد المدى، فقلت: "ألـيس في وسـعنا أن نسـتأنف هـذا الحديث صباح الغد؟ إذ لا تزال السياسة الخارجية فـيما يتصـل بنـا مسـألة نظريـة لا يتحتم علينا أن نتخذ قرارًا بشـأنها الآن. أمـا مصـلحة ألمانيـا فقـد اتفقنـا عـلى ضرورة العمل من أجلها، وإني لواجد في هذا ما يكفينـي الآن. ولسـت أولي المسـائل الثقافيـة إلا قليلًا من عنايتي واهتمامي. عـلى أن مشـكلة النظـام الاقتصـادي والاشـتراكي هـي

المسألة الشائكة الجوهرية في الموضوع وأراني غير مطمئن إلى سياسة الحزب بشأنها".

فبسط هتلر يده إلي للمرة الثالثة، وكانت عيناه مملوءتين بالدموع، وقال:

"إلى الملتقى غدًا في الساعة العاشرة"!

وفي مساء اليوم نفسه أبلغت أصدقائي (ريشار دشابك) و(جوتنز كوبلر) و(هربرت بلانك) و(بول برانكمان) خبر الحديث الذي دار بيني وبين هتلر، فطلبوا إلي أن أسطر لهم في الحال محضرًا بذلك. وفي صباح اليوم التالي اجتمعت بأخي جريجور برهة قصيرة، اطلعت في أثنائها على حقيقة موقفه. ثم قصدت مقر هتلر، فوجدته في غرفة الطعام على وشك الانتهاء من الإفطار. ولم يكد يلمحني حتى نهض ورجاني أن أتبعه، فتبعته حتى حجرة المطالعة حيث كان ينتظرنا أربعة رجال هم (رودلف هيس) و(آمان) مدير جريدة (فولكش باوبشلر) و(هانس هنكل) وأخي (جريجور)، فقلت بمجرد أن وقع نظري عليهم: "لقد كنت أحسب يا هر هتلر، أننا سنستطيع أن نستأنف حديثنا دون أن يحضرنا أحد".

إذ كنت أعتقد أني أستطيع أن أستشف طويته إذا اجتمعت به على انفراد؛ فقال هتلر:

"يهتم هؤلاء الزملاء بالوقوف على ما يدلي به كل منا من حجج وآراء".

فلم أر بأسًا رغم ذلك من أن أتكلم أمام شهود، ولكني أدركت حرج مركزي، إذ كنت أعلم أن هؤلاء الرجال ينصرون هتلر، ثم طلب إلي أن أتكلم؛ فقلت:

"ها هو ذا، يا هر هتلر الموضوع الذي أود أن أسألك عنه: هل أنت مقتنع مثلي بأن ثورتنا يجب أن تكون ثورة كاملة فيما يتصل بالاقتصاد والسياسة والثقافة؟ وهل تنوي أن تثير هذه الثورة على الماركسية والرأسمالية معًا؟ وهل تقبل والحالة هذه أن تنهض دعوتنا في وجه المذهبين لنحصل على الاشتراكية الألمانية؟".

ثم بسطت له ما تضمنه برنامج شتراسر كما وضعناه في هانوفر، وأوضحت

آراءنا الخاصة بتبعية المنشآت الخاصة للدولة، فصاح هتلر: "هذه هي الماركسـية عينهـا! وها أنت تبغي تطبيق النظام الديمقراطي على الاقتصاد، هذا النظام الذي نعده مسـئولًا عما نقاسي من آلام ومتاعـب، ولعمـري أن في هـذا قضـاء عـلى الاقتصـاد الألمـاني، وإنـك لتهدم بأفكارك هذه ما شيدته الإنسانية من حضارة ومدنية، هذه الحضارة التـي يرجـع الفضل فيها إلى جهود الفرد وكبار العلماء والمخترعين".

قلت: "إني لا أومن - يا هر هتلر - بتقدم الإنسانية ومدنيتها، وما تغير الإنسان منذ ألف عام إلا في بدنه وفي أحوال معيشـته، أو نحسـب أن (جوتـه) كـان يمكـن أن يكـون أسعد مما لو أنه استطاع أن يتنزه في سيارة أو نابليون لو أنـه تمكـن مـن أن يسـتمع إلى جهاز الإذاعة؟ إن مراحل التطور البشري كمراحل حياة الفرد، فالإنسان في الثلاثين يعتقد أنه أرقى أو أكثر تقدمًا من أخيه في العشرين، وابن الأربعين مخدوع بنفس الفكـرة، أمـا من بلغ الخمسين فإنه قلما يتحدث بالحضـارة والتقـدم، فـإذا وصـل إلى السـتين أنكرهـا تمامًا".

قال هتلـر: "هـذا قـول نظـري محـض، ولا مـراء في أن الإنسـانية سـائرة في طريـق التقدم. وهذا التقدم لا يكون إلا بأعمال الشخصيات العظيمة".

قلت: "إن الدور الـذي تقـوم بـه هـذه الشخصـيات لـيس هـو كـما تقـدر وتظـن، فالإنسان لا يمكنه أن يخلق عصور التاريخ الكبرى، وما هو إلا أداة القدر ورسوله".

فانتصب هتلر واقفًا وقال: "أتنكر أني خلقت الوطنية الاشتراكية؟"

فقلت: "لا يسعني أن أقول بغير ذلك. إن الوطنيـة الاشـتراكية فكـرة نبتـت بسـبب العصر الـذي نعـيش فيـه؛ فهـي كائنـة في قلـوب الملايـين مـن الرجـال، ولقـد تمثلـت في شخصك. ووجود هذه الفكرة في نفوس عدد كبير من الناس في وقت واحد يدل على أنها ضرورة تاريخية، كما يدل على أن عهد الرأسمالية قد انقضى".

فاندفع هتلر يهدر بخطبة طويلة حاول فيها أن يوضح لي أن الرأسـمالية لم توجـد، وأن الاستكفاء الاقتصـادي ضرب مـن الجنـون، وأنـه ينبغـي للعـنصر الأوربي الشـمالي أن

ينظم التجارة على أساس مبادلة السلع، وأن تبعية الأملاك والمنشآت الخاصة للدولة فكرة شاذة إن لم تكن هي البلشفية عينها".

ومع ذلك فإن المادة الثالثة من برنامج هتلر الرسمي تقضى بأن تضع الدولة يدها على الأملاك الخاصة. فقلت:

"لنفرض، يا هر هتلر، أنك توليت الحكم، فماذا تفعل بمصانع (كروب)؟ أتتركها وشأنها أم لا؟

فصاح هتلر: "أتحسبني فقدت عقلي حتى أنزل الخراب بمصانع الوطن الكبرى".

فقلت: "إن كنت تنوي إذن أن تحتفظ بالنظام الرأسمالي، فليس لك أن تتكلم عن الاشتراكية، لأن رجالنا اشتراكيون، وبرنامجك يطالب بأن تضع الدولة يدها على الأملاك والمنشآت الخاصة".

فقال هتلر: "يا لها من كلمة غير لائقة هذه الاشتراكية!"

وهز كتفيه وفكر لحظة ثم استطرد:

"إني لم أقل مطلقًا بوجوب نقل ملكية جميع المنشآت إلى الدولة، ولكني قلت بجواز نقل ملكية المنشآت التي تضر بمصلحة الأمة، فإن لم يتسبب عنها أي ضرر من هذا القبيل، فمن الإجرام القضاء على نظام البلاد الاقتصادي، ولنضرب لك مثلًا بالفاشستية، ففي استطاعة الوطنية الاشتراكية، كما في مقدور الفاشستية أن تضمن مصالح صاحب العمل والعامل في الوقت نفسه، وذلك بأن يكون للحكومة حق الفصل فيما قد يحدث من النزاع بينهما".

فقلت: "ولكن الفاشستية لم تصل إلى حل فيما يختص بمشكلة رأس المال والعمل، بل هي لم تحاول ذلك. وكل ما عملته أنها أوقفت مؤقتًا العراك المحتدم بينهما، أما الرأسمالية فقد بقيت سليمة كما تنوى أنت أن تتركها سليمة غير منقوصة!".

فقال هتلر الذي هيجت إجابتي أعصابه: "ليس هناك، يا هر شتراسر إلا نظام

اقتصادي واحد، قوامه المسئولية التي تقع على عاتق المنفذين لهذا النظام والسلطة التي لولاة الأمور المشرفين على تنفيذه. وهاك مثلًا على ذلك: إني أطلب إلى الهر (آمان) أن يكون مسئولًا أمامي عن عماله، وأن يباشر سلطته عليهم. والهر (آمان) يطلب إلى رئيس القسم أن يكون مسئولًا أمامه عن مرءوسيه، وأن يباشر سلطته عليهم وهلم جرا... فهذا هو النظام المتبع منذ آلاف السنين والذي سيدوم إلى ما شاء الله".

فقلت: "نعم.. إن نظام التدرج يبقى دائمًا على حالته سواء كانت الدولة رأسمالية أم اشتراكية. غير أن روح العمل تتوقف على نوع النظام الذي نعيش في ظله. ولقد استطاعت منذ بضع سنين، فئة قليلة من الرجال الذين لا تختلف صفاتهم اختلافًا ملحوظًا عن صفات رجالنا، أن تتسبب في عطل ربع مليون عامل من عمال (الرور). فإذا كان عملهم هذا قد اعتبر عملًا مشروعًا متمشيًا مع مبادئ نظامنا الاقتصادي، فالذنب ليس ذنب هؤلاء الرجال بل ذنب هذا النظام الأثيم".

فقال هتلر، وقد عيل صبره ونظر في ساعته: "ولكن ليس في هذا ما يدعوك إلى المطالبة بإشراك العمال في شؤون المنشآت التي يعملون فيها وإعطائهم حق الشورى بصفة خاصة. وينبغي للحكومة القوية أن تسهر على أن تسير حركة الإنتاج على نمط يكون في مصلحة الأمة. وللحكومة الحق في أن تنزع ملكية المؤسسة وتتولى إداراتها إذا لم تعمل لصالح الوطن".

فقلت: "إن هذا لا يعدل بي عن شيء من رأي، وبما أنك ستمد يدك في هذه الحالة الأخيرة إلى الثروات الخاصة فلماذا تلجأ إلى السلطات المحلية، وتترك لحكمها مسئولية العمل؟ ولماذا تغامر بتحكيم أناس قد يكونون على غير علم صحيح بالأمر؟ ولأي سبب تريد أن تعهد بذلك إلى رجال مماطلين مريبين بدلًا من أن تجعل حق التدخل مبدأ ثابتًا؟ وهذا الحق من الممكن أن يكون جزءًا أساسيًا في نظامنا الاقتصادي".

فقال هتلر: "هذا موضوع الخلاف بيننا: إشراك العمال في رءوس أموال المنشآت ومنحهم حق الشورى، أمران يعتبران أساسًا للماركسية وإني أرى أن الحق في مباشرة النفوذ أو الإشراف يجب ألا يعطى إلا للدولة التي تتولى أمرها الطبقة العالية!".

هنا بلغت الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر، ودخل علينا رجلان هما "ستوهر" و"بوخ" أظن أن هتلر كان قد أرسل في طلبهما، فاعتذر هتلر من إيقاف الحديث واقتاد الزائرين إلى غرفته الخاصة، وتبعهم "رودلف هيس". ولقد جرى هذا الحديث بغير عراك عنيف أو صخب شديد، ولكن مغزاه كان رغم ذلك واضحًا حتى توقعت في مساء ذلك اليوم أو اليوم التالي أن ينفذ هتلر ما هددني به، ولكنه لم يفعل شيئًا. وعهد إلى "جوبلز" مرة أخرى أن يجهز على هذا النضال بطريقة الغدر والدس؛ فأقيل من الحزب، منذ شهر يونيه، فريق من أعواني. ولم يستطع هتلر أن يصادر صحفي أو يقدمني إلى المحاكمة لأنه لم يكن قد تولى الحكم حتى ذلك الوقت، ولكني كنت أنتظر أن يصلني منه كتاب بقطع صلتي به أو بشيء من هذا القبيل.

ولما عزل الهر (شابك) من الحزب بسبب كتابته مقالًا شديد اللهجة ضد الأساليب الهتلرية، ناديت بأني معضده، وطلبت من (جوبلز) أن يعقد اجتماعًا من موظفي برلين المنتمين للحزب. ولقد أدهشني أن (جوبلز) أجاب طلبي، ولكني عندما قصدت في مساء 2 يوليه مكان الاجتماع اعترضني أمام الباب أحد رؤساء فصائل الهجوم بصحبته خمسة رجال، وأخبرني بأني لا أستطيع الدخول لأن محل إقامتي لم يكن في دائرة برلين. وكان على حق من الوجهة القانونية لأن هذا النوع من الاجتماعات قاصر على الأعضاء التابعين لدائرة سياسية واحدة. ولكني طلبت بإلحاح أن يسمح لي بالدخول محتجًا بأن الاجتماع قد عقد بناء على طلبي، فلم يُجد إلحاحي، وأصر الرجل على منعي، وأحاطت فصائل الهجوم بمكان الاجتماع من جميع النواحي، ثم افتتحت الجلسة. فصعد (جوبلز) إلى منصة الخطابة وراح يدلي بالأسباب التي اقتضت

عزل (شباك)، فطلب المأجور (بوخروكر) وهو أخلص صديق لي، أن يسمح له بالكلام، فقال "جوبلز":

"يؤسفني أني لا أستطيع السماح لك بذلك، لأن الحزب قد أمر بإجراء تحقيق معك".

فقال (بوخروكر) في دهشة وغضب: "تحقيق معي! إني لا أعلم شيئًا من هذا كله".

قال جوبلز: "ستجد هذا المساء في دارك إخطارًا قد أرسل إليك بالبريد".

ولما طلب (هربرت بلانك) الكلام قاطعه مائة وسبعون عضوًا، وتركوا قاعة الاجتماع متظاهرين ضده. وبينما كان يجري هذا كله كنت أنتظر في الطريق انفضاض الاجتماع، فلما خرج أصدقائي لحقوا بي وأطلعوني على ما حدث، فتوجهنا في الحال إلى منزلي (بلانك) و(بوخروكر) فلم يجد الأخطار الذي ادعى (جوبلز) أنه قد أرسل بالبريد. ثم اجتمعت بأخي في تلك الليلة، وقلت له: "بما أن هتلر لم يجرؤ على أن يقاطعني صراحة فقد عزمت على أن أبدأه أنا بالقطيعة. وسأقدم غدًا استقالتي من الحزب".

فقال "جريجور": "حسنا.. أما أنا فإني باق فيه" ثم تبادلنا كلمات الوداع

وفي 3 يوليه أرسلت إلى هتلر هذه البرقية: "لقد عزل جوبلز بعض أعواني من الحزب، ومنع بعضهم في اجتماع أمس من الكلام متعللًا بأسباب واهية. فإن لم يلغ هذا الإجراء في مدى أربع وعشرين ساعة فإني مستقيل أنا وأصدقائي من الحزب". ولكني لم أتلق جوابًا على هذه الرسالة، فلم أعد ابتداءً من 4 يوليه سنة 1930 عضوًا في الحزب الوطني الاشتراكي.

الفصل السابع

الخيانة في الحكم

هكذا أصبحت في يوم 4 يوليه حرًا طليقًا، وأصدرت صحفي كالمعتاد، وفي صفحتها الأولى هذا العنوان الضخم "الاشتراكيون يخرجون من حزب العمال الوطني الاشتراكي"، ونشرت حديثي الأخير مع هتلر تحت هذا العنوان الرنان: "الوزارة أو الثورة؟".

فرددت الصحف الألمانية جميعها - ما عدا صحف هتلر - صدى هذا المقال، وبذلك تمت القطيعة بيني وبين هتلر، وأصبح لزامًا علي أن أحصي عدد أنصاري وأعد العدة للهجوم على أعدائي. فأصدرنا إلى الشعب نداءً، وأعلنت صحفي على أثر ذلك نبأ تأليف "هيئة النضال لقضية الوطنيين الاشتراكيين الثائرين".

ورد "هتلر" و"جوبلز" علينا بدعاية صاخبة طنانة، وأعلن رؤساء فصائل الهجوم والحرس الأسود أن أي عضو من أعضاء الحزب الوطني الاشتراكي يتصل بي أو يقرأ صحيفة من صحفي يعاقب بالفصل من الحرب في الحال، وأمطرتني صحيفة هتلر (فولكشر بؤباختر) وجريدة جوبلز (أنجريف) وابلا من المثالب والشتائم، وتناول هتلر قلمه ونادى بأني أديب خامل الذكر وشيوعي من بلاشفة الندوات (الصالونات) وأقسم جوبلز بأني أعمل لحساب روسيا البلشفية.

وأذكر عندما اعتزلت الخدمة في الجيش أني طلبت إلى قائدي الهر (هوسهوفر) وهو اليوم أستاذ عظيم في الجغرافية السياسية، أن يعطيني شهادة عسكرية. وقد حرصت على الحصول على هذه الشهادة؛ لأني لم أستطع بسبب ثورة سنة 1918 أن أتسلم وسام ماكس جوزيف ووسام الجدارة اللذين رشحت لهما، ولقد ذكرت في

هذه الشهادة جميع أوسمة الشرف التي حصلت عليها، وهي: وسـام الجـدارة البافـاري؛ والصـليب الحديـدي مـن المرتبـة الأولى والثانيـة، وشـارة جرحـى الحـرب العظمـى كـما سجلت فيها أعمالي الحربية جميعها، وختمت الشـهادة بهـذه الفقـرة التـي أعـرب فيهـا القائد عن تقديره الشخصي لي:

"شتراسر رجل يدافع عما يعتقده حقًا وعدلًا بحماس فذ وشجاعة لا تنثني".

واسـتمرت هـذه المعركـة الأولى زمنًـا دون أن تكشـف لي جانبًـا مـن طريقـي إلى المستقبل، غير أن الموقف بدأ يتضح في 10 يوليه؛ فبينما كنت أسير مساء ذلك اليوم بعـد انفضاض الاجتماع الأول للجبهة السوداء بصحبة صديقي "بـريم" أحـد مقعـدي الحـرب العظمى، في إحدى طرق براندبورج على مقربة مـن بـرلين؛ قاصـدين إلى محطـة السـكة الحديدية، إذ دهمنا نفر من الرجال يرتدون ملابس الأشقياء وقذفوا وجهي بقبضـة مـن الفلفل أصابت إحدى عينـي، فقفـزت في الحـال إلى عـرض الطريـق ولجـأت إلى الإفريـز الثاني، وشهدت بعيني السليمة صـديقي منطرحًـا وسـط الطريـق بيـنما يهـم المعتـدون بالزحف عليه. فصوبت مسدسي نحوهم وصحت بهم: "من يخطو خطوة واحـدة يلقـى حتفه".

وتقدمت نحو صديقي الجريح وأخذت بيـده وعـدت بـه إلى الإفريـز فلـم يجـرءوا على الإتيان بأية حركة أمام مسدسي لأنهم كانوا مسلحين بالعصى والسكاكين فقط. وكـان الدم يتدفق من جرح (بريم) وهو يعاني مشقة في السير بسبب ساقه الخشبية.

وسرنا بجانب الرصيف متجهين نحو المحطـة، وجعلـت أكـرر إنـذاري لهـم بصـوت صاخب. وكانت المعارك الحزبية في الطرق أمرًا مألوفًا في ذلـك العهـد، فلـم يرغـب أحـد من المارة أن يزج بنفسه في هذا الشغب.

وكان (بريم) موظفًا كبيرًا في تلك الدائرة السياسية؛ فهمس في أذني قائلًا:

"إني أعرفهم جميعًا.. إنهم من فصائل الحرس الأسود".

فقلت: "لقد خيّل إليّ ذلك"

واستطعنا أن نبلغ المحطة حيث ضمد جرح صديقي، وفي اليوم التالي شكونا الأمر إلى السلطة المختصة، فقدم المتهمون إلى القضاء وحكم عليهم بالسجن لمدة عامين.

ولم يكتف هتلر بالحملة المهينة التي شنتها علي صحفه وأبواق دعاوته، فعزم على أن ينزل بمنشآتي الخراب العاجل، وكان هذا ميسورًا له، فأمر بمصادرة ما كان لأخي، و(هنكل) من الأسهم في شركة (دار النشر)، وأخطرني محامي هتلر بأن الدار قد أغلقت وحجز ما فيها من آلات الطبع، فتعطل العمل، وألفيت نفسي بغير مورد إزاء المهمة الكبرى التي ألقيت على عاتقي.

ولقد أثارت استقالتي ضجة كبيرة بين أعضاء الحزب، ولكنها لم تأت بنتيجة ما، إذ كان "جريجور" قد استقر رأيه على أن يبقى في الحزب، ورأى معظم أنصاري أنه في وسعهم أن يقفوا بجانب أخي دون أن يخونوا بعملهم هذا عهد الإخلاص لقضيتنا.

وكان هتلر يتقدم بخطوات واسعة، وكانت لديه الأموال اللازمة للإنفاق على الحركة. ولم يكن لجنود الحرس الأسود الذين أحكم تدريبهم وتنظيمهم عقيدة سياسية ولكنهم كانوا مطيعين لرؤسائهم طاعة عمياء.

أما الرجال الذين تبعوني وانشقوا على حزب العمال الوطني الاشتراكي فقد كانوا من أصحاب المثل العليا. ولقد انضم إلي رجال جدد من هيئات اليمين ذات الصبغة العسكرية، فكان من بينهم أصحاب الخوذات الصليبية، ورجال من فصيلتي "وهرولف" و"جونج دوتش أوردن".

ولم تكن هذه الهيئات تتألف من المحاربين القدماء، بل من شبان جدد نضجت عقولهم وراحوا يبحثون عن مثل أعلى في الميدان السياسي. ولم يكن هتلر قد استطاع أن يجذبهم إليه على الرغم من تبرمهم بجمهورية (فيمار)، ولقد بعث فيهم خروجي

على هتلر آلامًا كبيرة.

وكانت في ألمانيا حركة أخرى يقال لها "حركة الفلاحين الثائرين" يرأسها الهر "كلوس هن" الذي اتخذ "شلسفنج هولسستن" مقرًا له، ولقد عرف هؤلاء الفلاحون بشدة البأس والمهارة في الضرب بالقنابل وكان صديقي الهر "شابك" يتولى قيادتهم في "سيلزيا".كذلك كان لدي نواة طيبة من الأنصار المخلصين يحق لي أن أعتمد عليهم، ولكني ما قصدت مطلقًا أن أشيع الذعر في البلاد أو أن استخدم الأساليب التي أنكرتها من الوطنيين الاشتراكيين. نعم كان علي أن أكون مستعدًا للرد على جرائمهم، ولكني رغبت قبل كل شيء في تقويم ما اعوج من خلق الاشتراكيين وتعريف الناس بمبادئي وأفكاري.

وكانت هناك هيئة أخرى تتألف من الرجال المثقفين يقال لها (تاتكرس) أي جماعة العمل، وقد سعت هذه الجماعة للاتصال بي، وكان لها مجلة شهرية تسمى (دى تات) راجت سوقها حتى في الأوساط العسكرية. وكان الدكتور (زهرر) على رأس الجماعة، والهر (فرناند فرود) وكيلًا للرئيس، ويُعد هذا الأخير من عظماء الرجال والساعد الأيمن للوزير (دارا) في الوقت الحالي. ولقد أصدر (فرود) منذ عهد قريب كتابًا عظيم القدر، أسماه: "احتضار الرأسمالية".

ثم تألفت من هذه الهيئات المختلفة "الجبهة السوداء" التي كان هتلر وشركاؤه يخشونها حتى ذلك اليوم الذي هاجر فيه رئيسها من ألمانيا مفضلًا أن يعيش في المنفى. ولقد لقينا متاعب كثيرة في تنظيم هذه الجمعية السرية، إذ لم يكن لدينا مال، كما لم يكن لنا أن نعتمد على أية معونة مادية من جانب أنصارنا، لأن كلا منهم ظل تابعًا لهيئته الخاصة لا تربطه بنا إلا الفكرة المشتركة؛ فكانت جماعتنا لونًا من ألوان الماسونية لها فروع تمتد إلى جميع الطبقات وطوائف الشعب الألماني، وكان لها هيئة مركزية تحت رئاستي تتألف من رجال موثوق بهم وأصدقاء خرجوا على حزب العمال الوطني الاشتراكي ينتمون رسميًا إلى "الجبهة السوداء". أما بقية الأنصار فكانوا

منتشرين في جميع أنحاء البلاد بغير أن يلتحقوا رسميًا بأية هيئة من الهيئات.

وكانت "الجبهة السوداء" مدرسة تخرج فيها ضباط الثورة الألمانية، وكان الأعضاء الرسميون يحملون شارة الجبهة، وهي دبوس لرباط الرقبة يتألف من قطعتين هما: السيف، والمطرقة.. ولقد استبدلنا "هايل هتلر" أي "يحيا هتلر" بكلمة "هايل دوتشلاند" أي تحيا ألمانيا، ولم تف مجلة (دى تات) الشهرية بحاجاتنا المتعددة فأنشأنا جريدة أسبوعية أصدرنا منها العدد الأول بغير أن يكون لدينا مال لإخراج العدد الثاني.

ولقد نجحت هذه المغامرة نجاحًا عظيمًا، ولم نضطر إلى الاستدانة واستطعنا في فترة وجيزة أن نطبع عددًا هائلًا من جريدتنا التي أسميناها في بداية الأمر (الثورة الألمانية) ثم (الجبهة السوداء)، ولقد بسطنا فيها المبادئ اللازمة لتجديد ألمانيا، وأطلعنا قراءنا على شئون حزب هتلر الخفية.

وفي عامي 1931 و1932 أنشأنا ثلاث صحف أسبوعية في: برلين، وبرسلو، وميونيخ. وكانت (الجبهة السوداء) تعقد اجتماعاتها السرية في دار مجلة العمل، وكانت جماعة المثقفين آخذة في نماء مطرد. وحرص رؤساء الأقاليم على أن يختاروا أنصارهم بعناية ودقة، وأصبح معظم ضباط الجيش يقرأون (مجلة العمل) التي راجت سوقها رواجًا عظيمًا. وكان يحضر (الحلقة) - وهو الاسم الذي أطلقناه على جلسات الجبهة السرية - أنصارنا من الضباط والعمال والشبيبة المثقفة المتحمسة. وكان الالتحاق بالجبهة السوداء على درجات مختلفة كما هي الحال في الجمعيات الماسونية، وكانت (حلقات) الجبهة تعقد في جميع المدن الكبرى والمراكز الصناعية.

وانطلق هتلر بعد أن تخلص من رجال الثورة الصادقين، يتقدم بخطوات واسعة نحو العناصر الرجعية للنظام القديم، ولم يعد هناك ما يمنعه من التحالف الوثيق مع أصحاب الأموال الطائلة والمصانع الكبرى، وكان يأمل من تحالفه مع هذه الشخصيات الغنية ذات الجاه العريض والنفوذ الكبير أن يضم إليه مناطق ألمانيا

الشمالية وأن يكون له حق الخطابـة في الاجتماعـات العامـة في بـرلين، وأن يـتمكن مـن إبعاد "جريجور" وعزله من الحزب.

كما أنه قصد بهذا التحالف أن يعزز فصائل الهجوم التي كان يعتمـد عـلى أعمالهـا العنيفة الوحشية جانب من سلطانه ونفوذه، وكان الهر "تيسـن" أول مـن تحـالف معـه هتلر من أصحاب الثروات الكبيرة، ولكنه كـان يسـعى جاهـدًا في الحصـول خاصـة عـلى معونة رجلين هما "هوجانبرج" و"شاخت".

و"هوجانبرج" هذا شخصية عجيبة من شخصيات الأسر البروسـية العتيقـة، ضـخم الجثة، ذكي، غليظ القلب، عـلى شيء مـن الشرف والأمانـة. كـان رئيسًـا لحـزب المطـالبين بدولـة واحـدة للعـنصر الألمـاني، وهـو حـزب يتلقـى معونـة أصـحاب المصـانع الكـبرى وعطفهم، مركزه الرئيسي في بروسيا، وثمة فـرق ملمـوس بـين رجـال هـذا الحـزب وكـبراء ألمانيا لا يدركه كثير مـن النـاس في الـبلاد الأجنبيـة؛ فـالأولون يريـدون أن تبسـط ألمانيـا سيادتها على العالم، والأخيرون يطالبون باتحاد الولايات الألمانية ولـو عـلى نسـق الاتحـاد السويسري، ولكـن دون أن تكـون لألمانيـا نيـات ترمـي إلى الفـتح وبسـط سـيادتها عـلى الشعوب الأخرى.

وكان (هوجـانبرج) أول مـن أدرك أثـر الدعايـة وأهميتهـا الحيويـة في ألمانيـا؛ فقـد أشرف خـلال حـرب عـام 1914 عـلى أعظـم أداة للدعايـة في العـالم؛ فكانـت في حوزتـه مؤسسة (كونزرن شيرل) التابعة لها معظم صحف اليمين، ووكالة الأنباء البرقية الرسمية، ووكالة (أوفا).

فإذا نجح هتلـر في أن يضـم إليـه (هوجـانبرج) أمكنـه أن يعـزز الدعايـة الهتلريـة تعزيزًا عظيمًا، وكان "هوجانبرج" يسعى في الوقت نفسه للاتصال بالشـعب الألمـاني لـكي يتيسر له أن يوسع نطاق نشاطه. وكان المستشار (بانج) موضع ثقته، وأحد كبار الصـناع الذين أرسلوا الإنذار السابق الذكر إلى هتلر. وكان (بـانج) عـلى اتصـال بـالفوهرر، ومـن رأيه أن في اتحاد الرجلين قوة، فوصل ما بينهما.

وحدث مثل هذا المسعى للتعاون مع الدكتور (شاخت)، إذ اجتمع هتلر به بعد أن اعتزل شاخت الحزب الديمقراطي بزمن قليل بسبب رفضه الموافقة على تجريد الأمراء من أملاكهم. ولقد كتبت زوجة جورنج الأولى في مذكراتها عن هذا الحادث ما يأتي:

"كنت انتظر أنا وزوجي قدوم شاخت وأدولف هتلر إلى دارنا اليوم لزيارتنا".

ثم علمت فيما بعد أن شاخت اشترط لتعاونه مع هتلر إبعادي أنا وأخي..

وكان شاخت قد استقال من رئاسة (بنك الرايش) بسبب رفضه اتفاقية ميونيخ وكانت تأكله نار الطمع والطموح. وكان يتوق إلى أن يتولى مستشارية الرايش أو على الأقل وزارة الاقتصاد في وزارة من أحزاب اليمين، ويعتبر (شاخت) و(فون بابن) من أبغض الوصوليين السياسيين في ألمانيا.

وهكذا تم الاتفاق بين هتلر وهوجانبرج وشاخت سريعًا، وظهرت ثمرته بعد فترة وجيزة، فحصل الحزب الوطني الاشتراكي في بضعة شهور على آلاف من الأنصار الجدد بعد أن مني بخسارة كبيرة في الانتخابات السابقة، وأخذت دعاوته في التحسن المطرد كلما مالت مبادؤه نحو الاعتدال.

وتجرأ المترددون على أن يؤيدوا حركة هتلر التي أصبح يعضدها شاخت وهوجانبرج، واستيقظ الفاترون من سباتهم على أصوات الدعاوة الماهرة، وأصبحوا يهتمون بتأدية واجبهم السياسي بعد أن كانوا يتجنبون مراكز الانتخاب؛ فكانت انتخابات سبتمبر سنة 1930 أشبه بتعبئة عامة لجميع طبقات الشعب، وفاز حزب هتلر بمائة مقعد وسبعة مقاعد في البرلمان بدلًا من أربعة عشر مقعدًا كانت له قبل ذلك.

وبينما كان هتلر يحسب أنه قد أصبح قاب قوسين أو أدنى من منصة الحكم، إذ اندلعت نيران الثورة بين فصائل الهجوم؛ ذلك أن (الجبهة السوداء) قد عنيت بإطلاع

الناس على مساومات رئيس حزب العمال الوطني الاشتراكي وأعماله البغيضة.

وكشفت الستار عن حبه للمال حبًا جمًا فأثمرت حملتها، وتذمر جنود فصائل الهجوم في برلين من الأنباء المذاعة عن الحزب، وقرر الكابتن (ستنس) أن يشق عصا الطاعة على هتلر.

في يوم الجمعة اليتيمة من عام 1931 زحفت فصائل الهجوم البرلينية بقيادة الكابتن (ستنس) واحتلت الدار التي اتخذها جوبلز مقرًا له، وصادرت مطبعة صحيفته (انجريف) ففر جوبلز من داره، وأرسل في طلب النجدة من وكيل شرطة برلين، وكان هذا يهوديًا يقال له (وس) رماه جوبلز بكتيب تهكمي عنيف يسمى (ازيدور)، ولم يحرك (وس) ساكنا لنجدة الدكتور جوبلز فقصد هذا الأخير إلى ميونيخ حيث اكتفى بأن يرسل أوامره بالتليفون إلى أعوانه في برلين.

ثم أطلعني الكابتن (ستنس) على سير الحوادث، وأرسل إلي يقول:

"لقد فر جوبلز، ولكن رجال الشرطة يتأهبون لمقاتلتنا"

فتوجهت لمقابلته، فأخبرني أنه كان على اتفاق مع جوبلز للقيام بهذه الحركة، وأن جوبلز قد خانهم في اللحظة الأخيرة فأخطر الشرطة وفر إلى ميونيخ ليكون في حماية هتلر.

فقلت: "العصيان الذي لا ينقلب إلى ثورة هو عصيان مقضي عليه بالخيبة والفشل، فيجب أن تثبتوا".

وعلى ذلك ظلت فصائل الهجوم ثلاثة أيام مستولية على دار جريدة (أنجريف)، وأصدرت الجريدة تحت إشرافها. ونادت بأن هتلر وجوبلز قد عزلا من الحزب، ثم قرر رؤساء دوائر المناطق الشمالية أن يثوروا مع الكابتن (ستنس). ورددت الصحف خيانة جوبلز الثانية في عبارات بارزة ضخمة. وعلى الرغم من ذلك بقيت دائرة (كولون) التي كان الهر (ليه) يتولى أمرها تابعة وحدها من بين الدوائر الشمالية

لأدولف هتلر.

هذا بينما كانت الاجتماعات السرية تتوالى بغير انقطاع في ميـونيخ، ولم يكـن الأمـر يتعلق هذه المرة بمعارضة سياسية بل بعصـيان مـن جانـب رجـال مسـلحين كـان هتلـر يعتقد أنه يستطيع الاعـتماد علـيهم، فصـدر أمـر بعـزل كبـار مـوظفي فصـائل الهجـوم الشمالية في الحال. ولكن لابد من العثور عـلى رجـل شـديد البـأس ذي قبضـة حديديـة يستطيع هتلر بمعونته أن يخضع رجـال الكـابتن (سـتنس)، وذلـك بعـد أن بـرهن (فـون سالومون) على أنه غير كفء لذلك، ولم يكن هناك إلا رجـل واحـد في مقـدوره أن ينقـذ هتلر، ألا وهو الكابتن (ريم)، صديقه القديم الـذي عـاد منـذ قريـب مـن بوليفيـا، فلـم يتردد هتلر في استدعائه، وكان (ريم) مقيمًا على إخلاصه لهتلـر عـلى الـرغم مـما حـدث بينهما قبل دعوته.

وعزم "ريم" على أن يقابل العنف بالعنف، فاختـار المـلازم "شـولتز" لقمـع الثـورة، و"شولتز" هذا رجل ذو تاريخ عجيب، وواحد من سفاحي "سانت فهـم" ترتجـف ألمانيـا لذكر اسمه، فكان بغير شك خير من اختير لهذه المهمة، واستطاع أن يقمع الثورة بمعونة رجال الشرطة وفصائل القمصان السمراء في يوم الاثنـين مـن عيـد الفصـح. وبعـث إليـه "ريم بهذا الأمر: "لا نريد شهداء ولا متذمرين بين صفوفنا فاجتنـب الانتقـام، وعـد مـن يستسلمون لك برفع أجورهم".

وفي تلك الأثناء توجه هتلر إلى العاصمة، فهل كان ينـوي أن ينتقـل مـن مقهـى إلى آخر، كما فعل في سبتمبر الماضي، ليرجو رجال القمصان السمراء أن يمتنعوا عن إتيـان أي عمل يسيء إلى حزبه؟

كلا.. فقد أصبحت الحال غير الحال، وبات للحـزب مائـة مقعـد وسـبعة مقاعـد في البرلمان، وقضي على الثورة في مهدها، ففي وسع هتلر والحالـة هـذه أن يكتفـي بإصـدار بيان رنان.

وهكذا قضي على ثورة الكابتن (ستنس) قبل أن تأتي بأية ثمرة من الثمـرات، فانضـم آلاف من الرجال الصادقين إلى (الجبهة السوداء). ولم يقنع (ريم) بنجاحه في إنقاذ هتلر، فتقدم خطوة أخرى في إظهار إخلاصه للزعيم، وأصدر بوصفه قائدًا لفصائل الهجوم أمـرًا يقضي بأن يلقب هتلر بكلمة (فهـرر) وأن يخاطـب بالضـمير الثالـث إمعانًـا في الاحـترام والتبجيل.

وبذلك أصبح هتلر (فهرر) الشعب الألماني بعد أن كان "قارع طبـل الثـورة"، وكـان من المنتظر أن يتأثر هتلر بما أظهره (ريـم) مـن ضروب الإخـلاص والوفـاء نحـو الـزعيم، ولكن التجارب الأخيرة جعلته على حذر من الناس والأشياء. ولئن كـان (فـون سـالومون) كشف عن عجزه، و(وستن) نكث عهده، فإن (ريـم) الـذي سـبق أن وقعـت بينـه وبـين هتلر مصادمات عنيفة، قد يقلب له في أحد الأيام ظهـر المجـن، وعـلى ذلـك كـان هتلـر بحاجة إلى كتيبة قوية من الجنود المخلصين ليكون في مأمن من هذا الخطر؛ فعمل عـلى تعزيز فصيلة الحرس الأسـود الصـغيرة؛ وبـذلك صـعد قائـدها (همـلـر) في سـلم الترقيـة بخطوات سريعة

ومن ذلك العهد نشبت حرب خفية بين رئيس فرق الهجـوم وهمـلـر قائـد فصـيلة الحرس الأسود، أما هتلر فقد كـان يشـهد هـذا التنـافس بعـين الـرضي والارتيـاح فلـو أن (ميكيافيلي) كان حيًا لصفق لتلميذه ولعمري ما اسـتطاع إنسـان أن يطبـق مبـدأ (فـرق تسد) أفضل مما طبقه هتلر.

وظل رجال هتلر بطبيعة الحال يعملون على إحباط أعمالنا وعرقلـة نشـاطنا حتـى عجزت الشرطة عن حمايتنـا مـن اعتـداء الهتلـريين علينـا، وكثـيرًا مـا كـان رجـال همـلـر يـدخلون خلسـة في اجتماعاتنـا، وينقضـون عـلى الخطيـب فيحـدثون شـغبًا ويضـطر المجتمعون إلى الانصراف.

ولقد حدث أن اعتدى على أحد هؤلاء الأشقياء بعصا غليظة فأصابني بجرح قرب عيني؛ ونجوت مـن المـوت عـلى يـد بعـض الرجـال الشـجعان مـن جمعيـة

(ستاهلهلم)، وقد اعترف أحد المتهمين أمام المحكمة بأنـه كـان مكلـف بقـتلي ولكنـه لم يستطع قطع التيار الكهربائي لإطفـاء النـور في قاعـة الاجـتماع فاضـطر إلى العـدول عـن اقتراف الجريمة.

ولقد كان العراك في (إنزهو) أشد وأعنف، إذ كان بها الدكتور (جرانتز) الذي أطلـق عليه حـزب هتلـر "بطـل فـواهردن" لأنـه قـاد الهتلـريين في معركـة انـتصروا فيهـا عـلى الشيوعيين؛ وقتل خلالها فريق من رجاله. وكان (جرانتز) هـذا شـابًا نابهًـا شـجاعًا وعـلى خلق عظيم. ولقد شهد هتلر جنازة الضحايا، وعانق "جرانتـز" أمـام قـبرهم وقالـه وهـو يبكي: "لن أنسى طول حياتي هذه اللحظة يا عزيزي جرانتز".

وبعد ذلك بعامين علم هتلر بأن صديقي الهر "بوخروكر" الذي أنشأ معي (الجبهة السوداء) قـد اجتمـع بالـدكتور "جرانتـز" في داره؛ فـأمر "الفـوهرر" باغتيـالهما، فصـدح السفاح "هملر" بالأمر فورًا ولكنـه لم يسـتطع قـتلهما ونجـا "جرانتـز" و"بـوخروكر" مـن الموت بعد أن جرح الأول وجدع أنف الثاني، وليت "جرانتز" لقي حتفه في تلـك المعركـة، لأنه لا يزال مسجونًا منذ سنة 1933 دون أن يفكر أحد في تقديمه للمحاكمة أو حتـى في استجوابه.

ولقد تكـررت أمثـال هـذه الحـوادث في هـامبورج، وفرانكفـورت، وشـتوتجارت؛ وأعطى همل رجاله مطلق الحرية في أن يقتلـوا أصـدقائي وأنصـاري، ولكنـه أوصـاهم بأن يعتقلوني ويحضروني إليه حيًا، على أن اعتقالي لم يكن ميسورًا لهم، وما زلت أذكـر تلك المطاردة المفزعة التي لقيتها مـنهم في مدينـة (روسـتوك) الصـغيرة؛ فبيـنما كنـت عائدًا من أحد الاجتماعات، إذ بي محصور فجأة بشرذمة مـن رجـال هتلـر، فأخرجـت مسدسي، واتفق أن مرت بي سيارة، فألقيت بنفسي فيها، وانطلقت بي على غـير قصـد. فاستقلوا هم سيارات أخرى، وراحوا يطاردونني، فكانت مطاردة مفزعة، وكـانوا اثنـي عشر رجلًا، وكلما حاولت الوقوف أمام مطعم أو حانوت أو مقهى لألجأ إليه وجدتهم قاب قوسين مني، واضطررت إلى أن أصيح بالسائق أن يستمر مسرعًـا، فـأطلقوا علينـا

النار، فتهشم زجاج السيارة، فأوقفها السائق بغتة وألقى بنفسه إلى الطريق وفر هاربًا. وكنت متقدمًا على أعدائي بدقيقتين، فتلفت حولي فوجدت دارًا فطرقتها. ولحسن حظي لم يكن حارس الباب قد آوى إلى مخدعه بعد، ففتح الباب، وقال متعجبًا "إلى أين تذهب؟. فأزحته من طريقي، وأغلقت الباب بالمفتاح وطويت السلم حتى وقفت أمام منزل بالطابق الثاني، وطرقت الباب، فطلعت على سيدة، فأنبأتها بأمري فسمحت لي بالدخول في بيتها، وأخطرت الشرطة بالتليفون.

وبينما كنا ننتظر قدوم الشرطة، إذ فتح باب الغرفة المجاورة لغرفتنا وطلعت علينا فتاة في السابعة عشر، وحيتنا قائلة: "هايل هتلر" أي: "يحيا هتلر"!

فسألت أمها: "هل ابنتك هتلرية؟"

فقالت: "نعم".

فوجدت نفسي في مأزق حرج، فوقفت وقفة عسكرية وعرفتها بنفسي على طريقة الضباط قائلًا: "أوتو شتراسر" رئيس الجبهة السوداء".. فصرخت صرخة، وامتقع لونها، فقلت:

"ينتظرني رجال هتلر أمام دارك ولم يصل الشرطيون بعد".

فاقتربت الفتاة من النافذة ففتحتها، وأطلت على الطريق ثم التفتت إلي وقالت بصوت رهيب: "إنهم هناك". فيا لها من فتاة طيبة ساذجة! لقد قصصت عليها كيف طاردوني في طرقات المدينة، فأصغت إلي وظهرت على وجهها علامات الجد والألم، ثم سمعنا سيارة تقف بالدار، وأصواتًا تصيح: "ها هم، امسكوهم، امسكوهم".

فقالت الفتاة: "وصلت الشرطة، فأنت الآن في أمان، وأتمنى أن يعتقلوهم جميعا".

ولقد مكثت زمنًا طويلًا أتلقى كتبا من هذه الصديقة الجميلة التي كرهت هتلر

منذ ذلك اليوم.

ولقد حمل رجال هتلر علينا مائة مرة في اجتماعاتنا العامة فردت هجماتهم جميعا ولم يستطيعوا أن يحبطوا أعمالنا بأي حال بل أكسبوها بتصرفاتهم العدائية الشهرة والرواج.

وبدأت الجبهة السوداء منذ نهاية عام 1932 تسير في طريق النجاح والتقدم، وكنا نعقد اجتماعات مهمة يتبارى فيها الخطباء السياسيون، وكان لكل خطيب عشر دقائق يبسط فيها رأيه ثم يترك الكلام لمعارضه الذي له مثل هذه المدة على أن يعود إلى خطبته بعد ذلك، وبهذه الطريقة يستطيع كل منهما أن يدافع عن رأيه في الحال، ولكنه ممنوع منعًا باتًا من أن يحمل على عدوه في غيبته ويعاقب بالعزل إذا عمد إلى التشهير والسب. ولقد دعوت هتلر وجوبلز بواسطة صحفي والإعلانات الملصقة على الحوائط أن يشتركا معنا في النقاش ويدفعا عن نفسيهما التهمة أمامنا، فلم يقبلا دعوتي إطلاقًا.

وفي أواخر عام 1931 تألفت في (هارزبورج) جبهة الوطنين الاشتراكيين من حزب المطالبين بدولة واحدة للعنصر الألماني، ومن ذوي الخوذات الحديدية، وفصائل الهجوم وكتائب (لاند باند)، تحت قيادة هوجانبرج وهتلر وشاخت. ولقد اتفقت آراؤهم على مسألة واحدة وهي إسقاط المستشار (برونتج) وحمل الرئيس (هندنبورج) على تأليف وزارة وطنية من أحزاب اليمين، ولكن أملهم لم يتحقق، وفاز (برونتج) في انتخاب 1932 لمجلس النواب بأغلبية ضعيفة.

وكان الاشتراكيون الديمقراطيون لا يحبون (برونتج) بسبب ضغطه الميزانية وتخفيض الأجور ومستوى المعيشة ولكن لم يكن لديهم رجل يطمئنون إلى ترشيحه ضد هتلر. ومع ذلك بقيت مسألة خطيرة وهي انتخاب رئيس جديد للجمهورية، وكانت جبهة الوطنيين الاشتراكيين قد قويت حتى أصبح من المستحيل فوز المارشال هندنبورج في الانتخاب بغير معونتها. وكان (برونتج) يسعى سعيًا حثيثًا لنجاح

المارشال، فأخبره هتلر أن رجاله يناصرون الرئيس (هندنبورج) على شرط أن يقبل هذا الأخير تأليف وزارة من أحزاب اليمين وأن يعينه (أي هتلر) مستشارًا للرايش. ولكن هندنبورج لم يقبل هذه التسوية. عندئذ حدث انقلاب عجيب لم يحدث مثيل له في تاريخ ألمانيا، وهو أن المارشال هندنبورج، البروسي العسكري، صار مرشح الديمقراطيين الألمان، بينما أيدت عناصر بروسيا الرجعية أدولف هتلر الثوري ومرشح جبهة الوطنيين الاشتراكيين.

وجرى الانتخاب؛ فرجحت كفة هندنبورج منذ بداية الدورة الأولى، ولكن الاشتراكيين دخلوا فجأة المعركة مؤيدين الهر (تالمان) المشهور، فكان لابد من إجراء دورة ثانية؛ فتقدم هتلر مرة أخرى ومعه أصوات الجبهة كلها. وعلى الرغم من ذلك فاز المارشال هندنبورج برياسة الجمهورية وظهر (بروننج) مرة أخرى على أدولف هتلر. ولولا (بروننج) هذا وما بذله من جهود جبارة لما انتصر الرئيس هندنبورج.

وكان هتلر مجتمعًا بأنصاره في (كونورج) من أعمال بافاريا حينما بلغه نبأ انتصار المارشال هندنبورج، فأجهش بالبكاء كعادته كلما مني بفشل ما، ثم توالت الحوادث في ألمانيا سراعا حيث تتفق الأحزاب وتختلف بين عيشة وضحاها؛ فحصل هتلر في انتخابات المجالس المحلية على فوز إثر فوز، وأبلغ أعيان بروسيا الرئيس "هندنبورج" بأن مستشار الرايش يقود ألمانيا إلى البلشفية، وعاد "هوجانبرج" و"شاخت" من جهة أخرى لا يرغبان في أن يتولى هتلر الحكم، إذ أخذ الفوهرر منذ انتصاراته الأخيرة يبتعد عنهما ورجع فترة من الزمن إلى أفكاره الثورية القديمة.

ثم أنكر الرئيس "هندنبورج" أعمال المستشار "بروننج"، فاستقال هذا من الحكم وخلفه (فون بابن) الذي رشحه "هوجانبرج"، ووعد "هتلر" بتأييده.

ولقد كان "فراتز فون بابن" قائدًا لإحدى فصائل الفرسان في الجيش الاحتياطي فموظفًا بإحدى السفارات الألمانية، كما كان صاحب جريدة "جرمانيا" الكاثوليكية، وهو إلى ذلك سياسي ماهر ومبتكر عجيب ودساس مارق ودبلوماسي عرف بمعالجة

المشاكل المعقدة والحالات المستعصية، ولقد حسب "فون بابن" أن في وسعه أن ينصب نفسه ديكتاتورًا، وقال "هوجانبرج" في ليلة 30 يوليه عام 1932 "لقد غلب هتلر على أمره مرة أخرى". وفي تلك الليلة نفسها خيل لفصائل الهجوم أن ساعة العمل قد أزفت فانطلقوا يقترفون جرائم وحشية في (كونجسبرج) وجاءت الأنباء بأن اغتيالات أخرى قد ارتكبت في "سيلزيا"، وفي (بوتامبا) قتل أشقياء من فصائل الهجوم أحد العمال على مرآى من أمه وداسوه بالأقدام فاعتقل القاتلون وحكم عليهم بالإعدام، ولكن هتلر دافع عنهم علانية وأرسل إليهم في سجنهم برقية أعرب فيها عن عطفه عليهم.

وهنا استقر رأي الجنرال (فون شليشر)، وزير الحربية في وزارة "فون بابن" على أن ساعة العمل قد دقت، وكان (فون شليشر) رجلًا طموحًا ذا نفوذ قوي يقيم الوزارات ويسقطها، فهو الذي استقبل (ريم) قائد فصائل الهجوم واتفق معه على إسقاط (برونج) بشرط ألا يطالب هتلر بمنصب المستشارية، وهو الذي وضع (فون بابن) على رأس الحكومة، ووافق هتلر على هذا الإجراء، فأرسل إلى النازي ينذرهم بأن الجيش سيطلق عليهم النار إذا هم عادوا إلى إثارة القلاقل واقتراف الجرائم. وأعلن (فون بابن) الأحكام العرفية. فهل سنشهد فتنة أخرى؟ وهل يجرؤ الجيش على أن يطلق النار على فصائل الهجوم وثلاثة عشر مليون ألماني يقفون بجانب هتلر؟

كلا، فإن هتلر قد قرر شيئًا آخر، ذلك أنه اشترط لمضيه في تأييد وزارة (فون بابن) أن تمنح فصائل الهجوم حرية العمل مدى ثلاث ليال، ومعنى هذا أن يسمح لهم باقتراف ما يشتهون من جرائم مدى ثلاث ليال طوال، غير أن (فون بابن) لم يشأ أن يأخذ على نفسه مسئولية قبول هذا الطلب. فالتمس "هتلر" و"ريم" و"فريك" في اليوم التالي مقابلة الرئيس "هندنبورج"، ولما دخلوا عليه وجدوه متكأ على عكازته، فرمقهم مقطب الجبين يتقدمون نحوه. وكان يمقت (ريم) لشذوذ في خلقه، ويرى في هتلر (أونباشي بوهيميا) - إذ لم يشأ أن يعد هتلر نمساويًا - أما فريك فلم يكن له

أي اعتبار عنده.

ثم خاطب هتلر بصوت خشن:

(إنك تطلب الحكم، فليس عندي ما أقدمه لك سوى وزارة البريد).

فأراد هتلر أن يتكلم فقاطعه المارشال قائلًا:

(لقد وعدت بتأييد وزارة "فون بابن" ونكثت عهدك).

ولم تدم المقابلة إلا عشر دقائق، انصرفوا على أثرها مطأطئ الرؤوس يشيعهم الرئيس وهو يقول:

(إياكم أن تعودوا إلى العنف والقسوة).

هكذا خرج هتلر من عند الرئيس مخذولًا، ولكن شهرته كانت آخذة في الصعود المطرد، فعزم على محاربة (فون بابن) بالطرق البرلمانية القديمة، وبذلك استطعنا أن نشهد الوطنيين الاشتراكيين في مجلس النواب يدافعون عن جمهورية فيمار، وجورنج يناصر الديمقراطية، والشيوعيين يقفون بجانب الوطنيين الاشتراكيين، فعاد الناس لا يفهمون شيئًا من كل هذا، ثم اضطر (فون بابن) إلى اعتزال الحكم وخلفه الجنرال (فون شليشر).

وكانت مشاريع (شليشر) ترمي إلى إبعاد (هتلر) عن الحكم مع الاحتفاظ بالمبادئ الطيبة النافعة من الوطنية الاشتراكية، ثم تأليف حكومة تستند إلى الجيش ونقابات العمال والهيئات المثقفة. فأي رجل يختاره ليعاونه في أداء هذه المهمة عدا (جريجور شتراسر) الذي برهن على أنه منظم من الطراز الأول واشتراكي صادق العقيدة؟

ولكن (جويجور) أبدى التردد في قبول هذا المنصب، إذ لو أنه رضي بأن يكون وكيلًا لمستشار الرايش أو مستشارًا في المستقبل، فهل هو خائن للعهد الذي قطعه

لهتلر أم لا؟

لذلك استوضح المارشال "هندنبورج" الأمر ليطمئن قلبه، فقال له المارشال:

"أقسم لك أن (أونباشي بوهيميا) لن يكون أبدًا مستشارًا للرايش"

فقـرر (جريجـور) أن يتوجـه إلى ميـونيخ لاستشـارة (هتلـر) وإبلاغـه بـتصريح "هندنبورج".

وتردد هتلر ثم قبل أن يكون (جريجور) وكيلًا لمستشار الرايش، ووعده بأن يسـافر إلى برلين في 8 ديسمبر التالي ليضع معه مشروع تأليف الوزارة الجديـدة. وبعـد أن وثـق (جريجور) من موافقة (هتلر) اقترح على الجنرال (شليشر) أن يضم إليهما حليفًا جديدًا، وهو الهر "ليبارت" رئيس النقابات الحرة في ألمانيا.

وهنا انزعج كبار الزراع مرة أخرى وراحوا يتساءلون:

"لماذا استقال (برونَنج) إذا كانت الحكومة تميل من جديد إلى أحزاب اليسار؟"

ثم أدرك (هوجانبرج) و(شاخت) غلطتهما فعادا إلى الاتصال بهتلـر، وسـعى (فـون بابن) إلى الانضمام إليهم، ولقد تم الصـلح بـين هتلـر وفـون بـابن في كولـون بـدار الهـر (شرودر) الثرى الكبير الذي أقرض الحزب الوطني الاشتراكي مقدارًا من المال لإنفاقـه عـلى الحركة السياسية الجديدة.

وقال هتلر في تلك الجلسة: "ولكني لن أستطيع أن أتولى مستشارية الرايش مـا دام الرئيس الشيخ على قيد الحياة".

فقال "فون بابن": "ليس هذا ما فهمت من أقوال صديقي أوسكار هندنبورج نجل الرئيس".

وهذا كذب مقصود من (فون بابن) فغضب (هتلر) غضبًا شديدًا من (جريجور).

وبعد ذلك ببضعة أيام جرت في برلين مشادة عنيفة بين الرجلين حول هذا الموضوع، وانتهز (جورنج) و(جوبلز) هذه الفرصة ليوغرا صدر هتلر على (جريجور) و(ليبارت) فقال (جورنج) بلهجة التأكيد: "جريجور يريد أن يتولى الوزارة ليمنعك من الوصول إلى الحكم ثم يقضي عليك قضاء مبرمًا".

فعصف الحنق بنفس هتلر، ورمى (جريجور) بما سمعه من (جوبلز) و(جورنج)، واتهمه بأنه يسعى إلى إبعاده عن الحكم بتأليف وزارة منه ومن (شليشر) و(ليبارت).

وتلقى (جريجور) هذه التهمة الشنيعة من هتلر الذي أخلص له إخلاصًا عميقًا، فقال وقلبه مفعم بالألم: "أتصدق يا هر هتلر، أني أستطيع إتيان هذا العمل؟".

فصاح هتلر: "نعم. أصدق ذلك، وعندي برهان عليه".

فأمسك جريجور عن الرد عليه، وانصرف مغيظًا تتأجج في صدره نيران الغضب، واستقال جريجور، في مساء ذلك اليوم من جميع وظائفه، ومن مجلس النواب أيضًا، ثم رحل تصحبه أسرته إلى جنوب ألمانيا. والتزم الصمت حينا من الدهر، لا يفضي إلى أحد من الناس بذات نفسه. ولكنه بقي مخلصًا لمبادئ الحزب مصممًا على الجهاد كجندي بسيط في سبيل نصرة الفكرة التي يحبها ويبجلها، ومن أجل الرجل الذي خانه وأنكره.

وفي تلك الأثناء وقع حادث في قصر المستشارية، ذلك أن الجنرال (شليشر) مستشار الرايش في ذلك العهد وجه السؤال الآتي إلى صديقه القديم (فون بابن):

"أصحيح أنك تتآمر مع هتلر ضدي؟".

فأجاب فون بابن: "ليس هذا صحيحًا".

فقال الجنرال: "فرانز، فكر في الأمر؟ أيمكنك أن تقسم لي بشرفك؟".

قال (فرانز فون بابن): "أقسم لك بشرفي أن ما بلغك ليس صحيحًا"

فبدت على (شليشر) علامات الاستياء الشديد، وأطلع (فون بابن) على صورة فوتوغرافية تمثله بصحبة هتلر و(شرودر) يتجاذبون أطراف الحديث أمام دار الأخير؛ فحاول (فون بابن) أن يوضح أسباب هذه الصورة؛ فقاطعه (شليشر) قائلًا: "كفى، إني أعرف ماذا يجب علي أن أفعل".

واجتمع الجنرال (شليشر) في مساء ذلك اليوم، بـ (جريجور) قبل مغادرته برلين، وكان شليشر مستاءً من (فون بابن) لحلفه كذبًا بشرفه أكثر من استيائه من دسائسه، وجعل الجنرال (شليشر) يقول لـ (جريجور): "فون بابن.. هذا الضابط الألماني يقسم كذبًا بشرفه، يا له من عار ألحقه بجيشنا!".

قال (جريجور): "وماذا أنت فاعل؟"

قال (شليشر): "لن أفعل شيئًا إذ لو اتخذت أي إجراء ضده لأتهموني بأني أثأر لنفسي؛ فليفعلوا ما يريدون، فلست أخشى دسائسهم".

ولكن (شليشر) كان مسرفا في ثقته بقوته ونفوذه، وكانت المؤامرة التي يدبرونها ضده من المؤامرات المنتظر نجاحها، إذ لفت (أوسكار فون هندنبورج)، وهو شيخ في جماعة المتآمرين، نظر أبيه الرئيس (هندنبورج) إلى استهتار مستشاره بالآداب العامة وفضائحه الغرامية. وكان للخطبة التي ألقاها (شليشر) في 15 ديسمبر وأعرب فيها عن ميوله الاشتراكية وقع سيء في نفوس الرأسماليين والرئيس هندنبورج، ومنذ ذلك اليوم صار بقاؤه في الحكم لأيام معدودة، ولكنه لم يدرك هذا إلا في 28 يناير أي بعد فوات الوقت.

وبينما كنت أتناول طعام العشاء في ليلة 26 يناير مع مدام (جانفيف تابوي) الصحفية الفرنسية في مطعم (إنتردن لندن) قالت لي هذه السيدة الجذابة بلهجة التأكيد: "ليس هناك ما يدعو إلى القلق، لقد استقبلني الجنرال (شليشر) منذ برهة، وصرح لي بأن هتلر في قبضة يده".

فقلت مباسطا: "إن كان حقا في قبضة يده، فليحكم الجنرال وثاقه قبل فوات الوقت".

على أن الرئيس "هندنبورج" لم يطق أن تستمر الحال على هذا المنوال، واستقر رأيه على أن يعتزل الجنرال (شليشر) الحكم ويخلفه (فون بابن)، ويعين هتلر وكيلا له في مستشارية الرايش لو اقتضى الأمر ذلك.

واجتمع هتلر في الليل بـ (فون بابن) و(هوجانبرج) و(سلت) رئيس فصائل الخوذات الصلبية، و(دوستبرج) وقال لهم: "إن لم أقلد رئاسة الوزارة الجديدة فلن أؤيدها بحال من الأحوال".

قال (هوجانبرج): "فون بابن حائز لثقتنا جميعا وثقة الرئيس هندنبورج فهو المرشح لرئاسة الوزارة".

وانضم (سلت) و(مستر) و(إسكارفون هندنبورج) إلى (هوجانبرج) في هذا الرأي وأصروا عليه، فثارت ثائرة هتلر وارتعش صوته وترقرق الدمع في عينيه. فانسل (فون بابن) دون أن يشعر به أحد، من الاجتماع. وصاح هتلر: "لن أقبل إقصائي عن الرئاسة مهما كانت الظروف"

ثم رجع (فون بابن) هادئًا، وهمس في أذنه بضع كلمات.

وعند طلوع الفجر دخل عليهم (فون الفرسلت) وصاح بهم قائلًا:

"يجب أن تعجلوا بالبت في الأمر، لأن (شليشر) قد رفض أن يستقيل، وأعد حامية بوتسدام لمواجهة الطوارئ".

فاهتز الجميع لهذا النبأ لاسيما (هوجانبرج) و(سلت) الذين يخشيان قيام حكومة دكتاتورية اشتراكية يتولى أمرها العسكريون. ووصل الخبر إلى مسامع الرئيس (هندنبورج) فاهتز له بدوره، وانزعجت حاشيته، وارتعدت فرائص وزرائه..

أما (فون بابن) فكان يبتسم وراء الستار، بينما ظهر هتلر في مظهر المتأهب لمقابلة جميع الأخطار. أو لم يكن أقوى رجل في ألمانيا ولديه فـرق الهجـوم يـدفعها ضـد حاميـة بوتسدام؟

ولكن لم يكن هناك ما يدعو إلى استعمال القوة، لأن (فون بـابن) لم يشـأ أن يتـولى الحكم في الحال بسبب التهمة التي ألصقها به (شليشر)، فاحتال للأمر، ونجحت حيلته.

ففي ظهر ذلك اليوم خرج هتلر من عند الرئيس هندنبورج؛ مستشارًا للـرايش. ولم يحجم هذا الرجل عن إتيان كل قبيح مرذول في سبيل الوصـول إلى الحكـم، ولكـن شـيئًا آخـر لا يـزال ينقصـه، ألا وهـو السـلطة المطلقـة، عـلى أن هنـاك ذنبـين هـما (جـورنج) و(جوبلز) يستطيعان سد هذا النقص.

ففي مسـاء 27 فبرايـر دقـت في طرقـات بـرلين أجـراس رجـال المطـافئ، واخترقـت سياراتهم حي الوزارة مسرعة نحو حديقة الحيوان، وكـان ذلـك حـوالي السـاعة التاسـعة مساء، ولم يمض إلا نصف الساعة حتى عرف جميع الناس في برلين أن حريقا شب في دار الريخستاغ، واحتشد آلاف من الخلق بـالقرب مـن حديقـة الحيـوان، وضربـت الشرطـة نطاقـا حـول الميـدان، وتهـدمت قبـة الـدار وانـدلعت ألسـنة النـيران، وظهـر (جـورنج) و(جـوبلز) بـين الجمـوع المحتشـدة، وصرحـا بـأنهما يـتهمان الشـيوعيين بـاقتراف هـذه الجريمة.

واتفق أن كنت في تلك اللحظة في محطـة (أنهـال) فشـهدت أنـوار اللـهب تضـئ حلكة السـماء، فاستوضـحت سـائق سـيارتي الأمـر فقـال: "أشـعل النـازيون النـار في دار الريخشتاغ".

وربما كانت غالبية الشعب الألماني على علم بحقيقة تلك الكارثة، ولكن النـازيون لا يقيمون وزنًا لهذا.

وفي اليوم التالي 28 فبراير وقع الرئيس (هندنبورج) الذي بات لا يستطيع الحكم على الأمور حكمًا صحيحًا مرسومًا خاصًا (بحماية الشعب والدولة)، وأضحى شعار الحكومة: "هتلر ينقذ ألمانيا من البولشفية". والحقيقة أن (هندنبورج) قد أضفى بعمله هذا ثوب الشرعية على الدكتاتورية الهتلرية وما اقترفت من جرائم وآثام.

الفصل الثامن

الجستابو يطاردني

هنا لاحت في الأفق علامة منذرة بهبوب العاصفة، عاصفة الاضطهاد والاستبداد والفزع. واصطبغ هذا الاضطهاد بصبغة شرعية يستمد قوته من القانون، ولديه جميع الوسائل للقتل والحبس والتعذيب. وقد توقعنا قدوم هذا العهد، وقابلناه بقلب ثابت وجأش رابط، وعقدنا العزم على المضي في الكفاح حتى النهاية.

وفي 4 فبراير أصدرت الحكومة مرسومًا يقضي بمصادرة صحفي وإلغاء الجبهة السوداء، فأصبحنا أعداءً للدولة خارجين على القانون وخطرا يتهدد سلامتها؛ فرأينا من الحكمة أن ننقل من العاصمة أسلحتنا وأوراقنا وعدتنا، وكنا قد عنينا منذ بضعة أسابيع بتنظيم صفوفنا في الريف، ولما كنت واثقًا من مطاردة هتلر لنا بعد حريق الريخستاغ، حزمت أمتعتي في تلك الليلة نفسها، وغادرت برلين منذ طلوع الفجر قاصدًا إلى مقري الجديد في (تورنج).

ولقد حدث ما توقعت، إذ احتل رجال الجستابو وشرطة جورنج في اليوم نفسه الدور التي هجرناها، وبحثوا فيها عن أوراق ووثائق فلم يعثروا على شيء منها، فانتقموا لأنفسهم بسرقة الأثاث.

ثم اعتقل مئات من أعضاء (الجبهة السوداء) في برلين وضواحيها خلال الأسابيع التي أعقبت ذلك الحادث، وامتدت يد الاعتقال إلى الريف ما عدا بافاريا وجنوب ألمانيا، لأن سلطة هتلر لم تشمل هاتين المنطقتين اللتين ولدت فيهما الحركة الوطنية الاشتراكية إلا بعد أن دانت بروسيا لسلطانه بستة أسابيع.

وبينما كنت منذ شهرين أباشر أعمالي سرا في (تـورنج) وأوجـه أنصـاري، إذ تلقيـت ذات صباح رسالة تليفونية من عضو في (الجبهة السـوداء) اسـتطاع أن ينخـرط في سـلك "الجستابو" طلب فيها أن يخاطبني في الحال لأمر مهم، فأسرعـت إلى التليفـون وسـألته: "هل هناك خطر يهددنا؟".

قال: "نعم. إنهم عذبوا (فلانـا) في معسـكرات الاعتقـال حتـى اضـطر إلى إخبـارهم بمحل إقامتك".

فغادرت (تورنج) مشيا على الأقدام، وقصدت إلى فندق يقع منها على بعد خمسـة كيلو مترات حيث التقيت ببعض أصـدقائي. وفي الصـباح المبكـر مـن اليـوم التـالي كانـت تنتظرني سيارة في الغابة المجاورة للفنـدق، وكـان سـائقها مـن أنصـاري متخفيًـا في ثـوب الجنود التابعة لفصائل الهجوم، فقلت: "انطلق بنا إلى ميونيخ بأسرع ما يمكنك".

ولم نكد نقطع خمسين كيلو مترا حتى سمعنا صوت سـيارة مـن سـيارات البـوليس البرليني تتعقبنا، ومرت بنا هذه السيارة تجري بسرعة خاطفة، فلمحت فيها بعض جنود من فرق الدفاع بملابسهم الخاصة؛ فقال سائق سيارتي: "أيقتفون أثرنا؟".

قلت: "لا أدري.. سر في طريقك".

ولم تكن هناك إلا طريق واحدة مؤدية إلى بافاريا، ثم شهدنا سياراتهم واقفـة بعـد مسيرة ثلاثين كيلو متر. فقلت: "ما من شك في أنهم يتبعوننا".

قال السائق: "أتريد أن أطلق عليهم النار".

قلت: "كلا، امض بنا.. إنهم أكثر منا عددًا".

ولقد أدهشني أنهم تركونا نمر بهم دون أن يعترضـوا طريقنـا، واسـتمر السـير عـلى هذا الحال بضع ساعات، تتبعنا سياراتهم تارة وتتقدمنا تـارة أخـرى دون أن يتسـنى لنـا الوقوف على غرضهم من هذه المطاردة. وأخيرًا بلغنا قـبلهم مدينـة (أشـتات) البافاريـة،

فتنفست الصعداء، وقلت لسائقي:

"ها هي ذي بافاريا، قف، فإنهم لا يستطيعون أن يمسونا بسوء هنا، وإني ذاهب لإخطار زوجتي بقدومي".

وعند خروجي من دار البريد أدهشني أن رأيت جمهورًا من أهل بافاريا مشتبكًا بالعصي مع جنود الهجوم التي كانت تحاصر تلك الدار. وجعل البافاريون يصيحون "الزموا برلين أيها الروسيون الأسافل، نحن نعرف كيف نعيدكم إليها".

وفي صباح ذلك اليوم وقع حادث كنت أجهله، وهو أن هملر وجورنج أسقطا حكومة الدكتور (هلد) البافارية، فعندما شهد أهل بافاريا جنود الدفاع الهتلرية في مدينتهم اعتقدوا أن النازي يسعون لبسط سيادتهم على بافاريا.

ولقد استطعت بفضل هذا الحادث المفاجئ أن أعود إلى سيارتي، وأتخلص نهائيًا من مطاردة جنود الدفاع، ولكني لم أدرك السبب الذي منع هؤلاء الرجال المسلحين من اعتقالي في الطريق إلا فيما بعد، إذ أطلعني عليه رجل من أنصاري في (الجستابو) استطاع أن يحصل على البيان العجيب الذي قدمه الجنود الدفاع إلى رئيسهم (هنريش هملر) وقد جاء فيه ما يأتي:

"ولما كنا نعلم أن "أوتو شتراسر" يحمل على الدوام مسدسه المتراليوز، وأنه لا يحجم عن إطلاقه علينا، فضلنا أن نهاجمه في ظلام الليل بعد أن نسلط عليه أضواء قوية تمنعه من رؤيتنا فنلقي القبض عليه".

ولعمري إنها لشجاعة فذة يتجلى بها هؤلاء الجنود البواسل!! ومع ذلك بقيت الحال على ما هي عليه من الخطورة، فأصدرت الأمر إلى رجالي الذين لا علم للشرطة بعضويتهم في الجبهة السوداء أن يلتحقوا بالجيش أو بالشرطة أو بفصائل الهجوم والدفاع، وأن يستمروا في نشاطهم من وراء هذا الحجاب الذي اضطرتنا إليه الظروف هذا الكفاح وطبيعته، وكان أخوف ما يخافه هتلر تسلل هذه العناصر الألمانية القوية

بين صفوفه تهدد فصائله بالتفكك والانحلال، فأصدر أمرًا يقضي بمكافحتي بجميع الوسائل وباكتشاف محل إقامتي مهما كلفه ذلك من ثمن، فلم ينقطع الجستابو عن اعتقال من أمكنه اعتقالهم من أنصاري وتعذيبهم بشتى طرق التعذيب والتنكيل، ولكن معظمهم لم يفش سرًا اللهم إلا القليل مما خانتهم قواهم فاضطروا إلى الإفضاء بما كان لديهم من معلومات، وإزاء هذه الحال غادرت بافاريا اجتنابا للمصاعب والأخطار واخترت غابة (نوتوبورج) مقرًا لإقامتي حيث دعوت رؤساء الحزب في المناطق الشمالية للاجتماع في يوم عيد الفصح، بينما اجتمع ثلاثون ألفًا من فرق الهجوم للاحتفال بهذا العيد في مكان يبعد عنها بضعة كيلو مترات. ومعنى هذا أنه لم يكن بيننا خونة، وأن جماعتنا كانت على ما يرام من الاتحاد والنظام.

ثم قصدت في منتصف شهر إبريل إلى (شميسي) من أعمالي بافاريا حيث وجهت الدعوة إلى رؤساء الدوائر الجنوبية للاجتماع في 5 مايو وكنت أرغب خاصة في الاجتماع بمندوبنا في النمسا المكلف بتمهيد الطريق لحزبنا في (فيينا) إذا اضطرتنا الظروف إلى الهجرة إليها، واستضافتني سيدة من طالبات جامعة ميونيخ متزوجة برجل مثقف في منزلها الواقع على بحيرة "شيم"، واقترحت أن تأوي أعواني في كوخ لها يقع فوق الجبل على ارتفاع ألفي متر. وقالت:

"سأصحبك إلى هنالك؛ أنا وخادمتي حتى لا يرتاب أحد في الأمر".

وصعدنا الجبل قاصدين إلى الكوخ حيث التقينا برؤساء (الجبهة السوداء) لبافاريا و(روتنبرج) وكذلك بمندوب الحزب في النمسا، وأرسلت الشمس عند الظهر أشعتها الذهبية الدافئة إلى الكوخ حيث كانت منضدة كبيرة وبعض المقعد مما جعل جلستنا ميسورة، وفي تلك الأيام كان رؤساء جماعتنا في الريف يعتقلون بغير انقطاع، فكنا مضطرين إلى تعيين خلفا لهم وتقييد عناوينهم وغير ذلك، ولقد لبسنا رداء حمام البحر لعرض أجسامنا لأشعة الشمس الدافئة الصحية في شهر إبريل، وبينما كنا مشتغلين بالعمل على هذه الصورة إذ دهمنا رجال مسلحون من فرق الدفاع الهتلري،

وصاح أحدهم: (أطلعونا على بيان بإثبات شخصيتكم).

وكنت الوحيد من بين رفقائي الذي يتكلم اللـهجة البافارية فقلت: "كيف نستطيع أن نحمل بطاقات إثبات الشخصية ونحن على هذه الصورة. أيمكـنكم أن تحملـوا أوراق شخصيتكم وأنتم في لباس الحمام؟".

فهم أحدهم بالانقضاض علي، فمنعه زميل له، قال: "ماذا تفعلون في هذا المكان؟".

قلت بصوت عال تسمعه السيدتان اللتان كانتا تأخذان حمام الشمس على مقربـة منا:

"ماذا نفعل في هذا الكوخ؟ أسألوا هاتين السيدتين".

فأسرعتا إلينا، وجعلتا تمزحان معنا كما لو كنا في مصـيف نلهـو ونلعـب، وانعطفتـا على الجنود الشبان في دلال ومرح؛ فقال الرجل الذي كان يريد الانقضاض عـلي: "حسـنا، ولكن يدهشني أن أرى امرأتين بصحبة رجال أربعة. سننظر في هذا الأمر".

وخلفونا متجهين صوب الحدود النمساوية التي كانت على مسافة مائتي مـتر منـا. فقالت مضيفتنا:

"فلنرحل إلى النمسا، إذ لا أرى وسيلة تنجينا منهم سوى الهجرة إلى ديار أخرى".

قال زعيم بافاري "لا بد أن فرق الهجوم تحرس الحدود النمساوية".

ولقد كانوا بالفعـل يحرسـونها، إذ كنـا نسـمع مـن حـين لآخـر أصـوات الصـفارات يطلقها رجال هملر من جميع النواحي المحيطة بنا، فقال مندوبنا النمساوي: "لا منـاص من أن نقضي الليلة هنا".

ولعمري ما شعرت بالخطر الداهم أشد مما شعرت بـه في تلـك الليلـة؛ فقـد خيـل

إلي أنه لا مخرج لنا مما وقعنا فيه، وأن الستار قد أوشك أن ينسدل على المأساة، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ هبت عاصفة هوجاء فأظلمت السماء، وانهمرت الأمطار من جليد وماء، وجرفت الثلوج قطعا من الصخر ملقية بها في المهاوي المحيطة بالجبل، فقلت لمضيفتي: "هذه هي فرصتنا الأخيرة فلنحاول النزول"

ولقد لاقينا مشقة وعناء مدى ست ساعات بلغنا بعدها الدار الصغيرة المطلة على بحيرة (شيم) ولكن كان علينا أن نستعد مرة أخرى للفرار من الجستابو الذي بث عيونه في كل مكان؛ فصبغت شعري بلون أسود ووضعت منظارًا وشاربًا مستعارًا.

وبينما كنت في يوم 9 مايو أتأهب للرحيل إذ وقفت سيارة أمام الدار ونزل سائقها وقدم إلى مضيفتنا كتابًا مرسلًا إلي فأخبرته أنها لا تعرفني ولا علم لها بهذا الاسم، واستمهلته حتى تسأل زوجها وحملت إلي الكتاب، فوجدته مكتوبًا بخط أخي (جريجور) الذي انقطعت عني رسائله منذ عامين. ففضضته في الحال وقرأت ما يلي:

"لقد تناولت البارحة العشاء على مائدة الوزير (فريك)، وأخبرني أن جورنج أرسل جماعة من (فرق الموت) إلى شميس لاغتيالك. ولقد قدمت ميونيخ بالطائرة فأرجوك أن تفر إلى النمسا بالسيارة التي أرسلتها إليك".

نعم.. لا بد من الفرار، ولكني لن أرحل إلا بعد أن تكتحل عيناي برؤية أخي، فأسرعت إلى سائق السيارة وقلت له: "أيمكنك أن تنطلق بي إلى ميونيخ حيث يوجد صاحب هذه الرسالة؟".

فقال: "نعم".

وانطلق بي حتي بلغنا ميونيخ بعد ساعتين، وهناك التقيت بأخي للمرة الأخيرة في حياتي، فكان لقاءً مؤثرًا أليمًا وقال (جريجور) وهو يبتسم ليمنع نفسه من التأثر والبكاء: "لقد تغيرت صورتك".

وطبيعي أن تتغير صورتي بعد أن صبغت شعري ووضعت منظارًا وشاربًا

مستعارًا، أما هو فقد تغيرت صورته تغيرًا طبيعيًا. وقلت: "إنك تغامر بحياتك يا أخي، في إعانتي على الفرار".

قال: "سوف يقتلني جورنج يوما من الأيام كما يبغي أن يقتلك الآن، فمهما فعلت فلست بناج من الموت".

قلت: "أتوسل إليك أن تفر معي".

فهز جريجور رأسه وقال: "ماذا أفعل بعيالي وأعمالي؟".

قلت: "وهتلر أيضًا أليس كذلك؟".

قال: "كلا. إنها ألمانيا التي تعنيني وتهمني، وأحسبني غير قادر على البقاء بعيدًا عنها".

ومكثنا نتجاذب أطراف الحديث بضع ساعات حاولت خلالها أن أحمله على الرحيل معي فذهبت جهودي أدراج الرياح، وكان الوقت ضيقًا والحال تستوجب التعجيل بالأمر فلابد من الرحيل فعانقته وعانقني وتمنى لي حظًا سعيدًا وأخذت طريقي إلى المنفى.

انطلقت بي السيارة إلى مكان في جبال الألب، حيث وجدت دليلًا ينتظر قدومي، فأعطيته كتابًا كنت أحمله إليه، وبدأنا حوالي منتصف الليل نتسلق الجبل فبلغنا عند الفجر الحدود النمساوية، ومضينا في طريقنا مدى ثماني عشرة ساعة حتى انتهينا إلى مدينة (كوفستن) الجميلة في منطقة التيزول.

فقلت لنفسي: "ها هي ذي النمسا بلاد الحرية التي لا يوجد فيها رجال الجستابو، والتي لن تستطيع يد هتلر أن تمتد إليها!".

ومنذ زمن طويل كان لنا في فيينا مطبعة وموزعون سريون يقومون بتوزيع المنشورات في النمسا، وقسم مناط به تهريب هذه المنشورات إلى ألمانيا. ولقد حسبت

أني سأستطيع أن أعمل عملًا مجديًا في النمسا، فوطنت العزم على كسب ثقة المستشار "دولفوس" والاشتراك معه في الكفاح ومساعدته بما كان لي من خبرة طويلة. وأنشأت صحيفة جديدة أسميتها "المذيع الأسود" ثم كتبت ثلاثة منشورات أرسلت آلافًا منها إلى برلين، وجعلت عناوينها على التوالي: إلى متى يدوم عهد هتلر؟ - دخول الثورة في مرحلتها الثانية - انقضاء الماركسية وبقاء الاشتراكية. ولكني لم أحسب حساب (ستانهوزل) رئيس شرطة فيينا الذي كان وكيلا لهتلر وجاسوسًا للجستابو.

وكان النازيون في النمسا قد بدأوا بمعونة برلين يشيعون الاضطراب والفزع في البلاد، فانفجرت القنابل هنا وهناك، وانتشرت الغازات المسيلة للدموع في دور التمثيل واللهو، وسرقت حوانيت اليهود ونهبت، وألحق بالخطوط الحديدية تلف وإضرار. وجعل (ستانهوزل) يرسل رجاله في أثر المجرمين دون جدوى، حتى حارت العقول في عجز رئيس الشرطة عن القبض على أصحاب هذه الجرائم المتواصلة! فارتاب النمساويون في الأمر واتهموا النازي علانية باقتراف هذه الجرائم.

ولكني أدركت أني لن أستطيع أن أقوم بعمل مجد في فينا، فرحلت إلى براغ لأستطلع الحال فيها، وقفلت راجعًا إلى فيينا بعد ذلك بثمان وأربعين ساعة، فقصدت مباشرة إلى منزلي، ولكني لم أستطع إدخال المفتاح في قفل الباب، حتى لحقت بي (بوابة) الدار، وقالت: "سيدي. إنهم اعتقلوا بعض الناس هذا اليوم، واقتاد رجال الشرطة ابنة أختك إلى المخفر وأحسب أنهم يبحثون عنك".

قلت: "إن عادت ابنة أخي إلى هنا أخبريها أني أنتظرها في المقهى الصغير الذي تعرفه".

ثم قصدت إلى المقهى في الحي الثامن، وجلست إلى المائدة التي اعتدت الجلوس إليها، وطلبت قدحا من القهوة وصحيفة مسائية، ودفعت ثمنه فلم يبق في جيبي إلا خمسون (جروشن) أي ما يعادل 25 مليمًا. ونشرت أمامي صحيفة "تلجراف"

المسائية وبعض صحف الصباح وقرأت فيها ما يلي مطبوعًا بحروف كبيرة:

"تمكن رجال الأمن أمس من العثور على المتهمين بإلقاء القنابل، وقد اتضح أنهم من أعضاء الجبهة السوداء التي يرأسها (أوتو شتراسر) واعتقلت الشرطة سبعة عشر رجلا وامرأتين. أما رئيسهم "أوتو شتراسر"، فلا يزال لسوء الحظ هاربًا".

ولم يكن لكل هذا نصيب من الصحة إطلاقًا، فقد كان أصحابي أبرياء، وكنت أنا في فيينا نفسها، ولكني وقفت من هذا النبأ على حالة النمسا في ذلك العهد كما أدركت حقيقة موقفي من كل هذا.

وبعد ذلك بعام دخل "ستانهوزل" السجن بتهمة اشتراكه في الفتنة التي قتل خلالها المستشار (دولفوس) ثم دخله مرة أخرى لمدة عشر سنين. ولكن النازيين أطلقوا سراحه بعد انضمام النمسا إلى ألمانيا، وأعادوه إلى وظيفته رئيسًا للشرطة، وكان "ستانهوزل" مكروها من أهل النمسا، وقد قتل في نوفمبر عام 1939 خلال معركة دارت بين فصائل الهجوم ورجال الشرطة.

ولنعد بالقارئ إلى حيث كنت أفكر في حالي بعدما اطلعت على نبأ اعتقال أصحابي وبحث الشرطة عني، فقد كنت غير قادر على العودة إلى داري أو اللجوء إلى أحد الفنادق وفي جيبي خمسون "جروشن" فلم يسعني إلا الرجوع إلى براغ على جناح السرعة.

ونهضت فورًا للبحث عن قليل من المال استطعت الحصول عليه بعد قضاء ليلة ممطرة مدلهمة ثم قصدت إلى المحطة حيث أخذت القطار إلى براغ، وكنت أحمل جواز سفر مزيفا استطعت به أن أجتاز الحدود التشيكية بغير عناء، ولكني كنت قد خلفت في سجون فيينا تسعة عشر صديقا لم يطلق سراحهم إلا بعد ذلك بعام.

هكذا اتخذت لنفسي اسمًا جديدًا وموطنًا جديدًا كان علي أن أبدأ فيه الكفاح مرة أخرى، وأقمت في براغ عند أسرة صغيرة يعولها موزع للبريد، ولكني كنت أعلم أن

عيون الجستابو ترصدني على الدوام. وقضيت ثلاثة شهور في هدوء نسبي شعرت خلالها بشيء من الأمن والسلامة، وبينما كنت على هذه الحال إذ استيقظت ذات صباح على صوت ربة الدار تناديني:

"الشرطة يا سيدي، الشرطة تطلبك".

ودخل رجال الشرطة، فقلت: "معذرة أيها السادة! من أنتم؟ أتتكلمون الألمانية".

فأطلعوني على أوراق تثبت تبعيتهم إلى إدارة الأمن العام، وسألوني عما إذا كنت أدعى المهندس (س)... فابتسمت لذكر هذا الاسم الذي كنت أحمله في النمسا، وقلت:

"لست أعرف المهندس (س)، ولكني علمت علم اليقين أنه قد توفي منذ عهد قريب!".

فقال أحدهم: "أطلعنا على أوراق تثبت شخصيتك".

فقدمت إليهم جواز السفر مصحوبًا بتأشيرات الخروج من النمسا، هذه التأشيرات التي لا يستطيع الألمان السفر إلى الخارج بدونها؛ فجعلوا يفحصون أوراقي فحصًا دقيقًا، فبدت على وجوههم علامات الدهشة والتعجب.. ثم عمد أحدهم إلى تفتيش مكتبي، وجعل شرطي آخر بفحص ملابسي ويتفقد خزانتي حتى وقع على مسدسي فصاح بالألمانية إن هذا "سلاح محظور".

ولكنهم لم يجدوا شيئًا مما كانوا يتوقعون فأعادوا إلى جواز السفر وانصرفوا حانقين مغيظين.

ثم دخلت علي ربة الدار، وقالت: "كان أمام الدار شرطيان ينتظران. وقد انطلقا غاضبين حانقين".

ثم قصدت حوالي الظهر إلى مقر المسيو (باندا) رئيس قسم البوليس السياسي، وشكوت إليه تصرفات رجاله المنكرة، وقلت: "لماذا أرسلت إلى داري سيارة فيها أربعة جنود مسلحين؟".

فنظر إلى الرجل دهشًا متعجبًا، وقال: "لقد أخطأت يا سيدي، إذ ليس لدينا سيارات".

وبعد ظهر ذلك اليوم خاطبني المسيو (باندا) بالتليفون قائلا:

"أرجوك أن تأتي في الحال لمقابلتي وتحضر معك ربة الدار؛ لكي نستوضحها الأمر لأننا لم نصدر أي أمر بتفتيش منزلك".

وهناك علمنا أن السيارة التي حملت الشرطة إلى داري كانت سيارة ألمانية، وقالت ربة الدار:

(نعم أذكر أن الرجلين اللذين انتظرا أمام الدار كانا يتكلمان الألمانية، وعندما عاد إليهما زميلاهما، ألقيا على الأرض بقطعة من القطن كانت لها رائحة غريبة، وداساها بالأقدام في غضب شديد!!).

ولقد عثر المحققون على القطن، واتضح أنه كان يحتوي على مادة مخدرة، فلا ريب في أن الجستابو أرسل هؤلاء الرجال لتخديري واعتقالي حيا، وكان من المستطاع أن ينجحوا في مهمتهم لو أنهم كانوا من رجال الجستابو في ميونيخ الذين يعرفونني معرفة شخصية، ولكن هملر بعث إلي بألمان من السوديت يتكلمون اللغة التشيكية، ولم يكونوا قد رأوني قبل اليوم.

بيد أن حكومة براغ قد ساورها القلق الشديد من جراء هذا الحادث الذي ارتكبه رجال الجستابو في قلب العاصمة التشيكية، فعهدت إلى بعض رجالها في حراستي، وأعادت تنظيم مصلحة الأمن والأبحاث التي كانت تسودها روح التسامح والإغضاء حتى ذلك العهد. ولكن التدابير التي اتخذتها الحكومة في هذا الصدد لم

تشمل الريف فكان ذلك الحادث المروع الذي ذهب ضحيته صديقي (فورميس).

ومع ذلك فقد شعرت بشيء من الهدوء والطمأنينة، وأدرك (هملر) أنه لا يستطيع القيام بمثل تلك المحاولة التي جربها في 29 أكتوبر سنة 1933، ولكني كنت على يقين من أن الجستابو لديه وسائل متعددة وأساليب متنوعة.

وفي أوائل شهر مارس عام 1934 ألقيت محاضرة عن الوطنية الاشتراكية تلبية لدعوة وجهت إلي من كلية الحقوق في براغ، فأحرزت هذه المحاضرة نجاحًا فائقًا. ولقد زارني في اليوم التالي رجل إنجليزي حسن الهندام يقال له المستر (فرانك)، وكان يصحبه تاجر يهودي كبير من تجار براغ يدعى المسيو "بولاك" يرغب الوجيه الإنجليزي في الزواج بشقيقته. وأنبأني المستر (فرانك) أنه وكيل لشركة أمريكية معادية للنازية محظور عليه ذكر اسمها؛ ولكنها تهتم بدعوتي السياسية اهتمامًا عظيمًا، وقال باللغة الألمانية المشوبة باللكنة الإنجليزية: "لقد كلفت بأن أبتاع خمسة آلاف نسخة من صحيفتك الأسبوعية الجديدة على أن أقوم بتوزيعها في جميع أنحاء ألمانيا، وإني مستعد لدفع ثمنها مقدما".

قلت: "أشكرك يا مستر (فرانك) إن إدارة صحيفتي على أتم ما يرام من النظام، ولست بحاجة لمن يعاونني في توزيعها".

قال: "حسنا. لك أن تتولى شئونها وحدك، ولكني أود أن أقرضك مبلغًا من المال لمدة ثلاثة شهور حتى يتسنى لك أن تضاعف عدد ما تطبعه منها".

فقبلت هذا العرض، وخاصة بعدما أطلعني المستر (فرانك) على جواز سفره موسوما بخاتم الحكومة الإنجليزية، وبعدما أكد لي المسيو (بولاك) التاجر اليهودي المعروف أن صاحبه البريطاني شريف النية والطوية.

ولما انقضت الشهور الثلاثة عاد إلي المستر (فرانك)، وأخبرني أنه مغتبط جدًا بنجاح الجريدة ومساهمته في هذا النجاح، وطلب إلي أن أصحبه إلى باريس، وقال: "يرغب رئيسي الأمريكي رغبة حارة في أن يراك. ولكنه لا يستطيع المجيء إلى براغ في

الوقت الحاضر، وسيكون في باريس في أوائل يونيه، فهل تود أن نتوجه إليها معا؟".

وكنت قد استعلمت من إدارة الشرطة عن هذين الرجلين منذ أن التقيت بهما فقيل لي أنه ليس هناك ما يدعو إلى الريبة في أمرهما، ولكني اعتذرت عن قبول السفر بصحبتهما، وقبلت أن أختلف إلى الموعد الذي ضربه لي المستر "فرانك" في باريس.

وبلغت عاصمة فرنسا في 15 يونيو بعدما أخطرت المستر (فرانك) باضطراري إلى تأجيل الموعد حتى هذا التاريخ، ولكني لم أنبئه باليوم الذي رحلت فيه ولا بالقطار الذي ركبته.

وعندما التقيت بالمستر (فرانك) صاح قائلا: "يا للأسف! لقد وصلت متأخرًا إذا اضطر الرئيس إلى السفر إلى (السار) للتفاوض مع (كونارد هيدن) الذي لم يستطع المجيء هنا. ولكنه سينتظرك في يوم 21 يونيه بمدينة (ساربروك)."

فلم يطمئن قلبي إلى هذا الكلام، ولكن من الجائز أن يرغب رئيس جمعية أمريكية معادية للنازية في مباحثة كاتب كبير مثل (كونارد هيدن) عرف بمحاربته المبادئ النازية. واستطرد المستر (فرانك) قائلا:

(يمكننا أن نسافر معا في 20 يونيه).

قلت: (شكرا. ولكني أعدك بأن أكون هنا في يوم 21 يونيه).

فرضي بذلك، وضرب لي موعدا في فندق (ريكسادلر).

وفي الحق أني ارتبت في أمر هذا الرجل وأوجست خيفة من مصاحبته في السفر، وعزمت على مقابلة (كورنارد هيدن) قبل أن ألتقيه، وكنت قد أخفيت عنه أني أعرف هذا الكاتب وأني كنت على علم بإقامته في (ساربروك).

بلغت في يوم 21 يونيه عاصمة (السار) التي كانت لا تزال مستقلة فاستقبلني (كورنارد هيدن) في المحطة، وقال بعدما تبادلنا تحية حارة:

"إني لم أفهم شيئًا من كتابك يا عزيزي شتراسر؛ ولست أعرف (فرانك) ولا

رئيسه، فاحذرهما".

قلت: "هذا ما توقعته؛ ولكني أود المضي إلى النهاية حتى أقف على حقيقة الأمر، ولك أن تطمئن إلى حرصي وحذري".

وعندما وصلت إلى الفندق لحظت على مقربة منه أشخاصًا في لباس مدني يلبسون أحذية ألمانية سميكة ويروحون ويغدون أمام الفندق، فقلت لنفسي: "إني أعرفكم أيها الرفاق، وأعلم أنكم من فرق الهجوم ولكنكم لن تظفروا بي".

وأقبل علي المستر (فرانك) يحييني قائلًا: "فلنصعد إلى منزلي يا صديقي العزيز".

فتبعته ويدي على مسدسي في جيبي حتى بلغنا منزله الفخم في ذلك الفندق. ثم رحنا نتحدث أولا عن ألمانيا، فقلت أن الحالة هناك عصيبة، ويبدو في الأفق شبح ثورة ثانية.

قال: "سنشهد أحداثًا مباغتة قبل نهاية هذا الشهر، وسترى ألمانيا مذبحة كمذبحة (سان بارتليمي)

قلت: "أهو رئيسك الذي أطلعك يا مستر فرانك على هذه المعلومات المهمة".

فبدا على المستر فرانك شيء من الارتباك ثم قال: "لم يصل الرئيس بعد فهل تسمح بأن أقدم إليك قليلًا من نبيذ الشمبانيا حتى يلحق بنا؟".

قلت ضاحكًا: "لست أشتهي شيئًا من هذا يا مستر "فرانك".. يا لك من صديق وفي! أقسم لو أني كنت واثقا من أنك رجل من رجال الجستابو، ثم لولا أني أحسب حسابا لجنسيتك البريطانية لقتلتك في الحال بهذا المسدس".

فامتقع لون المستر (فرانك) وقال: "إنك تمزح يا هر شتراسر مزاحًا لا يفهمه رجل إنجليزي مثلي".

وصمت برهة ثم قال: "أتسمح لي أن أتكلم بالتليفون؟".

وانطلق لحظة ثم عاد على حالته من الاضطراب وقال: "لقد علمت أن الرئيس لم يصل حتى الآن ولكنه لابد من أن يلحق بنا بعد لحظات فهل يمكنك أن تتريث قليلًا؟".

عندئذ تأكدت من شخصية المستر (فرانك)، إذ لو كان إنجليزيا بريئًا لغضب لكرامته من السبة التي ألحقتها به، فما من شك في أنه جاسوس مكلف (باعتقالي وحملي إليهم حيًا) وأنه كان ينتظر قدوم شركائه في الجريمة، ثم نشرب خمرًا حتى انتشى ونخرج للتنزه في سيارة تجتاز بي الحدود الألمانية.

فقلت: "حسنا يا مستر (فرانك)، ولكني على موعد مع بعض الناس فاسمح لي أن أستودعك وأتغيب نصف ساعة ثم أعود إليك".

وانطلقت فوجدت الرجال ذوي الأحذية السميكة الألمانية لا يزالون أمام الفندق، فصحت بهم قائلًا: "أريد سيارة (تاكسي)، فليسرع أحدكم بإحضارها!".

ولعمري ما عرفت ألمانيا يجهل صوت ضابط قديم في الجيش الألماني.

وجاءت السيارة في أقل من دقيقة فانطلقت بي إلى دار (كورنارد هيدن)، فنصحني قائلًا:

"يجب أن تغادر المدينة في الحال، وسأذهب أنا لمقابلة المستر (فرانك) وأعتذر له عن سفرك الفجائي، وأطلب إليه أن يسلمني حقيبتك.. أليس هذا فخا مضحكا؟".

ولقد طافت بذاكرتي، في أثناء سفري، هذه الكلمات التي أفضى بها إلى مستر (فرانك): "ستشهد ألمانيا قبل نهاية هذا الشهر مذبحة كمذبحة "سان بارتليمي". فلابد أنه كان واثقًا من اعتقالي وإلا لما جرؤ على الإدلاء بمثل هذا التصريح الخطير.

وقد وقعت بالفعل تلك المذبحة المشهورة في يوم 20 يونيه، وعلى الرغم من ذلك لم يحجم المستر (فرانك) عن الظهور مرة أخرى في براغ حيث قابلته فصاح بي

قائلًا: (ما أسوأ فعلتك يا صديقي العزيز! لقد كدت بسببها أخاصم رئيسي فعليك أن تصلح ما أفسدت، وها هي ذي طائرتي الخاصة رهن إشارتك، فهل لك أن تستقلها معي حتى تبلغ بها مقر الرئيس؟).

فضحكت وقلت: (ويبدو لي يا مستر فرانك أنك تعاملني معاملة الأطفال).

قال: "كلا ثم كلا. ولئن كنت تتوجس مني خيفة فلك أن تولي قياد الطائرة صديقك المخلص الهر (ماهر)."

وكان اسم (ماهر) الحقيقي (أدام) وهو ابن أحد كبار التجار اليهود في برلين، وعلى الرغم من أن (أدام) كان من بين أنصاري المخلصين فقد اعتذرت عن عدم استطاعتي إجابة المستر (فرانك) إلى طلبه.

ثم انصرف المستر (فرانك) فأسرعت إلى التليفون واتصلت بالمسيو "باندا" رئيس البوليس السياسي وقلت له: "يقيم الشخص الذي سبق أن حدثتك عنه في براغ، بفندق "سروبك"، وكان "أدام" بجانبي في أثناء هذه المخاطبة، ولكنه انصرف على غير علم مني.

ولما بلغ رجال الشرطة الفندق كان المستر "فرانك" قد اختفى. وحامت الشبهة حول صديقي المخلص "أدام"، وحول سكرتير المستر "فرانك"، فألقي القبض عليهما واعترف الرجلان بالحقيقة بعد مضي بضعة أسابيع على اعتقالهما.

فاتضح أن المستر "فرانك" كان رئيسًا للقسم الذي عهد إليه الجستابو بمطاردة أعضاء "الجبهة السوداء"، ولما أخفق "فرانك" في اعتقالي بمقاطعة ألسار اشترى معونة صديقي "أدام" و"كريتش" الذي كان اسمه الحقيقي "هلد فراند" ووعد الأول بأن يمنحه الجنسية الألمانية، ونفح الثاني مبلغًا كبيرًا من المال.

ولقد أطلق سراح الخائن "أدام" بعد أن قضى في السجن بضع سنين، ولم أره منذ ذلك العهد، ولكني أعلم أنه وزميله "هلد براند" يباشران هذه الحرفة الوضيعة .

وهكذا انتهت قصتي مع المستر "فرانك" الذي لم يوفق إلا لدفع النفقات التي تكلفها نقل خمسين ألف نسخة من صحيفتي إلى ألمانيا!! غير أن "أدام" كان قد أبلغ الجستابو اسم الرجل الذي صنع لنا جهازًا لاسلكيًا للإذاعة السرية استخدمناه لمحاربة هتلر.

ومما هو جدير بالذكر أن ألمانيا وإيطاليا أفادتا من هذا السلاح الماضي في نشر الدعوة السياسية قبل غيرهما من الدول الأخرى. وما من شك في أن الراديو أقوى وسيلة يستطيع بها المرء إبلاغ الحقيقة مسامع الناس في بلد معاد، أو إضعاف روح العدو المعنوية، فهو سلاح خطير من الأسلحة الضرورية في الحروب الحديثة. وكان صديقي (فورميس) أول من فكر في الإفادة من الراديو، وكانت (الجبهة السوداء) أول جمعية في أوروبا في العالم كله استخدمت جهازًا سريًا للإذاعة السياسية.

وكان (فورميس) شابًا نابهًا، وضابطًا ممتازًا أبان الحرب العظمى ومهندسًا كهربائيًا من الطراز الأول، وكان يدير محطة (شتوتجارت) اللاسلكية بمهارة فائقة في الكفاح ضد النازية حتى تولى هتلر زمام الحكم في ألمانيا، وحدث أن ألقي هتلر خطبة مشهورة في (راديو شتوتجارت) فتمكن (فورميس) من قطع السلك الرئيسي لجهاز الإرسال في أثناء الليل فتعطلت الإذاعة. ولم يستطع البوليس العثور على مقترف الجريمة وتكررت هذه الحادثة كلما أذاع هتلر خطبة مهمة، فحامت الشبهة حول (فورميس) فاضطر إلى الفرار إلى مدينة براغ حيث التقيت به.

وقد كان الجهاز الذي صنعه لنا (فورميس) دقيقًا محكمًا فاقتناه متحف الراديو في براغ بعد وقوع ذلك الحادث الفظيع الذي قتل فيه (فورميس).

ثم جعلنا نبحث عن مكان مأمون نستطيع أن نقيم فيه جهاز (فورميس) حتى وقعنا على فندق هادئ في بلدة (زاهورا) يقع على مسافة خمسة وستين كيلو متر من براغ. وهناك عكف (فورميس) على العمل ولم تمض بضعة أسابيع حتى تمكننا من أن نذيع ثلاث مرات في اليوم إذاعات واضحة نكشف فيها النقاب عن أعمال النازيين

ومبادئهم؛ فثارت ثائرة هتلر، وارتعدت فرائص هملر، وأصدر الأمر إلى وكيله (هـدريش) السفاح باكتشاف هذه المحطة اللعينة وتحطيمها واعتقال المجرمين. ومضت أيام وشهور دون أن يكف "المذيع الأسود" عن إرسال خطبه إلى جميع أنحاء ألمانيا.

وفي 16 ينـاير سـنة 1933 ذهبـت كالمعتـاد لمقابلـة (فـورميس) وتسـليمه خطبتـي الأسبوعية مسجلة على إحدى الاسطوانات، وسألته: "كيف حالـك، أرأيـت مـن يرتـاب في أمره؟".

قال: "كلا، لم يفد على الفندق إلا رجل وخليلته في ربيع العمـر قـادمين مـن ألمانيـا. وقد رحلا هذا الصباح".

قلت: "كن على حذر!".

قال: "إني مسلح. وأحسب هذه الفتاة غير قادرة على إتيان السوء!".

قلت: "أعلمت من هما؟".

قال: "هتس مـولر تـاجر مـن (كيـل)، أمـا خليلتـه فهـي "أديـث كرسـباخ" معلمـة للألعاب الرياضية "على جانب عظيم من الجمال".

قلت: "إن عادا إلى الفندق. فبلغ عنهما بوليس الأجانب".

ثم عدت إلى براغ، وكنت أجهل أن هذه المرأة قد أغوت (فـورميس) تظهـر بجانبـه في صورة فوتوغرافية التقطها لهما خادم الفندق.

وعاد الرجل وخليلته إلى الفندق في 23 يناير، ولما كان الليل قد أرخـى سـدوله، ولم يكن بالفندق جهازا للتليفون أرجأ (فورميس) إخطار البـوليس إلى اليـوم التـالي. واحـتج الرجل بأنه تعب فاستأذن وانصرف إلى غرفته دون أن يتناول العشـاء، أمـا خليلتـه فقـد بقيت بصحبة (فورميس).

وصعد (فورميس) و(أديث) - اسم هذه المـرأة - إلى الطـابق الأول. وكـان (مـولر)، وهو خليلها، يقطن الغرفة رقم 3، بينما نزل (فورميس) في الحجرة رقم 7.

وبعد الساعة العاشرة ببضع دقائق استيقظ خادم الفندق على صوت طلقات نارية، فأسرع إلى الطابق الأول ولمح (مولر) وهو يجر جثة (فورميس) إلى الغرفة رقم 7 و(أديث) تتلوى وتئن كحيوان مجروح، ووقع على رجل آخر قد أشهر مسدسين في وجهه، وهرع خدم الفندق وموظفوه إلى مكان الحادث يهددهم الرجل بسلاحه ودفع بهم حتى أدخلهم مخزن الفندق وأوصد بابه.وكان أحد الخدم قد تمكن من إيقاظ صاحب الفندق وإخطار البوليس.

وفي تلك الأثناء استطاع المجرمون أن يلوذوا بالفرار في سيارة كبيرة كانت تنتظرهم بالقرب من الفندق. ولقد ثبت من التحقيق أن (مولر) أدخل شريكه في غرفته بواسطة سلم من الحبل. وعندما صعدت المرأة يصحبها (فورميس) إلى الطابق الأول، دعته إلى الدخول في غرفتها، وما كاد يدخلها حتى لاحظ رجلين واقفين خلف الباب، فأخرج مسدسه، وحاولت المرأة أن تنتزعه منه فأطلق النار عليها، فخرت صريعة تتلوى، وهنا سدد (مولر) ضربتين إلى "فورميس" فسقط مضرجا بدمائه وقضى في الحال.

وراح الرجلان يبحثان عن (الراديو) دون أن يعثرا عليه، فصبا زيت البترول على جثة القتيل وجروه إلى غرفته حيث وضعا بجواره قنبلتين من القنابل المحرقة تنفجران بعد برهة من الزمن فتزول بذلك آثار الجريمة ويدك صرح الفندق ويتحطم جهاز الإذاعة الذي لم يوفقا إلى العثور عليه.

وقد أوقف الشرطة السيارة التي فر بها المجرمون وأطلقوا سراحها بعد أن فحصوا أوراق الرجلين فوجدوها سليمة لا غبار عليها، وكانت المرأة ثاوية في مكان أعد خصيصًا تحت مقاعد السيارة.

وهكذا سكت ذلك الصوت الذي كان يخاطب كل يوم الشعب الألماني ويطلعه على جرائم النازية وآثامها. ولقد تبودلت بين حكومتي برلين وبراغ مذكرات بشأن هذه الجناية، وعلى الرغم من أن البوليس التشيكي أثبت بصورة لا مجال للشك فيها

اشتراك السلطات الألمانية في الجريمة؛ فإن حكومة برلين قد أصرت على إنكارها هذه الحقيقة، بل ذهب وزير ألمانيا المفوض في براغ إلى أبعد من ذلك، فسأل وزير العدل عما إذا كانت الحكومة التشيكية تنوي محاكمة (أوتو شتراسر) بسبب استعماله محطة لاسلكية للإذاعة السرية.

وقد قدمت للمحاكمة فعلا وحكم علي في 6 يناير 1936 بالسجن لمدة أربعة شهور، ولكني لم أسجن، لأن الرئيس (بنش) استطاع أن يعطل تنفيذ هذا الحكم.

ولقد حدثت بعد تلك الجريمة الشنعاء محاولات أخرى لاعتقالي لا أريد تفصيلها لقلة شأنها، وإني لأبتسم كلما عاودتني ذكرى تلك الرسائل التي كانت تدعوني فيها صاحباتها إلى موعد غرامي، أو ذكرى تلك الصحفية الإنجليزية التي حاولت إغوائي وحملي على السفر معها إلى بلاد السوديت في رحلة غرامية، أو زجاجة السم التي قدمها إلي ذات يوم الهر (كونستنتان) أحد أنصاري المخلصين!.

ولكني أريد أن أذكر حادثين لهما أهمية سياسية؛ ففي يناير سنة 1938 قصدت إلى فيينا لقضاء بضعة أيام فأخطرني الهر (جيدوز رناتو) - أحد وزراء النمسا ورئيس الجبهة الوطنية - بأن هتلر أمر رجاله هذه المرة بإطلاق النار علي بمجرد وجودي في الأراضي النمساوية، وأضاف الوزير إلى إخطاره هذا قوله بأن البوليس النمساوي لا يضمن حمايتي من اعتداء النازي علي فيجب أن أتجنب مدينة (فيينا).

ولقد علمت هذا النبأ قبل انضمام النمسا إلى ألمانيا بشهرين، أي في الوقت الذي كان النازيون يشيعون فيه الفزع والاضطراب في جميع أنحاء البلاد.

أما الحادث الثاني فقد وقع بعد ذلك بسبعة شهور أي في أغسطس سنة 1938 بمدينة براغ. ويتلخص في أن رجلا من الجبهة السوداء أنبأني أن النازيين ينوون خطفي بواسطة سيارة الكولونيل (توسابت) الملحق الحربي بالمفوضية الألمانية، وقد رسم لهم (فون بيبرا) مستشار المفوضية هذه الخطة الجريئة، وعلمت أنه قد عهد إلى سائق سيارة الكولونيل (توسانت) في العثور على رجلين من الأشقياء لتنفيذ الجريمة

فانتهى إلى الاتفاق مع شخصين من ألمان السوديت التابعين لحزب (هنلاين) وضم إليهما أحد المهاجرين الألمان ليضلل بي، وكان هذا الرجل لسوء حظهم يعمل في الوقت نفسه لحساب البوليس فبادر بتبليغه الأمر.

واستقر الرأي في هذه المرة على اعتقال المتآمرين متلبسين بالجريمة، فطلب الألماني المهاجر أن يدفع له مقدمًا قسطًا من أجره، فضرب له السائق وشريكاه موعدًا في مقهى وبينما كان يتناول النقود من يد السائق داهمهم رجال الشرطة واعتقلوهم جميعًا. ولم تكن هذه أول مرة يشترك فيها رجال السلك السياسي الألماني في جرائم الجستابو، فأرسلت حكومة براغ احتجاجًا شديدًا إلى برلين، فاضطرت الحكومة الألمانية إلى استدعاء الكولونيل توسانت من مفوضيتها في براغ، وحكم على السائق بالطرد من تشكوسلوفاكيا، وعلى شريكه بالسجن.

أما "فون بيبرا" فقد عين مستشارًا في المفوضية الألمانية في برن حيث قابلته، لأني غادرت براغ في سبتمبر سنة 1938، حينما هددت ألمانيا باجتياح تشكوسلوفاكيا، وإني لأعتقد أن فون بيبرا لن يستطيع إتيان سوء في سويسرا إذ لا يوجد في هذه البلاد رجال يخونون وطنهم كما لا يوجد فيها رجل كـ (هنلاين).

ولا يفوتني في ختام هذا الفصل أن أشير إلى حادث آخر له دلالة خاصة على الأساليب الألمانية، فقد حدث في 23 نوفمبر سنة 1939 أن اعترف الراديو الألماني رسميًا بأن صديقي (فورميس) قتله رجلان من فرق الهجوم بأمر الحكومة الألمانية.

الفصل التاسع

سان بارتلمي الألمانية

لقد صارت الحوادث في ألمانيا خلال العام الأول من منفاي إلى الحالة التي توقعتها، فمضى هتلر في تقويض صروح النظام القديم وهدم الأسس الموضوعة، مع التذبذب بين الحركتين الثورية والرجعية، وبغير الانتهاء إلى وضع برنامج واضح دقيق للمستقبل.

وقد استطاع هتلر أن يبقى في الحكم مستفيدًا من الدعاية والاضطهاد إلى أقصى حد ممكن، ولكي يتسنى لنا أن نفهم الحوادث المروعة التي وقعت في 30 يونيه سنة 1934 يجب أن نوضح مرة أخرى العوامل التي أتاحت لهتلر الوصول إلى منصة الحكم؛ فنحن نعلم أن الرئيس "هندنبورج" الذي يمثل الروح البروسي، قد رضي - على الرغم منه - أن يكون هتلر مستشارًا للرايش.

أما (هوجانبرج)، نصير جماعة أصحاب المصانع الكبيرة، و(فون بابن) الرجعي ومرشح طائفة كبار الزراع، فهما الرجلان اللذان مهدا سبيل الحكم لهتلر ووضعا قدميه في الركاب، ولا يزال أصحاب المصانع الكبرى وكبار القواد العسكريين يرون في (الأونباشي النمساوي) خادمًا يرعى مصالحهم ويحقق أغراضهم.

ولعمري إن هذا لإنكار لروح الحركة الوطنية الاشتراكية والدور الذي يقوم به هتلر كرجل من رجال التاريخ، فقد ولدت الثورة من الفوضى حتى سادت ألمانيا، وحملت أمواجها هتلر إلى السطح.

وهناك معركة تدور رحاها، لكسب هتلر، بين القديم وبين الجديد الذي نشأ منه هذا الرجل وهتلر يتذبذب بين هذا وذاك حتى أصبح سجين تردده وذبذبته، ولقد

نشأت من هذه الحالة قوة الرجل وضعفه في الوقت نفسه.

هذا بينما كان فريق من أنصاره برمًا متذمرًا يتهم الفريق الآخر بالضعف والاعتدال، وكان رجال فصائل الهجوم الذين أقسموا يمين الإخلاص للحزب تقديسًا منهم للمبدأ لا للفهرر، يتألفون من ثلاثة ملايين ألماني تهيجهم وتغضبهم سياسة "فون بابن" و"هوجانبرج" و"شاخت" فسرت بين صفوفهم هذه العبارة: "متى تقع الثورة الثانية؟".

وكان (جريجور شتراسر) وهو لم يتجاوز مرتبة العضو في الحزب يتلقى آلاف الرسائل التي كان يقول فيها أصحابها: "عد إلى نشاطك، ليس هناك أحد سواك يمكنه أن ينقذ الوطنية الاشتراكية. هلا تفتح عيني الفوهرر اللتين أغمضهما "جورنج" ورفقاؤه حتى لا تتبينا الحقيقة والواقع".

ولم يغفل (جريجور) عن أن هذه الرسائل كانت تفض وتقرأ قبل أن يتسلمها.

ثم كان هناك (ريم)، رئيس فرق الهجوم، ومعه مرؤوسيه الذين كانوا يخلصون له إخلاصًا تامًا. وما كانوا يهتمون كثيرًا بالمسألة الاشتراكية، ولكنهم كانوا مستائين من القواد العسكريين ومن الجيش الذي ظل بعيدًا عن الحزب.

ولما كان (ريم) ضابطًا قديمًا في الجيش فهو من أعرف الناس بعقلية العسكريين الألمان. فقد كان هؤلاء العسكريون ينظرون إلى فصائل الهجوم وجنودها ذوي القمصان السمراء نظرة احتقار واستهتار. ولم تكن الهتلرية عندهم إلا ستارًا يمضون وراءه إلى غايتهم التي عملوا لها على الدوام.

ولما كان (ريم) قد عاش حينا من الدهر في (بولونيا) فإنه أضحى خبيرًا بأغراض الجيش وعقليته. فهو يعلم أن الحزب لا خطر له ولا قيمة إن لم ينصره الجيش، وفي مقدور العسكريين أن يسقطوا كل وزارة لا توافقهم. وعلى ذلك تألفت جبهة من (جريجور شتراسر) و(ريم) ضد جماعة (هندنبورج) و(هوجانبرج) و(فون بابن)

و(جورنج) التي اتحدت مع أصحاب المصانع الكبرى وظل هتلر يتردد بينما ازدادت همسات الاستياء والتذمر، فشعر بضرورة البت في الأمر، ولكنه لم يكن قد انتهى إلى الطريق التي ينبغي له أن يسلكها. ووقف جوبلز من ورائه قلقًا متأهبًا للانحياز إلى جانب المنتصر، وعندئذ ندم هتلر على انفصال جريجور عنه فالتقى في أحد الاجتماعات بصاحب الشركة التي كان يعمل فيها أخي وقال له: "جريجور هذا رجل طيب، ولابد لي أن أستدعيه".

وعلم "جرونج" بهذا التصريح الخطير فراح يشحذ سلاحه ويستعد للعمل. ومضى (ريم) يعمل بنشاط في ميونيخ دون أن يتصل بـ (جريجور) على الرغم من اتحادهما في المبدأ والغاية، ولم يلبث (ريم) أن أحرز أول نصر وهو حل جمعية ذوي الخوذات الصلبية ذات الصبغة الحزبية التي كان بعضدها رجال الجيش، ثم انطلق يناهض الجيش نفسه دون أن يفقه الحقيقة الواقعة، وهي أن التغلب على الجيش أمر من الأمور المستحيلة ما دام الرئيس (هندنبورج) على قيد الحياة؛ فبدلا من أن يكافح (شاخت) و(تيسن) وأمثالهما من أعداء الوطنية الاشتراكية الألداء جعل يغالب (فرتش) و(بلومبرج). وطلب في إحدى الجلسات الخاصة لمجلس الوزراء إلحاق فرق الهجوم بالجيش وإدماجها فيه على أن يحفظ ضباطها برتبهم في الجيش النظامي، ومعنى هذا أنه يطلب أن يتولى القيادة العليا للجيش وفرق الهجوم والدفاع معا.

وكان (ريم) يعتقد اعتقادًا تامًا أن هتلر يؤيده، كما كان يشعر شعورًا قويًا بأن "جوبلز" و"دارا" يقفان في صفه وتردد (فرنك) قليلًا ثم انضم إليه، أما هتلر فإنه ظل صامتًا لا يبدي رأيًا. ومرت بالمجلس لحظات خطيرة وساده جو رهيب عصيب لم يخرج هتلر خلاله من صمته العجيب حتى وقف "فون بلومبرج" وزير الدفاع الوطني وأعلن أن الرئيس (هندنبورج) لا يسعه إلا أن يفرض هذا الطلب، فقال هتلر دون أن يجرؤ على النظر إلى (ريم) صديقه القديم: "يقفل باب المناقشة" فاستشاط "ريم" غضبًا وانصرف على الفور.

وإني لأذكر أن الجنرال "فـون رايشـو" أدلى بـتصريح بعـد يـوم 30 يونيـه التـاريخي لمندوب جريدة "بيتي جورنال" الفرنسية، أكد فيه أن الحكم بإعدام "ريم" قد وقع عليه بالفعل في ذلك اليوم الذي اجتمع فيه مجلس الوزراء.

وفي 28 مـايو اسـتدعى الـرئيس (هنـدنبورج) هتلـر لمقابلتـه؛ وفي 7 يونيـه نشرت الصحف بلاغًا رسميًا جاء فيه أنه قد صرح للوزير (ريم) بأجازة لمدة بضعة أسابيع عمـلا بنصيحة أطبائه، وبهذا الإجراء أظهـر الـرئيس (هنـدنبورج) أنـه يـنصر الـرجعيين الـذين يتألفون من جماعة "فون بابن" و"نـورات" و"مسـنر" أي أعيـان الريـف الـذين يخشـون اعتنـاق الجـيش للمبـادئ الاشـتراكية، ومـن جماعـة "تيسـن" و"كـورب" و"شـاخت" أي أصحاب المصانع الكبرى الذين يخافون تطبيق الاشتراكية على الصناعات الكبيرة.

ولكن هتلر لم يكن مرتاحًا لهذه النتيجة لأنـه عـلى علـم تـام بـروح جنـود الهجـوم الثورية، كما كان يشعر بأنه يعرض نفوذه للضعف إذا هو تخلى عـن رفقائـه في الجهـاد وعن الفكرة التي قام عليها الحزب؛ فهو والحالة هذه واقف عند مفترق طريقين: طريق يؤدي إلى الثورة السـلمية والنهضـة الداخليـة وهـو طريـق (ريـم) و(جريجـور) و(فـون شليشر)، وطريق آخر هو الطريق الإمبراطوري لألمانيا القديمة الذي لا بد مـن أن ينتهـي بالبلاد إلى الحرب.

ولقد طبعت حينذاك منشـورًا بعنـوان "الثـورة الاشـتراكية أو الحـرب الفاشسـتية"، ووزعت آلافا منه في جميع أنحاء ألمانيا.

وفي 13 يونيه استدعى هتلر - قبل سفره إلى البندقية للاجتماع بموسـوليني - أخـي جريجور، وكان الرجلان لم يتقابلا منذ تلك المشادة التي وقعـت بيـنهما بسـبب دسـائس (فون بابن) و(جورنج) و(جوبلز) وقال هتلـر: "إني أعـرض عليـك وزارة الاقتصـاد يـا هـر شتراسر، وأرجوك أن تقبلها، إذ في وسعنا نحن الاثنين أن ننقذ الموقف ونصلح الحال".

قال جريجور: "قبلت يا هر هتلر، ولكن على شرط أن يبعد (جورنج) و(جوبلز) عن الوزارة لأن الرجل النزيه لا يمكنه أن يتعاون مع هذين الشخصين".

فهذه الإجابة التي أكد لي صحتها أخي (بول)، هي إجابة رجل نزيه كريم الخلق، ولكنها ليست إجابة رجل سياسي لأن طلب إبعاد "جوبلز" و"جورنج" في وقت واحد هو طلب أحمق لا يمكن تحقيقه. نعم كان من المستطاع تضحية (جورنج) إرضاء لجريجور، إذ كان (جورنج) يأبى أن يتخلى لهملر عن قيادة الجستابو في برلين، فنشأ من ذلك نزاع بين الرجلين. وكان هملر يصر على المطالبة بوضع جميع أقسام البوليس تحت إمرته، ومال هتلر إلى تأييد مطلبه، أضف إلى ذلك أن هتلر قد استاء من انحياز "جورنج" إلى الرجعيين، وأنه كان يريد في الوقت نفسه أن يصالح "جريجور".

أما "جوزيف جوبلز" فكان لابد من إبقائه بجانب الزعيم، إذ عهد إليه في التفاوض مع "ريم" على الرغم من أن هتلر أنكر عمله في الاجتماع الأخير لمجلس الوزراء.

ولقد فرضت على الكابتن (ريم) الأجازة فرضًا كما ذكرنا، ولكنه لم ينقطع عن العمل في أثناء هذه الأجازة، كما أنه لم يعدل عن مطلبه وفكرته.

وهنا يجب بنا أن نرفع جانبا من الستار الذي لا يزال مسدلا على أحد فصول المجزرة التي وقعت في يوم 30 يونيه. فلماذا قتل صاحب فندق (براتفورست- جلاوكل) في ميونيخ ورئيس الخدم وأحدهم في تلك الليلة التي حدثت فيها مذبحة مروعة كمذبحة (سان- بارتليمي) الفرنسية؟ أكان هؤلاء الرجال ثائرين، أو مأجورين خطرين أو خونة أو تابعين لفرق الهجوم؟ كلا لم يكونوا شيئًا من هذا كله، أما سبب اغتيالهم فهو يرجع إلى شيء آخر نذكره فيما يلي:

كانت توجد في هذا الفندق غرف خاصة يستطيع شخصان أن يجتمعا فيها ويتباحثان في الشئون السياسية دون أن يراهما أو يشعر بوجودهما أحد من الناس

الـلـهم إلا صاحب الفندق والخادمين اللذين كانا يقومان بخدمـة النـزلاء، وكـان الكـابتن ريم والدكتور جوبلز مبعوث هتلر يجتمعان في إحدى هـذه الغـرف مـرات عـدة خـلال شهر يونيه المشهور فماذا كانا يقولان؟.. إنهما لم يعرضا لأمـور شـائكة محرجـة في بدايـة الحديث إذ كانا ينتظـران نتيجـة رحلـة هتلـر إلى البندقيـة؛ ففـي يـومي 14 و15 يونيـه اجتمع الفوهرر مرتين بالسنيور "موسوليني"، ولم يوفق في هذين الاجتماعين للتأثير عـلى الدوتشي، إذ كانت الحوادث التي وقعت أخيراً في ألمانيا قد أزعجـت موسـوليني، فطلـب إلى هتلر أن يأمر بوقف الاضطرابات التي كان يثيرها النازي في فيينا، وبالكف عن تهديد النمسا واستقلالها؛ فاضطر (الفوهرر) إزاء تمسـك الـدكتاتور الإيطـالي بهـذه المطالـب أن يقطع على نفسه عهدًا باحترام استقلال النمسـا ويمنـع أعوانـه مـن إثـارة القلاقـل فيهـا. ولكن موسوليني لم يقنع بهذا فنصح الفوهرر نصـيحة وديـة بـأن يكـبح جـماح جماعـة اليسار المتطرفة في الحزب الوطني الاشتراكي، وأن يلغي فـرق الهجـوم التـي تؤلـف دولـة مستقلة داخل الدولة الألمانية، والتي يتولى أمرها رجـل ثـائر مثـل "ريـم" يعاونـه رجـال خطرون مثل "هنس" و"أرنست" وغيرهما من المغامرين المتطرفين، كما أعـرب الـدوتشي عـن رغبتـه في عـزل "جـورنج" الـذي يتهمـه النـاس في الخـارج بأنـه أشـعل النـار في دار الريخستاغ، وكذلك فصل "جوبلز" الذي جرؤ على التحدث عن إمكان القيام بثورة ثانيـة في ألمانيا...

وأصغى هتلر إلى هذه النصائح باهتمام، ولكنه جعل يتساءل عما إذا كان الدوتشي لم يحدثه بمثل الآراء التي تحدث بها إليه "فون بابن" و"ميسنر" وشركـاؤهما. ولكـن مـن هو "ميسنر" هذا؟ ألم يكن مديرًا لمكتب الرئيس السابق "إيبرت" قبل أن يشغل المنصـب نفسه لدى الرئيس "هندنبرج"؟.. أليس "ميسنر" دساسًا تمامًا؟

واعتقد هتلر أن "فون هاسل" سفير ألمانيا في روما قد تلقـى تعلـيمات خاصـة مـن الرئيس "هندنبورج" والوزير "فون نـيرات" وصـديقه "فـون بـابن"، ومـا مـن شـك في أن الدوتشي ينطـق بلسـان هـذه الشخصـيات، فصـب "الفـوهرر" جـام غضـبه عـلى "فـون

بابن".

وقصد هتلر في 16 يونيه إلى ميونيخ حيث قابل الدكتور جوبلز، فأطلعه هذا الأخير على تقرير ضمنه المحادثات التي دارت بينه وبين "ريم" فقال الفوهرر: "دع عنك هذا الآن، إن لدينا مسائل أخرى تستحق النظر قبل هذه المسألة".

وفي 17 يونيه ألقى (فون بابن) وكيل المستشار هتلر خطبة لم تدع مجالًا للشك في نيته وغرضه، ولقد قام هذا الرجل بدور خطير في السياسة الألمانية أخطأ فهمه كثير من الناس لأنهم لم يقفوا على حقيقة هذه السياسة؛ فقالوا عن بابن إنه سياسي ماهر، وجرئ مغامر، وأنه الرجل الذي أوصل هتلر إلى كرسي الحكم، وفاتهم أنه طموح نهم ميت القلب والضمير، فاتهم أن "بابن" لم يغفر لجورنج أنه انتزع منه وزارة بروسيا ولم يترك له سوى وكالة الاستشارة، ولم يعجب الذين لحظوا هذا الأمر الأخير من أن أربعة من مساعدي "بابن" قد قتلوا في مذبحة 30 يونيه، وأن بابن نفسه أحس بالخطر يتهدده، وهكذا انتقم جورنج من خصمه الألد.

وقد كانت خطبة (بابن) بمثابة حرب أعلنها الرجعيون على الثورة، وهي تتضمن بضع عبارات قوية نذكرها فيما يلي لما لها من عظم الشأن والأهمية:

"لقد أزفت ساعة الاتحاد والتضامن، فعلينا أن نحترم بني وطننا ونشعرهم بمحبتنا الأخوية، وعلينا أن نكف عن عرقلة الجهود التي يبذلها الرجال الصادقون، وأن نسكت المتعصبين من أصحاب النظريات. ولقد ألغي نظام الأحزاب المتعددة بحق، وتولى حزب واحد السيطرة على البلاد، وعندي أن هذا التطور التاريخي هو مرحلة تمهيدية يجب أن تزول بعد الانتهاء من فترة الترميم والإصلاح. إذ ليس ثمة شعب يستطيع أن يحتمل لأجل غير محدود حركة البعث والإحياء التي ابتعثت من أسفل، إذا أراد هذا الشعب أن يخلد في التاريخ فيجب أن يوقف سير هذه الحركة يوما من الأيام، وأن يقوم نظام اجتماعي متين يدعمه تشريع عادل وحكومة قوية. ويجب ألا تكون ألمانيا كتلك "القطارات الزرقاء" التي تسير على غير هدى في طريق المفاجآت

والمغامرات، والتي لا يعرف المرء كيف يستطيع أن يوقفها".

ولما اطلع هتلر على هذه الخطبة أرغى وأزبد، وعاودته الريبة والشك في إخلاص (بابن)، وأيقن أن هناك صلة وثيقة بين أعمال هذا الرجل والنصائح التي أسداها إليه السنيور موسوليني في مدينة البندقية؛ فأرسل الفوهرر في طلب الكابتن (ريم) الذي لا يستطيع أن يتخذ قرارًا دون رأيه، واستقبل (جوبلز) وأصدر إليه تعليماته وأوامره.

ثم بعث هتلر في طلب (فون بابن) بمدينة برلين، وكان (ريم) و(جوبلز) واثقين من استحالة الصلح بين الرجلين بعد تلك الخطبة التي ألقاها (بابن)، كما كانا على يقين من انتصار الثوار المتشددين.

واضطر (بابن) إلى الاستقالة من الوزارة بعد أن ثار هتلر في وجهه واتهمه بالعمل ضد الوحدة الوطنية. واستقال معه وزير المالية ووزير المواصلات. أما الجنرال بلومبرج فإنه لم يحرك ساكنًا إذ شعر بأن جماعة الرجعيين آخذة في الضعف.

هنا كان في وسع هتلر أن يخطو خطوة إلى الأمام، ولكن (ريم) روح الثورة كان غائبًا، ولزم بلومبرج وجورنج الصمت التام. وانزعج الفوهرر من استقالة البعض وسكوت البعض الآخر، وشعر بأن هناك مؤامرة تحاك خيوطها ضده، وتلفت فلم يجد سوى "ريم" و"جوبلز" واقفين بجانبه، فوطن العزم على محاسبة هؤلاء الرجعيين حسابًا عسيرًا ومعاقبتهم أشد عقاب في القريب العاجل. ولكن كان عليه أن ينال قبل كل شيء موافقة الرئيس "هندنبورج" على تأليف وزارة جديدة تستند إلى المبادئ الأصلية المشتركة.

وفي 21 يونيه بلغ هتلر مدينة "نوديك" حيث كان يقيم الرئيس "هندنبورج" يعاني وطأة المرض والشيخوخة. وصحب الفوهرر، الدكتور "جوبلز" و"هوفمان" و"شروك"؛ فاستقبلهم عند سلم القصر الجنرال "بلومبرج" وزير الحربية والكابتن

"جورنج"!! فدهش هتلر دهشة كبيرة، وبادره "بلومبرج" بقوله:

"لقد أطلعني "فون بابن" على الأمر، فأرسل الرئيس في طلبي كما استحضر الكابتن "جرونج" بوصفه رئيسًا للبوليس، وقد كلفنا نحن الاثنين بأن نضع معكم التدابير اللازمة لاستتباب السلام في البلاد فإذا لم يتم الاتفاق بيننا في أقرب وقت تفاديًا لحدوث أزمة وزارية فلا مناص من إعلان الأحكام العرفية. ونظرًا لمرض الرئيس فإنه يأسف لعدم قدرته على استقبالكم".

فبدت على هتلر وصحبه علامات الدهشة والذهول، ثم قال:

"ولكني لا بد لي أن أتحدث بنفسي إلى الرئيس".

فانطلق "بلومبرج" ثم عاد بعد لحظات، وقال:

"أرجو أن تصحبني وحدك إلى الرئيس وينتظرنا أصحابك هنا".

ودخل هتلر يصحبه "بلومبرج" على الرئيس "هندنبورج"، فأعاد الرئيس على مسامعه الأقوال التي سمعها منذ لحظات من الجنرال "بلومبرج". واستغرقت هذه المقابلة أربع دقائق، انصرف هتلر على أثرها حانقًا مكتئبًا.. أما "جورنج" و"بلومبرج" فقد بقيا في "نوديك".

نعم بقى "جورنج" في "نوديك" بجانب "هندنبورج" على الرغم من أنه كان عضوًا من أعضاء الحزب ومدينًا بكل شيء لزعيمه!. وها هو ذا الجيش والشرطة يقفان في وجه فرق الهجوم كما يقف "بلومبرج" و"جرونج" ضد "هتلر" و"ريم"!

أما جوبلز فراح يفكر في الأمر ويلحظ هتلر من طرف خفي، يثور تارة ويذهل أخرى. أو لم يخن هذا الشيطان الأعرج (جريجور شتراسر) في بامبرج و(ستنس) في برلين؟ فماذا يمنعه من أن يغدر بالفوهرر نفسه إذا لم يعدل عن رأيه؟

إن جوبلز يعلم تمام العلم أن القوة للجيش، وأن هتلر لا يجهل ذلك، وسوف

ينزل الفوهرر عن رأيه ما في ذلك شك. إذن لا بد من ارتكاب خيانة صغيرة نعم، لقد تفاوض جوبلز مع ريم، ولكنه لم يقطع عهدًا فهو - أي جوبلز - حر طليق، لا يرى بأسًا في أن يضحي بصاحبه ريم.

أما هتلر فلم تكن له تلك البديهة السريعة التي كان يتمتع بها محظيه الدكتور "جوبلز"، فجعل يفكر مليا في الأمر ويقلبه على جميع الوجوه، فخيل إليه أنه من الخير أن يرجئ تنفيذ قراراته حتى يقضى الرئيس الهرم، إذ قد يضر مهاجمة هؤلاء الأعداء الآن بمصير الحزب، ولكن لا بد له والحالة هذه أن يعفو عن (بابن) وأنصاره، وأن يحتمل جرأتهم عليه وعصيانهم له، إذ من الحماقة والهوس أن تقف فرق الهجوم في وجه الجيش والشرطة، وفضلا عن ذلك فإنه لا يثق كل الثقة بفرق الهجوم وبالكابتن ريم، ذلك المخلوق الفظ المتشدد. هذا بينما كان "ريم" في ميونيخ يرقب تلقي الأمر من الفوهرر، ولكنه لم يتلق شيئًا حتى بعد زيارة هتلر للرئيس!

وأخيرًا أرسل ريم إلى الفوهرر ينصحه بأن يدعو رؤساء فرق الهجوم للاجتماع في أقرب وقت، وأن يشهد الزعيم هذا الاجتماع، فعمل هتلر بهذه النصيحة وكتب بيده البرقية التالية:

"على رؤساء فرق الهجوم ووكلائهم أن يحضروا الاجتماع الذي تقرر عقده في الساعة العاشرة من صباح 30 يونيه في مقر القيادة العامة في (فيسزي)- أدولف هتلر".

ثم تقابل هتلر مع "فون بابن"، وعقد معه صلحًا مؤقتًا، إذ كانت فكرة القيام بمناهضة جماعة قوية تتألف من جميع المحافظين الألمان فكرة محفوفة بالمخاطر، فلا بد من التريث والصبر، ولكن الفوهرر كان لا يزال يقاسي ألم التردد والإحجام، فتوجه إلى مقاطعة "رينان" لزيارة مصانع كروب.

وكان كروب وجورنج متفقين في الرأي، فهما لا يقنعان بهدنة وقتية ويطالبان

بتصفية الحساب مع رجال "الثورة الثانية" على وجه السرعة؛ فهدد "كروب" بالتخلي عن الحزب إن لم تكمم أفواه "البلاشفة"، وراح "جورنج" يعمل بنشاط لتحقيق هذا المطلب، فهو يعلم أن الرئيس "هندنبورج" قد عقد النية على إعلان الأحكام العرفية إن لم يقبل هتلر ما عرضه الرئيس عليه، وهو يمقت "ريم" منذ أن اتهمه بالجبن في يوم 9 نوفمبر سنة 1923 وهو على علم بالمنافسة القائمة بين "هملر" و"ريم"، ويعتقد أن "هملر" لن يتردد في إلحاق الأذى بعدوه، وهو لا يخشى "جوبلز" لأنه ينحاز بسهولة إلى جانب القوي، وفي وسع "جورنج" كرئيس لشرطة برلين أن يحصل على وثائق تضر بسمعة "ريم"، وقد كان له ذلك، وسرعان ما أحيط (الفوهرر) علما بما تضمنته هذه الوثائق.

فعلم هتلر أن "ريم" وهو على رأس فرق الهجوم لن يهدد الجيش والوزراء وأصحاب المصانع فحسب بل سيذهب إلى أبعد من ذلك فيثور في وجه (الفوهرر) نفسه.

وراح أعداء "ريم" يدسون عليه برقيات مزيفة كبرقية (رمس) المشهورة. وفي تلك الأثناء تلقى هتلر برقية حقيقية من "ريم" طلب فيها بلهجة الإنذار أن يبت (الفوهرر) في الأمر على وجه السرعة، فرد عليه هتلر بهذه العبارة الموجزة: "ستتخذ القرارات النهائية في اجتماع الزعماء"

فجعل "ريم" الذي لم يدهشه تردد هتلر، يعد العدة في (فيس زي) للاجتماع. ووفد على فندق (فيس زي) نزلاء أكثر ممن كانوا يفدون عليه في المعتاد، فامتلأ الطابق الأول بجماعة من السائحين القادمين من برلين، كانوا في الحقيقة من رجال الجستابو التابعين لجورنج، ولم تداخل "ريم" الريبة في أمرهم فقال لصاحب الفندق أنه يكتفي باحتجاز غرف الطابق الأسفل.

وفي مساء يوم 29 يونيه رفع "جوبلز" تقريرًا إلى (الفوهرر) جاء فيه: "الرئيس هندنبورج يرغب في إقالة ريم رسميًا قبل حلول أول يوليه. وإذا لم تتخذ التدابير اللازمة

في خلال أربع وعشرين ساعة فإن الجيش سيتولى تجريد فرق الهجوم من سلاحها، ولن يحجم عن إسقاط أدولف هتلر نفسه".

وهنا يجدر بنا أن نلقي نظرة على الخطاب الذي ألقاه هتلر بعد وقوع المذبحة محاولًا فيه تبرير جريمته الشنيعة، حيث قال: "تلقيت في الساعة الثانية بعد منتصف الليل من برلين وميونيخ برقيتين خطيرتين علمت منهما. أولًا، أن فرق الهجوم في برلين قد أعدت سيارات خاصة لنقل جنودها ومهاجمة دور الحكومة واحتلالها في الساعة الخامسة صباحًا. ولذلك لم يتوجه "أرنست" أحد رؤساء فرق الهجوم إلى "فيس زي" بل ظل في برلين ليتولى قيادة هذه الحركة. ثانيًا، أن جنود الهجوم في ميونيخ قد أحيطت علمًا منذ الساعة التاسعة مساء بأنهم يجب أن يكونوا متأهبين للطوارئ".

فما من شك في أن الذي أرسل هذه الأنباء الكاذبة المختلقة هو الكابتن "جورنج"، ودليلنا على ذلك النبأ التالي الذي نشرته صحيفة "برمن" في 3 يونيه.

(اعتقل "أرنست" ومساعده "كرشبوم" في يوم 30 يونيه، وحمل الأول إلى برلين على متن طائرة، وقد ألقي القبض في الوقت نفسه على زوجة "أرنست" وأطلق سراحها في يوم 2 يوليه).

فيتضح من هذا أن طائرة خاصة حملت "أرنست" إلى برلين بأمر الجستابو، ويشهد بكذب هتلر في خطبته المشار إليها ما كنت أعلمه علم اليقين من أن "أرنست" قد حجز محلين في إحدى البواخر للسفر إلى الخارج تصحبه زوجته لقضاء شهر العسل، ومن عجب أن (أرنست) كان يجهل أسباب اعتقاله كل الجهل حتى أنه هتف عند صعوده إلى المقصلة. (يحيا هتلر) احتجاجًا منه على الذين ائتمروا به من حزب اليمين.

وبعد، فلنعد بالقارئ إلى سير الحوادث فنقول أن تقارير "جوبلز" وإنذارات "جورنج" انتهت بحمل (الفوهرر) على التعجيل بالبت في الأمر، فاتصل هتلر بوزيره

"فاجنر" البافاري المخلص إليه بتعليمات خاصة به، ثم استقل الفوهرر بصحبة "جوبلز" طائرة قصد بها إلى ميونيخ.

وإلى القراء تفصيل الحوادث التي وقعت كما رواها لي شهود عيان ورجال كانوا في (فيسزي) ثم اضطروا إلى الفرار من ألمانيا، وكما رواها أيضًا جنود الهجوم الذين استطاعوا أن ينجوا بحياتهم من تلك المذبحة الهائلة، وصديق للطيار "أوديت" وحارس السجن الذي كان فيه أخي "جريجور".

أصدر الوزير (فاجنر) أمره إلى جميع رؤساء فرق الهجوم الذين كانوا في ميونيخ بأن يجتمعوا في وزارة الداخلية ليستقبلوا هتلر استقبالًا رسميًا. وأعد لهم مائدة كبيرة جلسوا من حولها، ورصد لكل منهم رجلًا مكلفًا بتنفيذ الأمر عندما تصدر به إشارة متفق عليها.

ثم طافت بهم أقداح النبيذ والجعة، وراحوا يتجاذبون أطراف الحديث ويتناوبون الخطابة حتى تنفس الفجر، فدق جرس التليفون منذرًا بوصول (الفوهرر) إلى معسكر الطيران، فأصدر (فاجنر) إلى رجاله الإشارة الموعودة فانقضوا عليهم وجردوهم من سلاحهم وحملوا عليهم بأعقاب البنادق وأقداح الجعة حتى قتلوهم عدا الطيار (أوديت) الذي فر هاربًا في دهاليز الوزارة، فوقع على هتلر، فصاح به كالمجنون.

"أفقدت عقلك، لماذا تفعل بنا هذا؟ إن ريم لم يأت ذنبًا، إنه رئيسنا!".

فامتقع لون هتلر وتمتم قائلًا: "لن يمسك أحد بسوء!".

وقد استطاع "أوديت" أن ينجو دون أن يعترض طريقه إنسان، بل استطاع أن يمكث في ألمانيا، وهو يشغل اليوم منصبًا مهمًا.

ودخل هتلر الغرفة التي وقعت فيها المذبحة فوقعت عيناه على تسعة رجال منطرحين على الأرض، رءوسهم مهشمة وأجسامهم مثخنة بضربات المدي والسكاكين، وكان من بينهم "شندهوبر" و"شميت" و"دى مولان". وكان واقفًا بالباب أبطال المذبحة وجلادوها وهم: "فاجنر" و"أيسر" و"موريس" و"فيبروبوخ". ومع ذلك لم يستح "جوبلز"

من أن يقول في خطبته التي أذاعها بالراديو في أول يولية: "وتقدم الفوهرر وحده نحو "شميت" و"شندهوبر" والآخرين، وانتزع من أكتافهم أوسمتهم العسكرية".

وكانت سيارة هتلر المدرعة واقفة بباب الوزارة فاستقلها وانطلقت به صوب "فيسزي" تتبعها سيارة "موريس" و"ديتريش" و"شوب" و"بروكنر". ولما بلغوا فندق ريم وجماعته ضربوا عليه الحصار بسرعة البرق واستقبلهم رجال الجستابو الذين كانوا مقيمين بالفندق منذ حين بينما كان "ريم" وعصبته مستغرقين في نومهم بالطابق الأسفل. وانقض رجال هتلر أولًا على الغرفة رقم 5 حيث كان الكونت سبريتي فاعتقلوه في فراشه، وكان هنس يقيم بصحبة سائق سيارته في الغرفة رقم 9 فاستيقظ فجأة وشهد مسدسي بروكنر وموريس مصوبين نحوه، فالتمس سلاحه، فدق أحدهما رأسه، وجره في قميص النوم إلى الدهليز حيث دوى طلق ناري أعقبه آخر توفي على أثرهما هنس وسائق سيارته.

أما هتلر فقد قصد إلى الغرفة ذات الرقم السابع ودار بينه وبين قاطنها الحوار التالي:

ريم (بصوت يخالطه النعاس)- من بالباب؟

هتلر- أنا هتلر افتح الباب سريعًا.

ريم- أقدمت الآن؟ لقد كنت أنتظر قدومك عند الظهر.

ونهض ريم، ففتح الباب فارتد خطوتين فأمطره هتلر وابلا من الشتائم، فذهل ريم وارتج عليه ولكنه لم يلبث أن كر على هتلر في لهجة عنيفة، وقفل الباب عليهما وانطلقا يتناقشان برهة، ثم طلع هتلر على رجاله وصاح بهم "شدوا وثاقه!" فانقضوا عليه وشدوا يديه وقدميه وخلفوه في الدهليز ينتظر ما سيقضى به صديقه هتلر! ولقد شهده صاحب الفندق على هذه الصورة فرفع يده وصاح في سذاجة: "يحيا هتلر". فأجاب ريم بتحية أهل الجنوب: "عليك سلام اللـه!".

وهنا اعتذر هتلر عما سببه لصاحب الفندق من القلق والانزعاج، ثم أخذ طريقه

إلى ميونيخ تصحبه عصبته وحملوا معهم (أوهل) الذي أيقظوه من نومه وشدوا وثاقه كما حملوا (ريم)، هذا الثائر الخطر الذي لم يكن له حارس خاص كغيره من زعماء الحزب!

قال هتلر في خطابه بمجلس الريخستاغ بعد وقوع المذبحة التي نحن بصددها "لقد فاجأت الثوار"، وهو يعني ريم وجماعته. ولكن ألم يكن هتلر نفسه هو الذي أرسل إليهم برقية بأن يجتمعوا، ووعد بأن يحضر اجتماعهم؟ فكيف فاجأهم إذن وماذا كانوا يعملون؟ لقد فاجأهم مستغرقين في سباتهم، فهل كانوا يأتمرون به في مضاجعهم؟ يا لها من مفاجأة تسجل لهتلر في سجل البطولة والمجد!!

وفي الطريق أوقف رجال الحرس الأسود سيارات فريق من رؤساء فرق الهجوم الذين كانوا في طريقهم إلى (فيسزي) تلبية لدعوة (ريم). بينما تولى هيس أمر (البيت الأسمر) في ميونيخ، واستبدل حراسه الذي كانوا من فرق الهجوم بحراس من فرق الحرس الأسود. وهنا دقت ساعة الانتقام.

وبلغ هتلر سجن (ستادلهم) فاقتحم ساحته عبوسًا مكفهرًا، وطاف بالسجناء مصطفين، وصاح بهم "أيها الخونة الكلاب، إني قاتلكم جميعًا!"

كان هؤلاء الخونة الكلاب رفقاء هتلر في الجهاد ومعظمهم من أبطال الحرب العظمى. فها هو ذا (بيتر هيديريك) الضابط الباسل وبطل (أنابيرج). وها هو ذا (ولهم هاين) أحد الضباط القدماء والمحاربين المغاوير في البلطيق. ثم ها هو (فريتز)، فارس كروسر يحمل وسام ماكس جوزيف. ها هم ورفقاؤهم جميعًا معرضة صدورهم لبنادق الحرس الأسود. بينما كان ريم يطل من كوة السجن على أصدقائه ورفقائه وهم يسقطون الواحد تلوا الآخر تحت طلقات البنادق.

وأمر هتلر بأن يوضع مسدس على مائدة ريم في سجنه، مصحوبًا بهذه الكلمة:

"إنك ضابط قديم من ضباط الجيش فأنت عارف ماذا عليك أن تفعل في هذه الحالة".

ولكنه صاح بأعلى صوته: "كلا لن أقتل نفسي وليقتلني هتلر، وعليه "وزر الجريمة"..".

فأمر هتلر بقتله، فقتل هذا الرجل الذي كتب إليه هتلر منذ ستة شهور فقط يقول:

أكتب إليك يا عزيزي "أرنست ريم" لأشكرك على الخدمات الجليلة التي أتيتها للحركة الوطنية الاشتراكية والأمة الألمانية، ولكي أؤكد لك أني أحمد اللـــه عـلى أنـك أحـد أصـدقائي وشركائي في الجهاد "أدولف هتلر".

ولقد ذكرت صحيفة "يونايتد برس" أن ضحايا مذبحة ميونيخ يقدرون بمائـة وعشريـن قتيلًا، ولكني أعتقد أن هذا الرقم أقل بكثير من العـدد الحقيقـي. هـذا بيـنما كـان جـورنج يشرف في برلين على مذبحة أخرى أعنف من مذبحة ميونيخ وأوسع نطاقًـا، إذ كانـت هـذه الأخيرة مذبحة ارتجالية قام بها رجل طار لبه وفقد وعيـه، أمـا تلـك التـي وقعـت في بـرلين وأخواتها اللاتي أعقبتها في الأقاليم فقد دارت رحاها طبقًا لتدبير محكم ونظام موضوع منـذ زمن طويل.

قال "جورنج" مفتخرًا في خطبته التي ألقاها في أول يوليو محاولًا تبرير الجريمـة: "لقـد وسعت نطاق التطهير؟". فما كان أجدره بأن يعترف بأنه ضاعف هـذا النطـاق عشرات، بـل مئات المرات! إذا انطلق الوحش "جورنج" من عقالـه فقلـما توجـد قـوة توقفـه عنـد حـده وترده إلى صوابه. إن "جورنج" لم يتلـق أي أمـر بقتـل مئـات الرجـال الـذين ذهبـوا ضـحية وحشيته في بروسيا، إنه قد روى غلته وانتقم لنفسه مـن خصـومه الشخصـيين مسـتترا وراء الخصومة السياسية، ولست أذكر هنا سوى جرائمه المشهورة.

فتلك المؤامرة التي اتهم بتدبيرها الجنرال "شليخر" و"ريم" وأخي "جريجور" والجـنرال "بريدوف" لم تكن سوى خرافة مختلفة، كما كانت مسألة العلاقات السرية التي زعم النازي وجودها بين الجنرال (بريدوف) والمسيو (فرانسوا بونسيه) سفير فرنسـا في بـرلين. وبمقـتضى هذه التلفيقات اتهم هتلر هؤلاء الوطنيين الصادقين بالخيانة العظمى، ولكنه لم يقدمهم إلى

القضاء، بل اعتقلهم وألقاهم في السجن، ثم قتلهم!

وبينما كان الجنرال "شليشر" يطالع إحدى الصحف في داره فاجأه ستة من أشقياء النازي وهو جالس وظهره إليهم، وصاح به أحدهم: "هل أنت الجنرال شليشر؟".

فالتفت إليهم الجنرال وقال "نعم، ما في ذلك شك".

فأطلقوا عليه مسدساتهم في وقت واحد فسقط مضرجًا في دمائه، وأسرعت إليه زوجته فقابلها الأوغاد بطلقات أخرى فهوت تتخبط بجانب زوجها. ولقد علم الجنرال (بريدوف) بمقتل صديقه في مساء اليوم نفسه وأخذ طريقه إلى منزله كالمعتاد دون أن يفكر في الفرار أو الاختفاء، فهل كان يفعل هذا لو أنه ائتمر بهتلر وحزبه؟ ولما بلغ باب داره دوت طلقتان في أحشاء الظلام فسقط الجنرال قتيلًا بدوره.

وبينما كان أخي جريجور يتناول طعام الغذاء مع أسرته طلع عليه ثمانية جنود من الجستابو فاعتقلوه بدون سؤال أو كلام، وانطلقوا به إلى سجن (البرنس أريرختشراس) حيث وضع في (زنزانة) خاصة ظل فيها اثنتا عشر ساعة، وإذا به يلمح مسدسًا مصوبًا إليه من كوة (الزنزانة) دوى منه الطلق الأول فانكمش جريجور في إحدى الزوايا، ولكن (هايدرخ) المشهور و(أيك) - السفاح الذي يتولى الآن إدارة معسكرات الاعتقال الألمانية - اقتحما عليه الزنزانة، وأمطراه وابلًا من الرصاص فراح يتخبط فأجهز عليه هايدرخ بضربة في قفاه. ولقد قص علي هذه التفاصيل الرجل الذي كلف بإزالة الدم من الحيطان وإخفاء الأثر الذي أحدثه الرصاص فيها بعد أن فر إلى براج حيث قابلته.

على أن "شليخر" و"جريجور" و"بريدوف" لم يكونوا إلا في طليعة المذبحة التي أشرف عليها "هملر". وتوالت الاعتقالات واصطف المعتقلون في ساحة مدرسة "لشترفلد" الحربية حيث أعدموا رميًا بالرصاص. وفي وسعي أن أذكر مئات ممن أعرفهم وقتلوا على هذه الصورة الشنعاء فقد كان من بينهم ديتن وجرت ونيلوفيز ومركر ومور نفلد وكارل كوخ وهك وكراوسه وشريدر وشرايبر وغيرهم...

وبينما كانت فرق الهجوم تحصد الأرواح وتهدر الدماء أصدر هتلر أمرًا إلى الصحف يحظر عليها نشر أنباء هذه الوفيات، فكان في هامبورج بعد مضي عام على يوم 30 يونيه أناس يجهلون ما إذا كان أصدقاؤهم في ميونيخ أو برلين أو غيرهما إحياء أم أموات! وكان بين الضحايا زعماء الكاثوليك وسكرتير يوفون بابن وجميع اليهود وأعضاء جمعية الخوذات الصليبية وفريق من الشيوعيين في سيلزيا وهرشبيرج.

ولقد أحرز "جورنج" قصب السبق في هذه المذابح المروعة، على أن هتلر يمتاز بأنه انتقم من أشخاص كان قد خاصمهم منذ أحد عشر عامًا، فليس ثمة من يجهل اليوم أن فون كار ذلك الشيخ الذي كان في الثالثة والسبعين من عمره، قد اعتقل وهو في فراشه وحمل إلى "داخاو" حيث عذب ونكل به حتى فاضت روحه، وطرحت جثته في المستنقعات المحيطة بمعسكرات الاعتقال. وكان ذنب هذا الشيخ الهرم أنه لم يؤيد الفتنة التي أثارها هتلر وعصابته في ميونيخ عام 1923.

وكلنا يعلم أن الهر "باللرشتيدت" اغتالته جماعة من فرقة الموت لأنه منع الهتلريين من مهاجمة أحد الاجتماعات في ميونيخ، وقدم ضدهم شكوى أدت إلى الحكم على هتلر بالسجن ثلاثة شهور. وليس في ألمانيا من يجهل أن هتلر أمر بقتل الأب "شتمفلن" لأنه صحح كتابه كفاحي في نسخته الأصلية وأطلع بذلك على ما تضمنه هذا الكتاب من أغلاط تاريخية وجهل مزر.

ولقد غشيني حزن عميق لمقتل أخي "جريجور"، وعدت لا أفكر إلا في اللحاق بأخي "بول" الذي كان على اتصال بالفقيد فعرف أفكاره وخواطره في الأيام الأخيرة من حياته. وكان بول يكبرني سنًا وذا قلب طيب رحيم، وكان ضابطًا مثلي خلال الحرب الماضية، وقائدًا لفرقة المدفعية التي عبرت في أغسطس عام 1918 نهر المارن عند دورمان وصمدت فيها للعدو مدى يومين. وقد جرح في هذه الموقعة فصرح له بالبقاء في مؤخرة الجيش، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها التحق بدير (البنيدكتين).

وقد رحل بول بعد مذبحة 30 يونيه إلى روما حيث كان يكاتبني على الدوام. وكم

كنت مشتاقًا لرؤيته حتى التقينا في النمسا في ربيع سنة 1936 فجعلنا نتحدث بضعة أيام وليال عن فقيدنا المرحوم، فقال بول: "ومن عجب أنه منع هتلر من أن يقتل نفسه!".

قلت: "متى كان ذلك؟"

قال: "بعد أن قتل هتلر ابنة أخته (جيلي)".

فاهتزت نفسي لهذا النبأ وقلت: "أأنبأك هذا بنفسه؟".

قال: "نعم. ولقد عاهدته على أن أكتم الخبر، بعد أن قص علي أنه أمضى ثلاث ليال مع هتلر الذي انتابته حالة عصبية أشبه بالهوس والجنون على أثر عراك نشب بينه وبين الفتاة واشتد فقتلها رميًا بالرصاص، وقد أراد أن ينتحر فمنعه "جريجور"!".

قلت: "أتعرف من شهد هذه الجريمة، وكيف وقعت بالتفصيل؟".

قال: "لا أدري أكثر مما ذكرت، إذ لم ينبئني جريجور بغير ذلك. ولولا ما غشيه من غم شديد وأزمة نفسية عميقة لما أفضى إلي بهذا الخبر، ولكني حفظت سره حتى رحل عن هذه الدنيا".

قلت: "ولكن هتلر. يا أخي، لم يكن شخصية كبيرة في عام 1931 فكيف لم يحاكم أمام القضاء عن جريمته؟ أأخبرك جريجور عن سبب ذلك؟"

قال: "نعم. لقد بدأ التحقيق في ميونيخ، ووجه النائب العام الذي يعيش في المنفى منذ ولي هتلر الحكم، تهمة القتل إليه، ولكن (جورتنر) وزير العدل في بافاريا استطاع أن يخنق القضية، وأذاع أن الفتاة قد انتحرت".

فصحت قائلًا: "جورتنر" ألا لعنة الله على هذا الرجل! ولكن ألم يكن هناك شهود آخرين؟".

قال: "نعم. كان ثمة شاهد واحد وهو (جرلخ) رئيس تحرير جريدة (الطريق المستقيم)

وقد قتل في نفس اليوم الذي قتل فيه جريجور، لأنه قام لحسابه بتحقيق في جريمة هتلر واستطاع أن يقيم الدليل على إدانته، وربما كان فوس محامي جريجور، على علم بالجريمة، إذ كان يحفظ لديه جميع أوراق أخي السرية، ولذلك قتل الرجلان (جرلخ وفوس) في تلك المذابح الوحشية.

ولما كنت بباريس في نوفمبر 1939 نشرت في جريدة (الجورنال) تلبية لطلبها بضع مقالات تناولت فيها مقتل (جيلي) واتهام هتلر بقتلها. وبعد ذلك بثلاثة أيام تقدم إلي رئيس تحرير جريدة "كروييه دوتريش" وسألني قائلًا: "أتعرف الأب بانت؟". قلت: "كلا، إني لا أعرفه شخصيًا ولكني أعلم أنه أقام في ميونيخ، وأنه شقيق لزعيم الألمان المناهضين للنازية في بولونيا".

قال: "هذا صحيح، ولقد كلفني الأب بانت، وهو الآن في المنفى بأن أبلغك هذه الرسالة حرفيًا:

"أنا الذي أشرفت على دفن (جيلي) التي تحدث عنها أوتو شتراسر. ولقد زعموا أنها انتحرت، ولكني ما كنت أسمح قط بدفن منتحرة في أرض طاهرة، وبما أني قبلت أن أشيعها في جنازة مسيحية فيمكنك أن تستنتج من هذا نتائج صادقة قد حرم علي توضيحها".

الفصل العاشر

هتلر إمبراطور أوروبا

لا جدال في أن يوم 30 يونيه كان يومًا فاصلًا في تاريخ الحركة الهتلرية، إذ اختار هتلر في ذلك اليوم الطريق المؤدية إلى الحرب. لقد كانت الثورة الوطنية الاشتراكية حتى ذلك العهد، أمل أوروبا في توطيد أركان السلم وتجنيب العالم ويلات حرب جديدة. ولم يكن هتلر يدرك معنى الوطنية الاشتراكية حق الإدراك، كما أنه لم يفهم قوانينها الجوهرية وما تنتجه من ثمار طيبة، وكان يخشى عواقبها كما يخشى الساحر المبتدء أن يعجز عن إيقاف القوى التي أطلقها من عقالها؛ فاحتمى هتلر بأكناف النظام القديم خوفًا من المستقبل المجهول، وفضل المبادئ البروسية على المبادئ الثورية التي اعتبرها مشوشة غير واضحة..

وربما اعتقد هتلر أنه قادر على أن يعود إلى هذه المبادئ الثورية عندما يحين الوقت المناسب، وربما لا يزال مؤمنًا بقدرته على امتلاك ناصية الحوادث... بيد أن للحوادث منطقًا ونظامًا لا تستطيع الإرادة البشرية أن تغير منهما شيئًا. ولم يكن ثمة بد من أن يؤدي التطور الذي أعقب مذبحة 30 يونيه إلى الطامة الكبرى.

ففي 15 يوليه التالي قلد هتلر الدكتور "شاخت" مدير مصرف الرايش، وزارة الاقتصاد الوطني فأصبح بذلك قابضًا على زمام الشئون المالية والاقتصادية معًا، وانطلقت ألمانيا تتسلح بسرعة هائلة.

وفي 16 مارس سنة 1935 أعيد نظام الخدمة العسكرية الإجبارية.

وفي 7 مارس 1936 أعيد تسليح منطقة "الرين".

وفي 24 أغسطس 1936 رفعت مدة الخدمة العسكرية إلى عامين.

أما في ميدان السياسة الخارجية فقد كانت سنة 1937 مكتظة بالأحداث المهمة حيث تألف محور روما - برلين، وأبرم الميثاق المناهض للشيوعية، وتدخلت ألمانيا في الحرب الإسبانية الأهلية، وأصبح الرايش على قدم الاستعداد للغزو والفتح.

وفي مارس سنة 1938 دخلت الجيوش الألمانية عاصمة النمسا، وما من أحد يجهل الأسباب الحربية والسياسية التي دعت إلى احتلال النمسا، ولكن هناك سببًا آخر لهذا الاحتلال أغفله كثير من الكتاب، ألا وهو أن هتلر لم يعد أجنبيًا في ألمانيا بعد انضمام النمسا إليها.

وبعد أن استولى هتلر على (فيينا) بدأ يرنو بعينيه إلى (براج) فاحتل في سبتمبر عام 1938 بلاد السوديت، واغتصب في 15 مارس سنة 1939 عاصمة تشيكوسلوفاكيا.

وبعد ذلك ببضعة أيام استولت ألمانيا على (ميمل) ثم لم تلبث قليلًا حتى بدأت دعايتها ضد بولونيا. ولقد تتابعت كل هذه الحوادث طبقًا لخطة موضوعة من قبل آخر تنفيذها بعض الطوارئ، ولكنها لم تغب عن فكر هتلر لحظة واحدة.

وأخيرًا اجتازت جيوش الرايش في سبتمبر سنة 1939 الحدود البولونية فاشتعلت نيران الحرب. على أن نتائج هذه الاعتداءات المتتالية لم تكن هي الأغراض التي قصد إلى تحقيقها الدكتاتور النازي إذ كانت سياسته التي لم تتغير طوال تلك السنين تدور حول تحالف ألمانيا مع إيطاليا وإنجلترا ضد عدوين دائمين هما فرنسا وروسيا، وباتباعه هذه السياسة كان هتلر متفقًا مع جماعة الوطنيين المتطرفين ومختلفًا بعض الاختلاف مع البروسيين الذين كانوا يؤيدون فكرة التحالف مع روسيا. وهؤلاء البروسيون يتمثلون في أعيان الريف ويؤخذ من بينهم ضباط الجيش البري. ومنذ قرون عدة يعتقد البروسيون أن ليس لهم سوى أعداء ثلاثة: فرنسا والنمسا وبولونيا.

ولكن منذ أن ولدت الرأسمالية الألمانية في عام 1871 واتسع نطاق التجارة الدولية للرايش الثاني نبتت فكرة جديدة في أوساط الوطنيين الأحرار يؤيدها أصحاب الأموال الطائلة والمصانع الكبرى.

وهذه الفكرة هي مذهب الوطنيين المتطرفين Pangermanisme الذي يرمي إلى بسط السيادة الجرمانية على أوروبا، وإلى التحالف مع إنجلترا لمصلحة التجارة الألمانية، ويضمر أنصارها لفرنسا وروسيا عداءً شديدًا، ولقد انضم إليهم رجال البحرية الحربية الذين كان معظم ضباطهم ينتمون إلى كبريات الأسر (البورجوازية) في المدن، وكان هذا المذهب أقرب المذاهب إلى سياسة أدولف هتلر.

وهكذا بات هتلر بعيدًا عن برنامج الحزب الوطني الاشتراكي الذي كان يسعى لتحقيق الحرية والوحدة الألمانية، كما كان يريد أن تكون ألمانيا عضوًا في الأسرة الأوربية طبقًا لشعار زعيمه الروحي (مولرفان دون بروك) القائل: "لقد كنا جرمانيين، ونحن الآن ألمان. وسنكون غدًا أوروبيين".

نعم، لقد أنكر هتلر مبادئ الحزب الأصلية وانحاز إلى جانب الرجعيين. فهو لم يعد تابعًا لهم ماليًا فحسب، كما لم يضح في سلبيهم بسياسية الحزب الداخلية فقط، بل أصبح يجد فيهم سياسيين لا تخيفهم ولا تدهشهم مشاريعه الجنونية للسيطرة على العالم.

وطبيعي أن هتلر لم يستطع أن يكشف القناع عن أغراضه الحقيقة بين عشية وضحاها، فقد كان ولا يزال مضطرًا إلى ترديد الكلمات الثورية لكيلا يفقد ثقة أنصاره فيه، فكان يتحدث بالاشتراكية حين قلد شاخت وزارة الاقتصاد، وكان ولا يزال يتشدق بالمساواة بين أفراد الأمة بينما يلقي بالآلاف من مواطنيه في معسكرات الاعتقال، وكان يتغنى بالطرق والحلول السلمية في الوقت الذي كان يسيم فيه التشيك ضروب العسف والعذاب. وكان يدعو للسلام في الساعة التي أشعل فيها أتون الحرب.

فيا له من خداع لعين، ولكن هتلر لا يزال يشعر بما يريده الشعب الألماني، فهو يتكلم عن الاشتراكية والمساواة والسلام لأن أنصاره، بل الألمان جميعهم، يريدون الاشتراكية والمساواة والسلام.

بيد أن أعماله تختلف عن أقواله، لأن فكرته الجنونية في بسط السيادة على أوروبا يستغلها الوطنيون المتطرفون من كبار الصناع تارة، وأعيان بروسيا تارة أخرى، وكلا الفريقين يستخدم هتلر كما استخدم غليوم الثاني لتحقيق أغراضهما المعهودة. وإني لأرى لزامًا علي أن أنقض المزاعم القائلة بأن هتلر كانت له سياسة واسعة النطاق وخطط موضوعة منذ زمن ترمي إلى عقد الميثاق الروسي الألماني.

وأؤكد على العكس من ذلك أن الحوادث التي وقعت في الشهور الأخيرة تعتبر خذلانا تامًا لمبادئ هتلر الحقيقية، مبادئ هذا الرجل الذي لا تتردد لحظة في وصفه "بأنه المتودد لإنجلترا الذي لم تفهمه هذه الدولة على حقيقته".

وليس في حياة هتلر السياسية سوى أمر واحد جدير بالاعتبار، قد أطلعني عليه عندما قابلته للمرة الأخيرة، وأعتقد أنه لم يتغير مدى السنين العشرة الأخيرة، ألا وهو التحالف مع إنجلترا لبسط السيادة الألمانية على أوروبا: "لنا الأرض ولإنجلترا البحار".

ولقد كنت في عهد اتصالي بهتلر أدون كلماته وأفكاره التي استوقفت نظري واسترعت اهتمامي. ومضيت بعد انفصالي عنه في تسجيل أقواله التي كان ينبئني بها المتصلون به والمقربون إليه، ولذلك فإني على يقين بأن هتلر لم يكن حتى نهاية عام 1938 قد فقد الأمل في الوصول إلى وسيلة للاتفاق مع إنجلترا، وأنه على الرغم مما يؤكده اليوم لا يزال يبغض فرنسا بغضًا شديدًا.

وقد قال لي ذات يوم: "لا يمكن أن يكون في أوروبا إلا دولة كبيرة واحدة، وأن ألمانيا التي تتمثل فيها الآرية النقية هي الدولة الوحيدة التي يجب أن تتبوأ هذا المركز، أما الدول الأخرى فهي خليط من الأجناس فليس لها الحق في أن تسيطر على مختلف الشعوب

الأوربية.

وما نحن بحاجة إلى مستعمرات تضطرنا إلى الدخول في نزاع عقيم مع إنجلترا فضلًا عن انعدام الفائدة منها، ثم يجب أن تكون إنجلترا بطبيعة الحال حليفتنا، إذ هناك عاملان جوهريان يبرران ذلك وهما تشابه العنصر واتفاق الفريقين في المصالح. فإذا تركنا البحار لإنجلترا استطعنا أن نستولي على القارة الأوربية. ودع عنك السياسة التي اتبعت قبل الحرب فإني أري أن التحالف بين ألمانيا وإنجلترا يؤدي إلى تجديد العالم وتحطيم فرنسا. إذ يجب أن تسقط هذه الدولة التي يقطنها (العبيد) في مهاوي الانحلال الذي استحقته ألف مرة. وعندما تحين ساعة الحساب بيننا وبين فرنسا ستبدو معاهدة فرساي كأنها (لعبة طفل) بجانب الشروط التي سنفرضها على هذه الدولة ولذلك يجب أن تكون إنجلترا حليفتنا".

ولقد حدثني رجل من حاشية هتلر ظل مخلصًا لي بأن (الفوهرر) كان يقول له بعد أن تولى الحكم: "هذه الجثة المتعفنة التي يقال لها روسيا لن تستفيد فرنسا من التحالف معها، وإذا وقعت الحرب فإننا لن ننتظر ثلاث سنين لعقد صلح مع روسيا كصلح (برست ليتوفسك)، لأن اتفاق اليهود مع الشيوعيين يمكننا من التعجيل بالقضاء عليهم جميعًا".

وقال هتلر بعد أن عقد مع النمسا اتفاقات 11 يوليه عام 1936:

"لابد لنا من الزحف نحو الشرق على الرغم من كل شيء، ولن يكون احتلالنا فيينا سوى مرحلة من مراحل هذا الزحف، ويتحتم علينا أن نحطم الصنم الأحمر الضخم الذي تحمله ساقان ضعيفتان، نعم يجب أن تخرج روسيا نهائيًا من زمرة الدول الأوروبية الكبرى".

وفي سنة 1937 تحدث هتلر حديثًا طويلًا إلى أحد كبار الصناع الأجانب فقال:

"إني لا أهتم كثيرًا بمسألة المستعمرات، وكم أود أن تفهم ذلك بريطانيا، فإذا هي قبلت أن تطلق يدي في الشرق فإني مستعد للعدول عن تكبير أسطولي التجاري،

وإني لا أدري كيف لا تفهم بريطانيا أن عدوها الوحيد هو فرنسا؟!".

ولقد قال هتلر في عام 1938 بعد زيارة الدوتشي لبرلين بأيام قليلة:

"إن هناك من يقال لهم وطنيون يتهمونني بالخيانة لأني نزلت لإيطاليا عن منطقة التيرول الجنوبية، ولكني أرى أنه لا ينبغي المضي في النزاع إلى أجل غير محدود، وأن المطالبة بضم التيرول إلى ألمانيا جريمة كجريمة التدخل في سياسة إنجلترا الاستعمارية. ولقد وجد بعض الناس في ثورة الهند خلال الحرب الماضية فرصة للتنديد بإنجلترا، ولكني أعتقد أنه ليس في العالم بلد عدا إنجلترا يحق له أن يحكم الهند كما أني لا أقيم للهنود أي وزن أو اعتبار، ولن يتخلى الإنجليز عن الهند إلا إذا قضي عليهم قضاء تامًا. ثم لو أني وجدت في إنجلترا رجلًا واحدًا مثلي لاستطعت أن أعقد حلفًا بين البلدين، ولأصبحت ألمانيا سيدة أوروبا".

وأخيرًا أبلغ هتلر في أوائل عام 1939 الجنرال (فون فريتش) المحبذ للتحالف مع روسيا ما يلي:

"إن التحالف مع روسيا يؤدي إلى الحرب وانهيار ألمانيا".

فيتضح مما ذكرنا أن هتلر لم يغير شيئًا من آرائه منذ كتب (كفاحي) بمعونة الأب (شتامفل)، وأنه إذا كانت هذه الآراء قد تطورت فإن جوهرها لم يتبدل.

وقد ضعف أمل هتلر بعض الضعف في التحالف مع إنجلترا حين نشرت في فرنسا بدون إذنه طبعة جديدة لكتابه (كفاحي)، وقد منع بيع هذه الطبعة وأمر بإعداد طبعة أخرى منقحة لبيعها في فرنسا. وإذا كانت نظريات هتلر السياسية قد تناولها حقًا تعديل جوهري لكان الفوهرر قد أمر بمراجعة (كفاحي) وتصحيحه للتوزيع في ألمانيا حيث يعتبر هذا الكتاب إنجيل الألمان، ولكن شيئًا من هذا لم يحدث إطلاقًا، وليس ثمة أقل تباين بين الطبعات التي صدرت عام 1939 وتلك التي نشرت في سنة 1926.

أما العوامل التي كانت تجتذب هتلر نحو بريطانيا، فهي ترجع إلى اعتقاده بأن الصداقة البريطانية وحدها هي التي تمكنه من المضي في تحقيق سياسته الإمبراطورية لبسط السيادة الجرمانية على أوروبا، كما ترجع إلى تعلقه الطائش بالمبادئ العنصرية التي يتميز بها هتلر كما يتميز أنصار (كارل ماركس) بكفاح الطبقات، ولعمري ليس ينجو المتعصبون لهذه المبادئ أو تلك السياسة من الخطأ والضلال في شؤون السياسة الخارجية.

وإني ما زلت أذكر ما قاله لي أحد الدبلوماسيين الإنجليز بعد أن أنبأني بالتليفون أنه قابل هتلر ويرجو أن يجتمع بي، فلبيت رجاءه على أن يسمح لي بأن أحضر معي صديقي (بوخروكر) فقبل واجتمعنا في أحد النوادي، فقال مازحًا: "لقد استقبلني زعيمكم بالانحناء نصف متر، وكنت أحسب أني سألتقي بشخصية كبيرة فإذا بي أمام رجل ينحني كالخدم! وكان معنا (روزنبرج) فتحدثنا بطبيعة الحال عن السياسة الخارجية. ومن عجب أن هذا الرجل المرشح لوزارة الشئون الأوربية لا يعرف كلمة واحدة من اللغتين الإنجليزية والفرنسية! ولقد عرض على هتلر عقد حلف بين ألمانيا وإنجلترا وصاح بحماس "يجب أن تسود الشعوب الشمالية جميع الشعوب الأخرى وتقتسم العالم فيما بينها".

قلت: "وبماذا أجبته؟".

قال: "قلت له أن مشاريعك يا هر هتلر واسعة، ولست أجد لها أي معنى واضح دقيق؛ فإنجلترا بلد قديم له سياسة ثابتة منذ عدة قرون، وفي عام 1801 انتزعنا أسطول الدنمركيين وهم من أهل الشمال وضربنا (كوبنهاج) بالقنابل" وفي سنة 1914 زودنا الهنود السيخ بالسلاح ودفعنا بهم ضد الألمان على الرغم من أنهم من أهل الشمال، فنحن لا نقيم وزنًا لهذه المبادئ العنصرية، ولا ندافع إلا عن مصالحنا الوطنية".

ولكن هتلر لا يدرك إطلاقًا مصالح الشعوب الأخرى لأنه مأخوذ بشهوة جامحة للسيطرة على أوروبا. ولقد اتفق أن اجتمعت بهتلر في "بكلسبوهل" عام 1928 بعد تشييع جنازة والدي. فدار الحديث حول أعلام التاريخ، فعلمت أن الرجل العظيم في

رأي هتلر هو الرجل الذي قام بفتوحات كبيرة. ومال بنا الحديث إلى النضال المروع الذي اشتبك فيه (ولنستن) بالكردينال (ريشليو) فصاح هتلر في عنف وحدة! "كلا إن ريشليو لم يكن رجلًا عظيمًا، كما لم يكن لفرنسا سوى رجل واحد عظيم هو نابليون وهو إيطالي".

قلت: "ولكن ما رأيك يا هر هتلر في (رابليه)؟" فنظر إلي مذهولًا ومسح جبهته بيده، فقلت له إن (رابليه) يمثل الحياة الفرنسية السعيدة وفن التمتع بالحياة وما فيها من متع وملذات طيبة، فبدت عليه علامات الاشمئزاز وقال. "دع عنك هذه المهازل وحدثني عن أعلام صادقين".

قلت: "هاك ريشليو وهنري الرابع ودانتون وكليمنصو".

قال هتلر. "هؤلاء رجال تافهون ليس لهم أفكار عظيمة ولا مطامع واسعة فهم ليسوا من زمرة الجبابرة، ولا تتجاوز أحلامهم نطاق نظرهم الضيق".

قلت. "الرجل العظيم هو الذي يعرف كيف يقنع، وهذه هي الخلة الوحيدة التي تميزه عن الرجل الخيالي أو المتهوس والإنسان الذي لا تقف مطامعه عند حد يجري إلى الهاوية فيتردى فيها ويجر معه جميع من يقودهم مثله في ذلك مثل نابليون. وشارك كانت وغليوم الثاني ذلك المريض بحب العظمة".

قال: "ومع ذلك فإن الفكرة القائلة بأن يحكم شعب واحد جميع الشعوب الأخرى هي فكرة متمكنة من نفس كل رجل عظيم. وسوف تنجح ألمانيا حيث أخفق غيرها!".

قلت. "كلا يا هر هتلر. إنك تنكر أولى غرائز الشعوب، ألا وهي غريزة الحرية التي تنتهي دائمًا بالتغلب على من يريد كبتها مهما كانت إرادته. ثم إنك تنسى أن فكرة السيطرة على الشعوب الأخرى هي فكرة تخالف القانون الأساسي للوطنية الاشتراكية".

ولكنه كان مغرمًا بالأفكار البسيطة والصيغ السهلة، فانطلق يوضح لي أن

مهمة ولاة الأمر في ألمانيا ستكون خلال الأعوام القادمة تنظيم الرايش على نمط "أسبرطة" القديمة ليتسنى له بسط سيادته على أوروبا، ثم قال.

"سيكون الشعب الألماني وحده شعب المحاربين، ولن يكون لغيره الحق في حمل السلاح. وستكون الشعوب الأخرى عبيدًا لنا ملزمين بالعمل لطائفة المحاربين من الجرمان، في مقابل حمايتنا سلامتهم بحد الحسام. ولن يكون في أوروبا خمس أو ست أو ثماني دول كبرى بل دولة كبيرة واحدة هي ألمانيا".

فعارضته بقولي: "إن مثل هذا المشروع لا يمكن تحقيقه إلا بعد وقوع سلسلة من الحروب"؛ فقال:

"كلا. إن أوروبا قد بلغت من سوء الحال مبلغًا كبيراً. ومع كل لماذا نخشى الحرب إذا كان يعقبها سلام دائم تحميه حراب الألمان؟".

قلت. "أنت تعلم أن (أسبرطة) لم تستطع أن تفرض النظام الدكتاتوري على (أثينا)، وإنما قد ذهبتا بسبب التشاحن فيما بينهما ضحية للهمج الأجانب فهل قرأت كتاب (دومستن) لكلمنصو، وهل اطلعت على خطب دومستن السياسية؟ كان يجب على اليونان أن تتحد لتستطيع البقاء، وأوروبا يلزمها الأمر نفسه ليمكنها أن تعيش. والوطني الاشتراكي الصادق يجب أن يكون أوروبيًا أعني متضامنًا مع الأوروبيين".

فقال هتلر: "لا تضامن في أوروبا، بل خضوع وطاعة، ولقد فشلت (أسبرطة) لأنه لم يكن لها حاكم مستبد. بل كانت محكومة بجماعة من الأرستقراطيين العاجزين".

وبعد فإن المسألة التي تشغل الناس اليوم هي: لماذا رضي هتلر بأن يتحالف مع روسيا بعد أن نفض يده من صداقة إنجلترا؟ ولماذا إنقاذه لوزيره (فون ريبنتروب) الذي ينتمي لأعيان الريف والعسكريين الألمان الذين يمثلون السياسة البروسية؟

يمكننا أن نفهم شيئًا من هذه المسألة بإطلاعنا على تقرير سري بتاريخ 12 ديسمبر سنة 1939 عن الدوائر العسكرية الألمانية؛ جاء فيه ما يلي: "إن ما حدث

وما يحدث الآن بشأن بولونيا وروسيا هو نتيجة لسياسة العسكريين وحدهم، ولم يكن هتلر سوى لعبة في أيديهم. أما الجستابو فهي أداة ضرورية للإرهاب والتخويف حتى يستطيع القواد العسكريون أن ينفذوا خطتهم على الوجه الذي يريدونه.

ولما زحف الجيش الألماني على بولونيا كان قواده يعتقدون؛ على الرغم من تصريحات فرنسا وإنجلترا أنهم سيحققون غرضهم سريعًا دون أن ينجم عن ذلك قيام الحرب عامة.

وعندما كانت الحالة لم تصل بعد إلى درجة الوضوح الراهنة، أنهيت إليكم أنه لو كان هتلر أو أنصاره قاموا بأي عمل ضد روسيا لاعتقلوا في الحال وأعدموا بتهمة الخيانة العظمى، ولكن العسكريين لم يضطروا إلى هذا العمل لأن هتلر عرف كيف يختار الطريق الذي يرضيهم قبل فوات الوقت.

ولقد أخبرتكم بأن هناك مفاجآت ينتظر وقوعها، فعيون العالم جميعًا متجهة نحو روسيا التي هي الآن واقفة بأبواب ألمانيا. وتبدو على الناس علامات القلق والاضطراب ما عدا قواد ألمانيا العسكريين فإنهم هادئون مطمئنون، ثم إني لست محتاجًا إلى أن أخبركم برأيهم في الحلف الإيطالي فأكتفي بالإشارة إلى أن المقامات العسكرية تعتبره حلفًا مؤقتًا لتصريف الأمور..".

فيتضح بجلاء من هذا التقرير الضغط الذي قام به رجال الجيش على أدولف هتلر، وهكذا كانت أفكار هندنبورج ما زالت مسيطرة على الرايش. غير أن هذا الضغط لم يكن كافيًا لحمل هتلر على التخلي عن الفكرة التي كرس لها حياته، وعن الحقد العميق الذي كان يضمره للبولشفيك، كما لم يكن كافيًا لجعل أنصاره المقربين يرضخون لإرادة العسكريين؛ لولا ما ظهر من خطأ سياسة هتلر وفكرته. ففرنسا لم تكن بلدًا يقطنه شعب خليط متفكك عاجز عن المقاومة، وهي لم ترد أن تضحي ببولونيا فتقع في الخطأ الشنيع الذي وقعت فيه في (سادوفا).

وإنجلترا لم تتأثر بالصداقة التي كان يظهرها لها أبناء عمومتها الجرمان الذين دأبوا على ترديد صلة الرحم القديمة، كما أنها لم تشأ التخلي عن الاهتمام بشؤون أوروبا في مقابل وعد ألمانيا لها بتركها سيدة البحار، واعتبرت الخطر الجرماني أشد وأعظم من الخطر الفرنسي، ثم أن بولندا أظهرت لهتلر أن حرص الشعوب على الحرية خليق بأن يدفعها إلى المخاطر والمغامرات.

وليس في مقدور الكتب الرسمية من زرقاء وصفراء أن تطلعنا على مدى خيبة الأمل التي أحسها هتلر عندما أعلنت إنجلترا وفرنسا الحرب عليه، إذ كان لا يزال يأمل حتى اللحظة التي وقع فيها الميثاق الروسي أنه لم يقم إلا بإجراء مؤقت، كما أنه لا يزال يعتقد من حين لآخر أنه قد ينجح في كسب إنجلترا بفضل (جيرنج) وصديقه (ستنس).

ولكن هتلر لم يغير شيئًا من أغراضه التي ترمي إلى بسط السيادة الجرمانية على أوروبا، وبما أن إنجلترا لم تفهم فكرته فليكن مصيرها هي أيضًا كمصير الشعوب التي يجب أن تحكم وتستعبد لخدمة المصالح الألمانية.

إن الحب العميق الذي أحمله لوطني وتعلقي الشديد بالفكرة الأوربية وإيماني بأن ألمانيا يجب أن تعيش لكي تعيش أوروبا، كل هذا قد حملني على أن أميط اللثام عن خطط هتلر اللعينة التي يتوسل بها لبسط سيادته على العالم، ومهما كانت وعود هتلر ووعود أصدقائه فإنه لا يبغي إلا شيئًا واحدًا ألا وهو إذلال أوروبا وإخضاعها لسلطانه المطلق والاستبداد بالشعوب الأخرى كما يستبد بالشعب الألماني منذ سنين.

الفصل الحادي عشر

المستقبل ضد هتلر

إن الخطر الذي يهدد أوروبا اليوم من تحالف القوات الألمانية والروسية، كذلك الخطر الذي كان يهددها خلال القرن التاسع والقرنين الثالث عشر والسادس عشر من جانب البخلاء والمغول والأتراك. ولكننا نعلم من تاريخ هذه الحوادث أن الشعوب الأوربية تستمد من أعماق الدين المسيحي وهيامها بالحرية قوة البعث والتجديد التي تمكنها من كسر شوكة البربرية.

وثمة آية مسيحية تقول: "إن الله يبلو من يحب" ومعناها أن الخطر يكون وسيلة لتحقيق السلام، لأنه يوقظ في الفرد والشعوب القوة الحيوية التي تبدو هزيلة منهوكة في عهد الشبع أو المادية أو الفوضى.

ولكن هتلر وستالين لم يدركا قط حقيقة هذه القوة الروحية المجددة، فهما يعتقدان - اعتزازًا منهما بالمادة - أن روح الشعوب قد ماتت، وأن هناك ملايين من البشر تستكين للاستعباد إن هي وجدت ما يكفي لغذاء أبدانها. ولكنهما قد نسيا أن للشعوب مسائل حيوية أخرى عدا كفاح الطبقات وعصبية الجنس والحيز الحيوي، وهي الحرية والشرف والعقيدة الدينية التي لا تزال قادرة على إلهاب حماسة الجماهير وإثارتها في وجه أشد الأخطار وأعظمها هولًا؛ فهتلر وستالين قد أنكرا هذه الحقيقة الثابتة، لأنهما يعدان العقيدة والشرف والحرية كلمات جوفاء لا معنى لها.

وبعد فإن كثيرًا من الأجانب المتتبعين لسير الحوادث قد اغتبطوا أشد الاغتباط بما لحظوه من التطورات التي حدثت في إنجلترا وفرنسا منذ اتفاقات ميونيخ المشهورة، ولكن هتلر لم يشأ الاعتراف بالواقع، وأصر على اعتقاده بأن فرنسا مفككة الأوصال

وإنجلترا قد أدركتها الشيخوخة وقعد بها الكبر.

وفي نهاية عام 1937 طلب "فون نيرات" وزير الخارجية إلى سفراء ألمانيا في باريس وروما ولندن أن يبعثوا إليه ببيانات دقيقة صادقة عن الحالة في دول هذه العواصم الثلاث. وكان هتلر لم يعد له منذ ذلك الحين ثقة في وزيره (فون نيرات) وكان هذا الأخير يشكو مر الشكوى من أن الفوهرر لم يكن يستمع إلا لنصائح فون ربنتروب. وإذ تلقى وزير الخارجية البيانات المطلوبة عرضها على هتلر فأثارت غضبه الشديد، وصاح به قائلًا:

"إن بياناتك تناقض الأنباء التي تصلني سرًا، فلماذا هذا التشاؤم الأسود؟ أنا أعلم ماذا علي أن أفعل مع فرنسا وإنجلترا".

وبعد مضي شهرين على هذا الحادث استبدل فون نيرات بفون ريبنتروب.

وكان الكونت "ولزك" سفير ألمانيا بباريس في ذلك الحين منزعجًا بحق من سير السياسة الألمانية في طريق المغامرات فطلب في حوالي منتصف عام 1938 إلى الملحق العسكري بسفارته أن يتقدم إلى الفوهرر ببيان صادق عن فرنسا وجيشها. ولقد جاء في هذا البيان ما يلي:

"إن لهيئة أركان حرب الجيش الفرنسي صفات على جانب عظيم من السمو، والضباط على أتم تدريب وخبرة، والعتاد الحربي والوحدات الميكانيكية خاصة من الطراز الأول. أما الجندي الفرنسي فلم يفقد شيئًا من صفاته التي عرف بها منذ آلاف السنين وفي الجملة يعتبر الجيش الفرنسي في عام 1937 أفضل مما كان في سنة 1917".

ولما اطلع هتلر على هذا البيان استحضر الملحق الحربي وقال له: "سيدي الجنرال إنك ضابط قديم قاتلت سنة 1918 وما زلت متأثرًا بالهزيمة. فيجب أن تفهم جيدًا أن أمريكا هي التي هزمتنا وليست فرنسا، ولقد أكدت الأنباء التي تلقيتها أن

الجيش الفرنسي خائر العزيمة مشتت الرأي قد تغلغلت الشيوعية فيه. ولن تستطيع فرنسا إجراء التعبئة العامة دون وقوع اضطرابات شديدة من جانب الشيوعيين. وإذا استطاعت رغم ذلك أن تتم هذه التعبئة فسوف يطلق جنودها النار على ضباطهم بدلًا من إطلاقها علينا منذ المعركة الأولى".

فقال الملحق الحربي: "لا يسعني إلا أن أحذرك من تصديق هذه الآراء، فالبيانات التي تقدم إليك هي بيانات خاطئة خطرة. والشبان الذين كلفتهم بمراقبة الحوادث ليس لهم أية خبرة بشؤون البلاد التي يراقبونها فهم يتكلمون الإنجليزية والفرنسية ولكنهم لا يعرفون فرنسا ولا إنجلترا وهم يتنزهون في شوارع باريس حيث يلتقون ببعض النواب والوجهاء بيد أنهم يجهلون قوة فرنسا وتاريخها وريفها وقوادها".

فقال هتلر: (إني أحرم عليك يا سيدي الجنرال أن تسب أفضل الرجال الذين يساعدونني، فإن عيونهم التي يلمع فيها رونق الشباب ترى ما لا تراه عيون الضباط القدماء الذين أعمتهم الأوهام).

وعلى أثر هذه المحادثة قدم هذا الملحق العسكري استقالته فرفضها هتلر.

وكان الرجل الذي أخبرني بهذا الحديث ملحقًا بالسفارة الألمانية في باريس، وعندما أعلنت الحرب فضل أن يلجأ إلى إحدى الدول المحايدة على أن يعود إلى برلين. ولقد أفضى إلي السنة الماضية بهذا القول: "ليس ثمة وسيلة لفتح عيني الفوهرر، فهو يأبى أن يرى الحقيقة".

قلت: "إذن فهو لم يتغير. وما زلت أذكر أيام كنت أعاونه في العمل أن هيس كان ينصحني قبل دخولي على هتلر بألا أخبره بهذا النبأ أو ذاك لأن الفوهرر لا يحتمل الأنباء السيئة..!".

فهتلر لم يشأ قط أن يفهم الأعمال التي كانت تجري في فرنسا وإنجلترا، كما أنه لا يستطيع بل لا يريد أن يرى التطور الذي ينتاب اليوم روح الشعبين الإيطالي

والإسباني، وهو إلى ذلك لا يريد أن يحسب حسابًا للتبدل العميق الذي طرأ على روح الأمة الألمانية.

ومع ذلك فإن مشكلة "هتلر وألمانيا" لها أهمية كبيرة من الوجهة السياسية والأدبية والتاريخية والجنسية، فهذه الدكتاتورية الهتلرية جاثمة على صدر ألمانيا كطبقة سميكة من الجليد فوق النهر تستمد نموها من مياهه. وتظل تنمو وتقوى طالما تغذيها هذه المياه وتحملها. ولكن سيأتي يوم ينفصل فيه الماء عن الجليد فيكون فضاء بينهما لا تستطيع العين رؤيته، ويبدو الجليد كأنه لا يزال قويًا متينًا كما كان ولكن ضربة فأس واحدة كفيلة بكسره وتهشيمه..

إن هذين المليونين من الألمان الذين زجهم هتلر في ظلمات السجون هم أول من حاربوا وجرحوا في حرب مقدسة شنوها على وباء شرير لم يتبين خطره كثير من الألمان ولا الشعوب الأوربية إلا بعد مضي وقت طويل، فاليوم فقط شعر العالم كله بهذا الخطر الشديد، ولكن يجب أن نذكر أن فريقًا من الألمان ذوي النظر الثاقب، قضوا قبل ذلك أعوامًا عديدة يكافحون هتلر وستالين. وما استيقظت أوروبا من سباتها العميق إلا بعد الميثاق، وظهور النزعة البروسية الحربية في وضح النهار.

ولقد تجلت روح العسكريين الشريرة وأغراضهم الوحشية في البيان الخاص بالجيش الألماني والذي ذكرنا جانبًا منه في الفصل السابق، وفيما يلي جزء آخر من هذا البيان الخطير:

"إن العسكريين الألمان لم يخشوا قط خطر البلشفية، بل على العكس من ذلك يرى بعضهم في هذه البلشفية نظامًا مجيدًا لأنهم يعلمون أن عهد (لينين) قد انقضى، ولقد درسوا شؤون الروسيا وعرفوها أحسن مما عرفها كثير من الكتاب الذين وضعوا كتبًا عن البلشفية، وهؤلاء العسكريون الألمان يعلمون أيضًا أن ولاة الأمر في روسيا يؤلفون طبقة ارستقراطية جديدة.. نعم لقد ألغيت الملكية الخاصة، ولكن ما هي نتيجة هذا الإجراء؟ إن طائفة الحكام في روسيا تسيطر على شؤون الدولة وتعيش في

رغد وهناء، وهي تهيمن على أداة قوية للحكم تستند على عكس النظام النازي، إلى مثل أعلى ولئن كانت مبادئها قد لطفت بعض الشيء فإنها سائرة في طريقها.

ولن يجد العسكريون الألمان غضاضة على أنفسهم إذا اعتدى الروس على حرمة الأراضي الألمانية، ولكنهم لن يترددوا قبل حدوث ذلك، في أن يطلقوا الثورة من عقالها رغم الحرب، ولكنها ثورة تهب من أعلى، ويخيل إلي أنها بدأت فعلًا.

وقد يشهد العالم اشتراك الروس والألمان في نظام جديد قوامه الوطنية البلشفية يهدد الدول الواقعة غرب الحدود الألمانية، وعندئذ يتسنى للمستر "تشمبرلين" أن يرى حرب المبادئ التي لم يشأ إثارتها في الوقت المناسب.

ولقد اعترف العسكريون الألمان خلال الحرب الماضية بأن الفكرة المناهضة للرأسمالية خليقة بأن تغير وجه العالم، ثم ماذا يكون موقف الشعب إذا عمدت الحكومة الألمانية إلى محاكمة أصحاب المصانع الكبرى أو قتلهم ووضعت يدها على مصانعهم وأملاكهم كما حدث ذلك في روسيا.

وما من شك في أن العسكريين يستطيعون بهذا الإجراء كسب ثقة المعارضين واستخدامهم لتحقيق خططهم الحربية، كما يستطيعون إثارة الاضطراب والفتن في البلدان الأخرى إذا استغلت الدعاية هذه الإجراءات بمهارة وذكاء. فالبولشفية لا تهدد العسكريين قط؛ بل هم يفضلونها على الاشتراكية "ذات المبادئ السلمية السقيمة". فإذا استطاع القواد الألمان أن يصبغوا البلشفية بالصبغة الألمانية فإنهم يكونون قد حققوا أمنيتهم الغالية التي يرون خلاصهم في تحقيقها؛ فكثير منهم لا يهتمون بنوع النظام الحكومي ما دام في استطاعتهم أن يمضوا في القيام بدورهم.

ويجب ألا نغفل عن هذه الحقيقة. وهي أن الضابط الألماني البروسي لم ينشأ ليكون أداة للحكومة البرجوازية كما هي الحال في فرنسا وإنجلترا؛ فالقواد الحربيون كانوا محتاجين لهتلر ليستعينوا به على تحقيق أغراضهم ولقد تحملوا أشياء كثيرة خلال

السنين الأخيرة في هذا السبيل.

ولكن هذا العهد قد انقضى، وأصبح العسكريون اليوم هم الذين يديرون دقة الأمور في ألمانيا، فالحرب يجب أن توجه ضد إنجلترا لأنها العدو الذي يضايقهم في الوقت الحاضر. وهي حرب حياة أو موت، ولكنهم يعتقدون أنها ستكون بالنسبة لهم أفضل مما كانت سنة 1914.

ولقد أشرت إلى محاكمة كبار الصناع وإعدامهم ولكني أعتقد أن العسكريين سيذهبون إلى أبعد من ذلك، فهم يعلمون القوة التي تنطوي عليها الفكرة الاشتراكية كما يعرفون "عداء الجماهير للرأسمالية" فإذا هم أرادوا كسب الحرب فلا بد من أن يتقدموا إلى الشعب ببرنامج يبرر التضحيات العظيمة التي تفرضها عليه هذه الحرب. وهنا يمكنا أن نتوقع حدوث مفاجآت عجيبة.

ثم ماذا يكون موقف الدول الغربية لو قدم أثرياء النازي إلى المحاكمة بتهمة اتصالهم بحكومات أجنبية لإنقاذ الرأسمالية؟ وماذا يكون رأي هذه الدول إذا نشر العسكريون أوراقًا تثبت اتصال الرأسماليين في هذه الدول بكبار الصناع والرأسماليين في ألمانيا؟ إن هتلر يشعر بالخطر الذي يهدده من هذه الناحية، ويعلم أن كبار النازي سيكونون في طليعة الضحايا".

وبعد فإن المخاوف التي تثيرها نوايا العسكريين البروسيين في نفوس الأوربيين الصادقين يجب ألا تعطل كفاحنا في سبيل الحرية بل ينبغي أن تحملنا على مضاعفة الجهود حتى تستطيع مقاومة الشر ودحره. وإني أطلق كلمة (أوروبي) على كل إنسان في أوروبا يشعر في قرارة نفسه بقدر الصلة المسيحية والتاريخية وبقيمة الروابط الثقافية والاقتصادية التي تربط مختلف الدول الأوربية بعضها ببعض. ولقد كانت ألمانيا على الدوام عضوًا من أعضاء هذه الأسرة الكبيرة، ويجب أن تظل كذلك بل يجب أن تصبح عضوًا رئيسيًا حتى لا تنتهي أوروبا عند الرين فتنتفي عنها الصفة الأوربية. ولقد زعموا أن الشعب الألماني كله ينصر زعيمه هتلر!!

فمن هم الذين أذاعوا هذه المزاعم؟.. أذاعتها صحف النازي ومحطاته اللاسلكية ووكلاؤه المنتشرون في جميع أنحاء العالم؛ فيجب ألا ننخدع بأقوالهم وبالعبارات الحماسية التي نسمعها أحيانًا من أفواه بعض السجناء من الشبان الألمان، إذ الحماسة خلة من خلال الشباب، وهؤلاء الفتيان لم يعرفوا أحدًا عدا هتلر. فالحق أن الشعب الألماني يريد الثورة الألمانية، أعني الثورة الوطنية الاشتراكية. إنه يريد المساواة والحرية في الداخل أي الإدارة الديمقراطية المستقلة. إنه يريد الحرية في الخارج أي نفس الحقوق التي تتمتع بها الشعوب الأخرى.

إن الشعب الألماني يريد نظامًا جديدًا في السياسة والتشريع والاقتصاد. إنه يريد السلام في ألمانيا وأوروبا وفي العالم كله. ألست واحدًا من هذا الشعب الألماني كأدولف هتلر؟.. أليست هذه الملايين من العمال والفلاحين والكاثوليك جزءًا من الأمة الألمانية؟ ألم يكن المجاهدون من أعضاء الجبهة السوداء ومن الضباط البواسل كالقس (نيمولر) والكولونيل (ماهرون) ألمانيين ومن صميم الشعب الألماني؟

لقد تكلمت أمام الملايين من الألمان وقرأ مقالاتي مئات الألوف من أنصار هتلر كما قرأ كتبي عشرات الألوف من بني وطني، فإني أعلم بل أؤكد أن آلافًا من الألمان لم يتبعوا هتلر إلا لاعتقادهم أنه يحمل علم الثورة الألمانية، ولكني واثق من أن جميع الألمان الوطنيين الصادقين سوف ينبذون هتلر حين يستبينون جليًا أنهم خدعوا فضلوا سواء السبيل، وليس هذا ببعيد إذ أمام هذا السؤال الخطير: "هتلر وألمانيا" لن يتردد أي ألماني في أن يجيب بأعلى صوته "ألمانيا، وألمانيا فقط".

نعم يجب أن يضع الشعب الألماني نصب عينيه على الدوام هذه المسألة الخطيرة: هتلر وألمانيا. وينبغي أن تكون شغله الشاغل وهمه الذي يهز نفسه هزًا ويعكر صفو لياليه وهدوءها. فمن يحب ألمانيا يثور في وجه هتلر. بل يجب أن تتحد أوروبا وألمانيا في هذه الثورة وفي هذا الكفاح إذ من الفوضى الألمانية تتولد الفوضى في أوروبا جميعها.

ولكن يجب أن تتغلب ألمانيا نفسها على عناصر الشر التي تعيث فيها فسادًا، كما يجب أن تقرن هزيمة هتلر بدحر النزعة البروسية اللعينة نعم يجب انتهار البروسية على يد ألمانيا ذاتها بفضل قوة العقيدة المسيحية بمعونة الحلفاء الذين اتفقوا على الوقوف في وجه الخطر البروسي البولشفيكي المرعب.

فلتهزم بروسيا لأن هزيمتها تؤدى إلى إحلال الحق محل القوة، واستبدال الحكم المطلق بنظام الاتحاد التعاوني، والسيطرة على أوروبا بتأليف اتحاد أوربي. نعم يجب أن تدحر بروسيا وتقسم ألمانيا إلى ولايات مستقلة استقلالًا ذاتيًا تحكمها السلطات المحلية ولها الحرية في أن تعيش وفقًا لتقاليدها الإقليمية. فإذا دحرت بروسيا هذه استطعنا أن نقتلع جذور الروح العسكرية فقضينا عليها وعلى العصبة التي تتألف من أعيان الريف وكبار الصناع المتعصبين، ويجب أن تقسم المزارع الكبيرة إلى أقسام صغيرة، وأن تصير المصانع الكبيرة ملكًا للدولة، وأن يصلح نظام التربية والتعليم في ألمانيا.

هذه هي الثورة التي تهز ألمانيا منذ عشرين عامًا. ولقد مرت بمرحلة التحضير بين عامي 1920 و1930، وبفترة الهدم أو النظام الهتلري بين سنتي 1930 و1940 وها هي على أبواب المرحلة الثالثة أي مرحلة البناء، ولقد كان هتلر شيطان الهدم في ألمانيا؛ فهو رمز المرحلة الثانية من مراحل الثورة.

ولكن هتلر لم ينفك منذ منتصف عام 1939 عن التحدث بموته القريب، فهو يشعر بأن عهده قد انقضى، وساعته أوشكت أن تدق، وستموت بموته سياسته ومبادئه. وسواء مات هتلر بسرطان في الحلق كما صرح بذلك الطبيب الكبير البروفيسور (زوربروخ) لأحد أصدقائي في 15 ديسمبر 1939 أو لقي حتفه على يد أحد أنصاره كما تنبأ بذلك "هوجنبرج" حين فصله هتلر من الوزارة التي تألفت في يونيه 1933 على الرغم من أنه وعد بشرفه ألا يتناول هذه الوزارة بأي تعديل قبل مضي أربعة أعوام. ولن أنسى ما حييت ما قاله لي أخي جريجور في آخر حديث دار

بيني وبينه قبيل رحيلي إلى النمسا. قال: "سوف ينتهي أدولف بأن يقتل نفسه".

قلت: "ولكني أعلم أنه ممثل ماهر ومغرور متكبر فلعل عددًا كافيًا من المتفـرجين يشهدون مصرعه ويشيعونه بالتصفيق والتهليل!".

وبعد فإن القوات التي في مقدورها أن تدحر هتلر وستالين وتـقضى عـلى البروسـية والشيوعية هي قوات أوروبا المتمدنة وألمانيا الجديدة.



الفهرس

هذا الكتاب ليس كتاباً في تاريخ التربية في العالم في عصورها المختلفة فحسب، ولكنه أيضا موسوعة قيمة جامعة تقص علينا قصص الثقافة الإنسانية في شتى نواحيها العلمية والفنية، وتصف لنا العقلية الإنسانية في نشأتها ونموها وتطورها.

إن المجتمع البدائي يوضح لنا التربية في أشد صورها سذاجة، تخلو الحياة من كل تعقيد - ذلك التعقيد الذي يميز أرقى أنواع الثقافات- نجد أن العناصر التي تتكون منها الحياة ، والتي تحدد هدف تربية الفرد ساذجة في طبيعتها قليلة في عددها. ونجد أن الفرد يتأثر غالباً بطريق غير شعوري بالوسائل الموضوعة لمساعدته أو لإرغامه على الخضوع للمطالب العامة التي هي عينها الظروف التي يجب أن يخضع لها ليتيسر له العيش مع إخوانه. وعندما تطبق مثل هذه الوسائل تطبيقاً شعورياً، تصبح مباشرة في تأثيرها وعامة في طبيعتها.

ولما كان طالب التربية لا يهتم اهتماماً مباشراً إلا بالعمليات التربوية التي لدى الشعوب المتقدمة -حيث تكون عوامل التربية الأساسية راقية متنوعة لدرجة يصعب معها تمييز الظواهر الأساسية للغرض أو للوسيلة التربوية أو للطرق الاجتماعية أو السيكولوجية وحيث يصعب أيضاً تحليل نتائج تلك العوامل وآثارها في كل من الفرد والمجتمع- لذلك تعظم قيمة دراسة التربية لدى الشعوب البدائية وصولا إلى دراستها اليوم

